



الزلازل و إرتداداته:
تركة داعش في سوريا
صعود التنظيم و آثاره

الزلازل و إرتداداته: تركة داعش في سوريا صعود التنظيم و آثاره

الباحثون و الكتاب (وفق ترتيب ابجدي):

حسام جزماتي

جلنار أحمد

د. سامويل د. هينكن

شورش درويش

ورد الفراتي

زكي محشي

مراجعة:

د. حيان دخان

د. سامويل د. هينكن

تصميم غرافيكي:

تمام العمر



IMPACT
Civil Society Research
and Development

Published by: IMPACT Civil Society Research and Development e.V

Keithstraße 10, 10787 Berlin

Not for sale

© IMPACT

2022

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بطباعة أو إعادة إصدار أو استخدام أي أجزاء من هذه المطبوعة بأي شكل أو وسيلة من دون موافقة خطية مسبقة من الناشر.

يعتمد هذا البحث على تحليل بيانات أولوية و ثانوية. إن الحقائق و تحليل المحتوى الوارد في هذا التقرير عبارة عن جهد مشترك لفريق البحث و عدد من الخبراء و الخبرات، بغرض رصد الجوانب الأكثر أهمية للوضع القائم، دون أن يعكس بالضرورة وجهة نظر المنظمة. على الرغم من ان إمباكت قامت ببذل الجهد للتحقق من صحة المعلومات الواردة في هذا البحث، فإن المعلومات الواردة في هذا البحث تعتمد على اراء المشاركين فيه.

تم إنتاج هذا البحث بدعم من الاتحاد الأوروبي. تعد محتويات هذا التقرير من مسؤولية المنظمة الناشرة و لا تعكس بأي حال من الأحوال آراء الاتحاد الاوربي.



2	كلمة شكر.....
4	تمهيد: بناء قدرة المجتمعات المحلية في شمال شرق سوريا على الصمود لمنع عودة ظهور داعش.....
8	الورقة 1: الأولويات المحلية و التوجهات العامة في شمال شرق سوريا.....
10	الملخص التنفيذي.....
12	مقدمة.....
13	التطورات منذ 2011.....
14	المنهجية.....
15	محددات الدراسة.....
15	خصائص عينة الاستبيان:.....
16	القسم الاول: الاولويات المعيشية والخدمات.....
16	أولاً - الوضع المعيشي.....
17	ثانياً - الأولويات العامة.....
25	القسم الثاني: الادارة المحلية و التمثيل السياسي:.....
25	أولاً: الادارات المحلية:.....
27	ثانياً: التمثيل السياسي:.....
31	ثالثاً: التمثيل الاجتماعي.....
35	خلاصة:.....
36	الورقة 2: سياق تاريخي للعمل المسلح في ديرالزور.....
38	مقدمة:.....
40	لمحة عامة عن محافظة دير الزور.....
42	ما قبل الثورة السورية (الفكر السفي- حرب العراق).....
43	الثورة و السيطرة:.....
44	تشكيلات المحافظة العسكرية و خلفياتها الايديولوجية و المناطقية:.....
47	ظهور داعش و حرب المواجهة:.....
50	داعش: الدولة و الانهيار:.....
52	الورقة 3: فهم العوامل الاقتصادية-اجتماعية للتطرف العنيف في شمال شرق سوريا.....
54	مقدمة:.....
55	مراجعة الادبيات:.....
57	الاطار المنهجي و التحليلي:.....
60	العوامل الاقتصادية-اجتماعية المؤثرة على التطرف العنيف.....
60	1. المستوى المعيشي.....
61	2. سوق العمل:.....
62	3. الخدمات العامة:.....
63	4. التعليم و الثقافة:.....
64	5. البنى و الشبكات الاجتماعية:.....
66	خلاصة و توصيات سياساتية:.....
66	1. المستوى المعيشي.....
67	2. سوق العمل:.....
68	3. الخدمات العامة:.....
69	4. التعليم و الثقافة:.....
70	5. البنى و الشبكات الاجتماعية:.....
71	مراجع.....
74	الورقة 4: مقارنة التنظيمات المتطرفة للهياكل الاجتماعية.....
76	مقدمة:.....
77	تاريخ عن العشائرية في ديرالزور:.....
79	من الثورة إلى داعش:.....
82	تحت سلطة الادارة الذاتية:.....
85	النشاط المستمر لداعش في دير الزور.....
86	كيف ترى داعش العلاقة بين أبناء العشائر في دير الزور والادارة الذاتية؟.....
87	نشاط التنظيم ضمن المجتمع المحلي.....
88	تحليل شبكة التنظيم:.....
89	عمليات داعش المستمرة ضد المتعاونين والعاملين مع الإدارة الذاتية.....
91	تقييم وضع العشائر وداعش واحتياجات السكان في شرق دير الزور.....
93	ملحق الهوامش:.....

كلمة شكر

نتوجه بالشكر للاتحاد الوطني لدراسة و التصدي للارهاب START في جامعة ماريلاند على تقديم تمهيد لهذا العمل، و للاستشارات المقدمة لفريق البحث خلال مدة المشروع. كما نود أن نتقدم بالشكر لمركز جنيف لسياسات الأمن GCSP للتعاون والدعم المقدم في اجراء الاستبيان و التقرير الخاص به المتضمن في هذا البحث. الشكر الجزيل أيضا للخبراء و الخبرات من اكاديميين و ممارسين على مشاركة خبراتهم/ن مع فريق البحث خلال العمل على هذا البحث. كما نتقدم بالشكر لفريق امباكت الميداني الذي قام بجمع البيانات الاساسية في هذا البحث، و كذلك الشكر الجزيل لاولئك الذين يرغبون ان تبقى هوياتهم مجهولة.

عن فريق البحث:

د. حيان دخان: باحث زميل في معهد دراسات الأديان في جامعة أوروبا المركزية CEU. له كتاب منشور بعنوان "الدولة و القبائل في سوريا: التحالفات غير الرسمية و نماذج الصراع"

حسام جزماتي: باحث و صحفي سوري. يركز في بحثه على الحركات السلفية و الجهادية في سوريا. له منشورات في عدد من وسائل الاعلام و المنصات العربية.

جلنار أحمد: مديرة قسم الأبحاث في إمباكت. تتركز تجربتها حول القطاع غير الربحي في سوريا، مع تركيز على الأبحاث / دعم المجتمع المدني، و التطوير المؤسسي.

د. سامويل د. هينكن: باحث رئيسي في الاتحاد الوطني لدراسة و التصدي للارهاب START في جامعة ماريلاند في الولايات المتحدة. تتضمن اهتمامته البحثية العلاقات المحورية للعنف في الحياة اليومية، تقاطعات الجغرافيا السياسية مع الامن، و العنف السياسي في جنوب شرق آسيا.

شورش دوريش: محامي و كاتب سوري يركز في عمله على القضايا السياسية في السياق السوري الكردي.

ورد الفراقي (اسم مستعار): كاتب و باحث سوري من دير الزور. يركز في عمله على توثيق الثورة السورية وسردياتها. له منشورات في العديد من المنصات العربية. له مساهمة في كتاب "خمس مدن في الثورة السورية" و كذلك في مشروع بحثي سينشر قريباً عن هياكل الحوكمة في محافظة حلب.

زكي محشي: حائز على اجازة في العلاقات الاقتصادية الدولية. باحث في جامعة لندن للإقتصاد LSE، وزميل إستشاري في تشاتام هاوس، و شريك مؤسس للمركز السوري لبحوث السياسات. يركز زكي في بحثه على دراسات التنمية، حيث عمل على مجموعة من الأعمال البحثية حول الآثار الاقتصادية و الاجتماعية للصراع في سوريا، و مؤشرات الفقر و التهميش متعدد الأبعاد والصحة في سوريا خلال الصراع.

إمباكت للأبحاث: هي فرع من إمباكت للدراسات و التنمية مخصص للأبحاث و إدارة الحوار.

إمباكت IMPACT ، هي منظمة تُعنى بالبحث والتطوير في مجال المجتمع المدني تم تأسيسها في برلين عام 2013 ، ولها مكاتب في العراق وتركيا وسوريا.

تضع المنظمة مهمة دعم المجتمع المدني على رأس أولوياتها، وهي تعمل كوسيط في مجال التعاون وتبادل الخبرات والأفكار بين الفاعلين المحليين في مجال المجتمع المدني وأقرانهم حول العالم. علاوة على ذلك، تقدّم منظمة إمباكت الدعم اللازم للفاعلين والناشطين في مجال المجتمع المدني بما في ذلك التقييم والبحث والتدريب طويل الأمد والدعم المالي، فيما تتبع في أنشطتها وبرامجها نهجاً متكاملًا يراعي الواقع المحلي. وتحقيقاً لهذه الغاية، تسعى إمباكت بشكل دائم للمحافظة على شبكتها من الجهات الفاعلة في المجتمع المدني وتوسيع حجم هذه الشبكة بحيث يعمل أفرادها معاً على مناصرة الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنوع.

تمهيد

بناء قدرة المجتمعات المحلية في شمال شرق سوريا
على الصمود لمنع عودة ظهور داعش

د. سامويل د. هينكن

إن الإرهاب والتطرف العنيف ظواهر بالغة التعقيد، وتشتمل على مجموعة متعددة من الجماعات ذات الأصول والإيديولوجيات والأسباب المختلفة. ومع تنامي موجة الحركات المتطرفة التي تنتشر و تزعزع استقرار المجتمعات المدنية في جميع أنحاء العالم، فإن التطرف والتجنيد للعنف المتطرف معترف بهما على نطاق واسع باعتبارهما تحدياً مجتمعياً حاسماً. إن الفشل في مواجهة التحدي المتمثل في التطرف العنيف يخلف عواقب كبيرة في العالم الحقيقي.

إن تعريف "التطرف العنيف" يشكل قضية تربك صناعات السياسات والباحثين على حد سواء. وعلى غرار الصعوبات التي ينطوي عليها تعريف "الإرهاب"، كثيراً ما يرتبط التطرف العنيف من الناحية المفاهيمية باستخدامات ذاتية ومهينة للمصطلح. وعلى الرغم من عدم وجود إجماع على التعريف، بشطلي عام، يعترف الباحثون والممارسون بأن الإرهاب هو تكتيك، في حين أن التطرف العنيف هو نظام عقائدي لا يمكن فصله عن أعمال العنف التي تمارس للحفاظ على نجاح وبقاء الجماعة (العنف المدفوع أيديولوجياً). وتصف الإيديولوجيات المتطرفة العنيفة العنف ضد الجماعات الخارجية بأنه ضروري لأغراض دفاعية وهجومية و/أو وقائية. وبغض النظر عن كيفية وصف العنف، تعتمد التنظيمات المتطرفة العنيفة على العنف كطريقة أساسية للتعبير داخل نموذجها المتطرف. وتشمل النماذج الرئيسية للتطرف العنيف الحركات العرقية، والدينية، والقومية، والمناهضة للحكومة، والحركات ذات القضية الواحدة. وهذه النماذج لا تستبعد بعضها بعضاً وكثيراً ما تتداخل وتتفاعل وتعزز بعضها البعض في بعض الأحيان. وعموماً، يتجلى التطرف العنيف بطرق متنوعة وبناتج متباينة.

تعتمد سلسلة التقارير التالية المنشورة من منظمة إيمباكت للدراسات و التنمية IMPACT-CSRD وشركائها تعريفاً عملياً للتطرف العنيف على أنه " الإستعداد لاستخدام أو دعم إستخدام العنف لفرض وتطبيق معتقدات وإيديولوجيات معينة ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية" وعلى هذا النحو، يمارس التطرف العنيف لفرض السيطرة والسيطرة على علاقات القوة، مما يعزز المحسوبة داخل المجموعات ويزيل الخلافات خارج المجموعات من خلال إستخدام العنف ضد الأفراد والجماعات والمؤسسات والممتلكات. فالعنف المتطرف - الذي يتخذ في كثير من الأحيان شكل الإرهاب - يؤدي إلى التأثير على سلوكيات الجماعات أو تغييرها أو منعها، وإلى تعبئة الأنصار والمتعاطفين معها، وإلى المساهمة في التجنيد والتطرف.

هناك ثلاثة أسئلة واسعة لكنها مترابطة تدفع إلى إجراء بحوث حول التطرف والتطرف العنيف: (1) كيف و(2) لماذا ينضم الأفراد إلى التنظيمات المتطرفة العنيفة، و(3) ما الذي يدفع الأفراد إلى دعم التنظيمات المتطرفة العنيفة؟ وبناء على ذلك، هناك حجم أدبيات قوي يبحث في أسباب التطرف العنيف ومحركاته، والمسارات المؤدية إليه، لتحديد عوامل التطرف المحتملة المسببة له. ومن المحتم أن يكون هناك تباين في تحديد العوامل والأدوار والظواهر والخبرات التي تولد التطرف العنيف. ومع ذلك، هناك إتفاق عام على أن التطرف والانضمام إلى التنظيمات المتطرفة العنيفة، عملية مستمرة ليس لها مسار واحد محدد، بل مسارات معقدة متعددة تشكلها الأسباب الديناميكية ومستويات السببية.

إن الدوافع والهيكل السببية للتطرف العنيف معقدة ومتعددة الأبعاد، وبالتالي فإن نهج التعامل معها لا بد أن يكون كذلك. تتطلب الجهود المبذولة لمكافحة التطرف العنيف فهم الجذور النفسية والسلوكية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للتطرف العنيف. وهذا الفهم المعقد ضروري لوضع برامج تهدف إلى التخفيف من حدة هذه الإجراءات ومنعها وتعزيز قدرة الفرد والمجتمع على التكيف. وفي حين أن مكافحة الإرهاب تعتمد غالباً على إستراتيجيات ذات صلة بالأمن، فإن برامج مكافحة التطرف العنيف تشمل مجموعة واسعة من المبادرات والأنشطة المتدخلة المصممة لتسهيل فك الارتباط، ونزع التطرف، وإعادة التأهيل على المستويين الفردي والمجتمعي. وبالإضافة إلى ذلك، تشمل برامج مكافحة التطرف العنيف بشكل متزايد الجهود الرامية إلى منع المحسوبة داخل المجموعات الراديكالية من الانتشار في المقام الأول، ويشار إلى ذلك باسم منع التطرف العنيف. وبعبارة أخرى، فإن برامج الوقاية من التطرف ومكافحته، باعتبارها نهجاً تدخلياً، تهدف إلى تنمية القدرة على الصمود بين المجتمعات التي قد تكون عرضة للتطرف العنيف.

يمكن أن تكون برامج الوقاية من التطرف العنيف و مكافحته P/CVE ضيقة النطاق أو واسعة النطاق. في التصور الضيق، تركز الخطة الاستراتيجية لمكافحة التطرف العنيف على تعطيل تجنيد المتطرفين والتطرف في جهود العنف على المستوى الفردي. ومن خلال المفهوم الواسع النطاق، يعمل برنامج مكافحة التطرف العنيف على تعزيز بناء التحالفات المجتمعية، والتماسك الاجتماعي، والقدرة على الصمود. ومع مرور الوقت، كشفت البحوث والممارسات عن عدة عوامل هامة يتعين أخذها بعين الاعتبار، فضلاً عن أسئلة تطرح عند تطوير النطاق المفاهيمي للبرامج والسياسات والاستراتيجيات المستخدمة لمنع التطرف العنيف ومكافحته:

- 1- ما هي أفضل الممارسات في مجال إعداد برامج مكافحة التطرف العنيف (CVE) من أجل سياق معين وكيف يمكن ضمان إمكانية قياس أهداف مكافحة التطرف العنيف، وبالتالي تحقيقها؟
- 2- ما الذي (أو من) سيتم إستهدافه (أي العوامل التي تدفع إلى التطرف العنيف)، وكيف سيتم إستهدافها (أي ممارسات التدخل) و لتحقيق أي غرض (الأهداف) و المخرجات) و التي قد تتأثر بمجموعة من العوامل السياقية؟
- 3- كيف سيتم تقييم برامج الوقاية من اتطرف العنيف و مكافحته P/CVE في سياق معين؟

وعند وضع برامج الوقاية من ومكافحة التطرف العنيف، من الأهمية بمكان النظر في نطاق التدخل، ووسائل الانتقال البرمجية، وكيف ستولد الأثر الأكبر. بعبارة أخرى، لا بد من وضع نظرية أساسية للتغيير لضمان النجاح.

وعلى الرغم من عدم وجود نموذج "المقاس الواحد الذي يناسب الجميع"، إلا أن الإجماع الناشئ في ممارسات مكافحة التطرف العنيف يدرك أن نظرية التغيير الأساسية التي تعتمد على منهجيات تهدف إلى زيادة قدرة المجتمع المحلي على مقاومة العنف المتطرف والتخفيف من وطأته (النماذج المحلية الحساسة) تظهر إمكانية إحداث تأثير أكبر واستدامة أكبر. وتدرك النماذج المحلية الحساسة الموجهة للمجتمع أنه إذا كان مختلف ممثلي أصحاب المصلحة المختلفين مجهزين بشكل أفضل لوضع خطط مجتمعية المنحى لبناء شراكات وتحالفات محلية لمعالجة مسألة مكافحة التطرف العنيف وتعزيز قدرة المجتمعات المحلية على الصمود، فمن الأرجح أن تقبل مجتمعاتهم المحلية برامجها. إن المزيد من القبول يمكن أن يؤدي إلى النجاح في منع التطرف ومكافحته وتعزيز فك الارتباط ونزع التطرف. وسوف تؤدي برامج مكافحة التطرف العنيف الأكثر نجاحاً إلى تراجع عدد الأفراد الضعفاء الذين يتجهون نحو التطرف العنيف. وبالإضافة إلى ذلك، وعلى مستوى المجتمع المحلي، فإن الاستثمار في الشركاء المحليين لتسهيل تشكيل تحالف أقوى من أصحاب المصلحة المتنوعين من شأنه أن يزيد من القدرة على الصمود في حالة العنف المتطرف، ويساعد على منع دورات العنف التصاعدي أو التخفيف من حدتها.

وفي حين تستمر برامج مكافحة التطرف العنيف الموجهة نحو المجتمع المحلي في الانتشار في مختلف أنحاء العالم، فإن النماذج الشاملة والحساسة محلياً مهمة بشكل خاص في الشرق الأوسط، وتحديداً في العراق وسوريا، لمنع عودة ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا. وتجدر الإشارة إلى أن الأنواع والجهات الفاعلة والأسباب الكامنة وراء التطرف العنيف والإرهاب في جميع أنحاء الشرق الأوسط تتباين تبايناً كبيراً، وأن التطرف العنيف ليس بأي حال من الأحوال ظاهرة جديدة في المنطقة. ومع ذلك، ففي مجموعة التقارير التي تلي ذلك، فإن

التصدي لتأثير تنظيم "الدولة الإسلامية" وتعزيز صمود المجتمعات المحلية لمنع عودة ظهور تنظيم "الدولة الإسلامية" في شمال شرق سوريا (NES) تحظى بحق باهتمام كبير.

أدى الصعود السريع ل تنظيم "الدولة الإسلامية" وقدرته على إنشاء مناطق والسيطرة عليها إلى تغيير المشهد الإرهابي العالمي بشكل ملحوظ، مما أثار مخاوف أمنية كبيرة. وفي الشرق الأوسط، تجسدت هذه المخاوف الأمنية بطرق عديدة. أولاً، كانت السيطرة الإقليمية ل تنظيم "الدولة الإسلامية" في كل من العراق وسوريا كبيرة، ولا تزال الدولتان ترتبطان بالحرب والصراع. وفي أوجها، انتشرت الدولة الإسلامية (الخلافة المعلنة من قبل تنظيم داعش) عبر ثلث سوريا (في شمال شرق البلاد في الأغلب) و أربعين بالمائة من مساحة العراق، و هي مساحة جغرافية يقطنها ما يقرب من ثمانية ملايين نسمة.¹ ثانياً، جلب نجاح داعش في التجنيد عدداً كبيراً من المقاتلين الإرهابيين الأجانب إلى المنطقة؛ أكثر من 30,000 آلاف مقاتل من 100 دولة مختلفة جاؤوا إلى سوريا وحدها بحلول عام 2015.² ثالثاً، أسس تنظيم "الدولة الإسلامية" نظاماً سياسياً واجتماعياً-اقتصادياً بالغ العنف وحافظ عليه، بهدف تحقيق التجانس بين سكانه والقضاء على الخلافات المتصورة. وعلى الرغم من أن تنظيم الدولة الإسلامية قد خسر لاحقاً سيطرته الإقليمية في العراق وسوريا، إلا أن تأثيره لا يزال مستمراً في تشكيل العلاقات المجتمعية اليوم. لا يزال مشهد التطرف العنيف المتعدد الأبعاد في العراق وسوريا معقداً للغاية، حيث لا تزال دوافع التطرف وأسبابه موجودة، مما يولد مخاوف من عودة تنظيم الدولة الإسلامية.

من أجل تقديم صورة شاملة عن الوضع الحالي للتطرف العنيف في شمال شرق سوريا والمنطقة بشكل أوسع، تأخذ أبحاث إمباكت نهجاً إقليمياً ومحلياً يقوم على دراسة حركات التطرف العنيفة في المنطقة، ليس فقط باعتبارها منتجات لنشاط جهادي عابر للحدود الوطنية كما يزعم غالباً، بل باعتبارها منتجات للتاريخ الإقليمي والديناميات السياسية المحلية، والعرقية والدينية، والثقافية، والاجتماعية-الاقتصادية. وفي المقابل، فإن إطار عمل وبرامج مكافحة التطرف العنيف في IMPACT يأخذ بعين الاعتبار ديناميات السياق المحلي التي تعالج السرديات المحلية الأسباب الاجتماعية والاقتصادية الجذرية للتطرف العنيف في شمال شرق سوريا. إن المجموعة التالية من البحث تقدم رؤية متممة لأهداف البحث، المدرجة أدناه، وتوصيات قابلة للتنفيذ لبرامج الوقاية من ومكافحة التطرف العنيف P/CVE في شمال شرق سوريا:

- 1- تحديد السرديات والمواقف المحلية حول الدوافع للانضمام إلى الجماعات المتطرفة؛
- 2- تحديد الأسباب الجذرية الاجتماعية والاقتصادية المحلية لظهور الجماعات المتطرفة في المواقع المستهدفة؛
- 3- تحديد الثغرات في الاستجابة للأسباب الجذرية، وتقديم توصيات بشأن التدخلات لمنع عودة ظهور داعش.

1 بوراك، ك. 2021. المنطق الإقليمي لتنظيم الدولة الإسلامية: نهج متعدد التخصصات. الإقليم، السياسة، الحكم، 9 (1)، 11-94.
2 شميد، أ.، وتينيس، ج. 2015. المقاتلون الأجانب (الإرهابيون) مع تنظيم الدولة الإسلامية: منظور أوروبي. تقرير المركز الدولي لمكافحة الإرهاب، 8 (6).

الأولويات المحلية و التوجهات العامة في شمال شرق سوريا

شورش درويش- جلنار أحمد

الملخص التنفيذي:

خضعت منطقة شمال شرق سوريا خلال العقد الماضي لسلسلة من التحولات الجذرية في السياق المحلي على الصعيد الأمني و السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي، والتي أدت إلى تشكل حالة خاصة تختلف عن باقي مناطق الجغرافية السورية. حيث يلعب كل من التنوع الديموغرافي في المنطقة، والبنية الخاصة لهيكل الحكم المحلية التي ظهرت و تطورت خلال سنوات الصراع دوراً محورياً في رسم المشهد العام و في تحليل واقع المجتمعات و المجموعات المحلية المختلفة القاطنة في المنطقة.

يعتمد هذا التقرير على نتائج دراسة استطلاعية قام بها فريق إمباكت في الفترة الواقعة بين تشرين الأول/أكتوبر و كانون الأول/ديسمبر 2020، بهدف استكشاف الأوضاع الخدمية و التيارات السياسية و البنى الاجتماعية الحالية في منطقة شمال شرق سوريا، وعلاقتها مع المجتمعات المحلية. اعتمدت الدراسة على نتائج استبيان لعينة من أكثر من 500 شخص من خلفيات إثنية و ديموغرافية و اجتماعية و اقتصادية مختلفة، و كذلك على مجموعة من المقابلات مع الشخصيات المفتاحية في المنطقة.

في حين يركز سكان شمال شرق سوريا تحت ضغوطات و معاناة متعلقة بالواقع الذي يفرضه استمرار الصراع و هي مشابهة للمشهد العام في العديد من مناطق سوريا التي تعرّضت لتدمير البنى التحتية و تردي الأوضاع المعيشية و تراجع أو خسارة مصادر الدخل، إلا أن الهاجس الأمني يبقى الأعلى على سلم الأولويات لدى سكان المنطقة، بقيمة مرجحة تعادل 28% بحسب نتائج الاستبيان يليها السكن و سبل العيش (20% و 19% على التوالي). إلا أنه و من الجدير بالذكر أن الاختلافات المحلية في السياق عبر المناطق الجغرافية المختلفة لمنطقة شمال شرق سوريا، تنعكس أيضاً على التخوفات الأمنية لدى السكان و مصادر التهديد المحتملة. ففي محافظة الحسكة لا تزال عملية "نزع السلاح" التي قادتها تركيا في 2019 تلقي بظلالها على المنطقة، حيث يعتبر 23% من المشاركين بالاستبيان من الحسكة أن تركيا تمثل التهديد الأخطر، تليها داعش (18%). أما في الرقة و دير الزور تظهر داعش كمصدر أساسي للتهديد بمعدل 23% و 20% بحسب المستجيبين في المحافظتين على التوالي.

أما بما يخص الخدمات والأولويات المعيشية فتشير نتائج هذه الدراسة أنه نتيجة للتدمير الذي لحق بالبنى التحتية و الضعف العام في إدارة المنطقة، رغم الجهود المختلفة للاستجابة من فاعلين مختلفين، فإن الخدمات الأساسية لا تزال حاجة أساسية للسكان، حيث تحتل المرتبة الرابعة على سلم الأولويات بقيمة مرجحة تعادل 18%. تشير نتائج الاستبيان إلى أن ما يقارب نصف العينة المستهدفة ترى أن توافر خدمات مياه و الكهرباء يتراوح بين سيء و سيء جداً.

على صعيد آخر فإن الخدمات النوعية كالصحة و التعليم و القضاء تشكل حالة أكثر تعقيداً و ذلك لتعدد الجهات المنخرطة بتقديم هذه الخدمات و لارتباطها بالتوجهات السياسية أو الاجتماعية. ففي حين تشير نتائج الاستبيان إلى أن 68% من العينة المستهدفة قاموا باختيار المراكز التعليمية المدارة من قبل الإدارة الذاتية كأحد المصادر الأساسية للتعليم، إلا أنه و في نفس الوقت فإن نسبة تعادل 43% يرون في المدارس و المراكز التعليمية التابعة للحكومة السورية خياراً مفضلاً. ففي حين يحتل قرب و توافر المؤسسات التعليمية المركز الأول في قائمة الأولويات بما يخص قطاع التعليم بقيمة مرجحة تعادل 23% من العينة المستبناة، إلا أن القضايا الأخرى المتعلقة بالتعليم كالمناهج المستخدمة و كفاءات الكادر التدريسي و لغة التدريس و الشهادات و الاعتراف تأتي في مراكز متقاربة على سلم الأولويات بقيمة تتراوح بين 16% و 19%. مع العلم أن درجة أهمية هذا العوامل ودورها في قرار السكان في اللجوء إلى أحد مصادر التعليم دوناً عن الأخرى يختلف أيضاً باختلاف المناطق و الخصائص الديموغرافية للسكان. على سبيل المثال تحتل لغة التدريس الدرجة الثانية في سلم الأولويات بالنسبة للمستجيبين من محافظة الحسكة حيث تتواجد النسبة الأعلى من الإثنيات غير العربية وبشكل أساسي الكردي، في حين أن لغة التدريس تأتي في المركز الرابع أو الخامس على سلم الأولويات في دير الزور و لرقه ذات الغالبية العربية.

تشير نتائج هذه الدراسة أيضاً إلى تفاوت في معدلات الرضا عن أداء الإدارة المحلية في المنطقة ومستويات الثقة بقدرتها على الاستجابة لاحتياجات و تطلعات السكان باختلاف المناطق و عمر تجربة الإدارة فيها؛ ففي حين ترى محافظة الحسكة المعدلات الأعلى من الثقة و الرضا عن أداء الإدارات المحلية، و هي المحافظة التي انطلقت منها تجربة الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا في عام 2014، في المقابل فإن أدنى معدلات الثقة و الرضا هي من العينة المستبناة في دير الزور التي كانت من آخر المناطق التي صُمت إلى الإدارة الذاتية بعد طرد تنظيم داعش في عام 2019. إلا أن نتائج الدراسة تشير أيضاً إلى أن نسبة جيدة من السكان (34% من العينة المستبناة) تعتبر أن الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا هي الأقرب إلى توجهاتها عند المفاضلة بين الخيارات الأخرى المتوفرة كالحكومة السورية أو الائتلاف الوطني لقوى الثورة و المعارضة السورية أو الجهات المعارضة الأخرى في حين أن النسبة الأكبر 44% ترى أن لاجهة محدّدة تمثّلها.

بشكل مشابه وعلى صعيد التوجهات السياسية تشير الدراسة إلى أن النسبة الأكبر من العينة المستبناة (55%) لا يشعرون بالتمثيل السياسي وأن لا جهة محدّدة تمثّل توجهاتهم وتطلعاتهم السياسية. هنا أيضاً يلعب العامل الديمغرافي وبشكل أساسي الانتماء الاثني دوراً بارزاً في تشكيل التوجهات وتحديد التمثيل. حيث أن ما يقارب ربع العينة المستبناة في محافظة الحسكة أشاروا إلى أحد الأحزاب الكردية باعتباره الأقرب لتوجهاتهم السياسية. أما في محافظة الرقة فقد عبر ما يقارب 30% من العينة أن المعارضة السورية تشكل الخيار السياسي الأقرب لتوجهاتهم في حين اختار 15% منهم حزب سوريا المستقبل و هو حزب معارض تشكل في كنف الإدارة الآتية في الرقة عام 2018. أما على صعيد الحكومة السورية فبحسب نتائج الاستبيان فإن ما يقارب 9% من العينة في عموم شمال شرق سوريا يرون فيها الخيار الأقرب لتوجهاتهم. في غياب الحراك السياسي الحقيقي وضعف التمثيل والشرعية للجهات السياسية بشكل عام، تبرز الواجهات و الهياكل الاجتماعية كبديل تمثيلي لسكان المنطقة ومنها الهياكل التقليدية كالعشائر والشخصيات والمؤسسات الدينية أو الهياكل الحديثة المنبثقة من تجربة الإدارة في المنطقة كاللجان المحلية (الكومين) أو منظمات المجتمع المدني. ففي حين يرى 35% من العينة أن لا جهة محددة تمثل مصالحهم على الصعيد الاجتماعي، تتباين آراء العينة أيضاً بحسب المنطقة. إذ تظهر في مناطق الحسكة التوجّهات الاجتماعية الأقرب إلى الهياكل الحديثة، كالمجالس المحلية والكومينات و المنظمات المحلية بشكل أكبر من دور العشيرة أو الشخصيات الدينية ذات الحضور الأبرز في الرقة و دير الزور.

برزت تسمية "شمال شرق سوريا" كتسمية جغرافية للدلالة على المناطق التي يرسم فيها نهر الفرات المنطقة من جهتها الغربية فيما تحدها شمالاً تركيا وشرقاً العراق، والتي تعرف أيضاً باسم "شرق الفرات"، ولتحل هذه التسمية عوضاً عن "الجزيرة السورية" التي كانت تعني المحافظات السورية الثلاث، الحسكة والرقعة ودير الزور وأجزاء من محافظة حلب. أصبحت تسمية شمال شرق سوريا دارجة عند الحديث عن المناطق الخاضعة لسيطرة الإدارة الذاتية بعد أن تمّ دحر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في الرقة ودير الزور وريف الحسكة الجنوبي.

تنوّعت الجهات والقوى والفصائل المسلحة التي سيطرت على مناطق شمال شرق سوريا، وكانت فترة سيطرة داعش على محافظتي الرقة ودير الزور ومناطق محدودة في محافظة الحسكة أكثر المراحل إثارة للربح والتخريب للطبيعة الإثنية والاجتماعية في المنطقة، ومع اندحار داعش على يد التحالف الدولي وقوّات سوريا الديمقراطية (قسد) باتت المنطقة في معظمها تتبع للإدارة الذاتية، بعد أن كانت الإدارة تتركز في المناطق الكردية وذات الغالبية الكردية في الشريط الحدودي الشمالي لسوريا، الأمر الذي وجّه الأنظار إلى مناطق ينعدم فيها الوجود الكردي أو يتضائل، وبالتالي بدأت الإدارة الذاتية بتغيير اسمها ليستقر منذ ثلاث سنوات على الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا.

ثمة خليط إثني وديني في هذه المنطقة، العرب والكرد والسريان الآشوريين والتركمان والأرمن والشيشان، مسلمون ومسيحيون وإيزيديون، فضلاً عن حالة التنوّع السياسي، حيث تتعدد الأحزاب الكردية والعربية والسريانية والاتجاهات الوطنية الجامعة، تنضوي معظم الأحزاب والتيارات السياسية أو تتبع لتحالفات المعارضة (الإئتلاف وهيئة التنسيق...) أو تحسب على الحكومة السورية (حزب البعث العربي الاشتراكي والجمبهة الوطنية التقدمية)، بالإضافة إلى التنوّع القبلي العشائري وحضور القبيلة العربية بشكل لافت، وتوزّع المنطقة إلى ريف ومدينة. تركز الدراسة في قسمها الأول على استكشاف الحالة الخدمية والخدمات النوعية، ومقدار رضا السكان عنها، والاختلافات بينها في المحافظات الثلاث، وتسليط الضوء على الوضع المعيشي، وأولويات السكان من حيث الأمن والسكن وسبل العيش والخدمات الأساسية (ماء وكهرباء واتصالات) وتقييم جودة هذه الخدمات، بالإضافة إلى إفراد مساحة للحديث عن الخدمات النوعية (التعليم والصحة) وتقييم جودة تلك الخدمات وتوفرها بالشكل المناسب.

وفي القسم الثاني حاولت الدراسة الوقوف على الاتجاهات السياسية والبنى الاجتماعية للسكان في المحافظات الثلاث، وهي محاولة لفهم أوسع للديناميات الاجتماعية والسياسية المؤثرة في المشهد العام للمنطقة ومستقبلها وذلك بالوقوف على الإدارات المحلية الحالية، وتسليط الضوء في المبحث الأول على التمثيل السياسي من حيث الجهات الممثلة لتوجهات السكان في كل محافظة على حدة، فيما تركز المبحث الثاني على رصد الاتجاهات الاجتماعية الممثلة لتوجهات السكان، ودورها في المشهد العام.

التطورات منذ عام 2011

خضع شمال شرق سوريا لصراعات وتقلبات منذ عام 2011، مع تراجع سلطة النظام المفروضة منذ ستينيات القرن الماضي، بدأت سيطرة النظام الفعلية تنتهي عبر الانسحابات التي أقدمت عليها القوّات الحكومية صيف 2012، وكانت المنطقة عرضة لتغيّر القوى المسلّحة، البداية كانت مع سيطرة فصائل المعارضة المسلّحة، وجبهة النصرة (فرع تنظيم القاعدة في سوريا) على الرقة ومناطق شاسعة من دير الزور، فيما بسطت وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة سيطرتها على المناطق ذات الغالبية الكردية وتنامى دورها بعد أن ألحقت الهزيمة بفصائل "الجيش الحر" وجبهة النصرة في رأس العين نهاية عام 2012، فيما انحسر تواجد النظام إلى داخل مربّعات أمنية في مدينتي الحسكة والقامشلي، وليسطر فيما بعد على معظم مدينة دير الزور المدمّرة.

مع صعود تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" أواخر عام 2013 وتخلّصه من منافسيه المحليين، الجيش الحر وجبهة النصرة، بدأت مرحلة مربعة في تاريخ المنطقة، وبدأ التنظيم الإقليمي الممتد على حدود مساحات شاسعة داخل العراق وسوريا يشكل خطراً يهدد الأمن الدولي، ويملك آلاف المقاتلين الخطرين ويستحوذ على موارد مالية ضخمة، ومع حملته العسكرية على مدينة كوباني 2014 بدأ العد التنازلي للتنظيم مع تدخل التحالف الدولي لمحاربة داعش بقيادة الولايات المتحدة مدعوماً على الأرض بقوات سوريا الديمقراطية، أفضت الحرب على داعش إلى هزائم متتالية لحقت بالتنظيم ولتحسم المعارك في قرية الباغوز 2019، لتتحوّل استراتيجية التنظيم إلى اتباع أساليب تحريك الخلايا في المنطقة لا سيما في ريف دير الزور الشرقي، عبر القيام بعمليات تصفية وفرض مبالغ مالية على السكّان تحت مسمّيات مختلفة، في تأكيد على بقاء التنظيم رغم انهيار "الخلافة".

نجم عن هزيمة داعش سجن ما يقارب 10,000 من مقاتلي داعش³ ما يستوجب وضعهم تحت المراقبة المستمرة وخاصة بعد حدوث حالات استعصاء متكررة في السجون، بالإضافة إلى ذلك تحتضن المنطقة ستة مخيّمات للنازحين بما فيها مخيم الهول الذي يأوي قرابة 70.000 شخص بما في ذلك عائلات مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية.⁴

3 خضر خضور: تحديات السلام في سوريا من دون ادماج شرق الفرات IMPACT-2020

4 <https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/camp-and-informal-site-profiles-northeast-syria-october-2019>

اعتمدت منهجية الدراسة على مقاطعة بيانات كمية ونوعية من مصدرين أساسيين للبيانات

أولاً: مصادر ثانوية، وتتضمن تقارير وأبحاث واحصائيات متوفرة عن المنطقة بالإضافة إلى التقارير الإخبارية والوثائق الرسمية وغيرها.

ثانياً: مصادر أولية، و تشمل البيانات التي تم جمعها خصيصاً لهذا الغرض باستخدام مصدرين أساسيين:

1- استبيان استطلاع رأي لعينة من سكان شمال شرق سوريا.

2- مقابلات معمقة مع شخصيات مفتاحية من المنطقة.

تم تصميم الاستبيان من قبل فريق الأبحاث في إمباكت على شكل استطلاع رأي يغطي ثلاثة أقسام رئيسية. يشمل القسم الأول عدة أسئلة حول البيانات الديموغرافية للمستجيبين، وتتضمن: الجنس والعمر والاثنية والديانة ومكان الإقامة وطبيعتها ومصادر الدخل ومستويات التحصيل العلمي. حيث تشكل هذه البيانات المتغيرات الأساسية في تحليل بيانات الأقسام الأخرى من الاستبيان. أما القسم الثاني من الاستبيان فيغطي قطاع الخدمات الأولويات المعيشية و يركز على قطاعات الخدمات الأساسية (مياه، كهرباء، اتصالات) والخدمات النوعية كالتعلم والصحة والقضاء من ناحية الأولويات للمستجيبين ومصادر الخدمات و جودتها و توافرها، بالإضافة إلى استطلاع آراء المستجيبين حول أهم مقدمي الخدمات في المنطقة. في حين يغطي القسم الثالث من الاستبيان جانب الإدارة المحلية والتمثيل السياسي حيث يستطلع آراء المستجيبين حول الأولويات والمخاوف و التمثيل السياسي و الاجتماعي.

الاستبيان مجهول الهوية لزيادة الثقة واعطاء الحرية للمستجيبين في تقديم إجاباتهم، كما يتضمن كل سؤال في الاستبيان خيار رفض الاجابة و خيار "غير ذلك" أو "لا أعرف" و ذلك لاعطاء المشاركين الحرية للامتناع عن الاجابة عن أي سؤال ولتجنب الانحراف في قيم الاستبيان نتيجة عدم وجود خيار ملائم.

تم إجراء الاستبيان من قبل فريق ميداني من ثمانية باحثات وباحثين ذوي خبرة سابقة في المجال موزعين على المناطق الجغرافية المختلفة المشمولة في الاستبيان من خلال استخدام تطبيق جمع بيانات افتراضي. تم تدريب الفريق الميداني قبل البدء بالعمل من قبل فريق الأبحاث في إمباكت حيث شمل التدريب قسمين أساسيين: القسم الأول يتعلق بالمهارات اللازمة لإجراء الاستبيان بما في ذلك التعريف و التقديم واعلام المستجيب بالغرض من الأسئلة وآليات طرح السؤال و تسجيل الاجابة. أما القسم الثاني من التدريب فقد ركز على محتوى الاستبيان ومراجعة ونقاش كل سؤال فيه. بالإضافة قام كل فرد من فريق الاستبيان بإجراء استبيان تجربة قبل البدء بالعمل للتأكد من وضوح الأسئلة و ملائمتها و أيضاً للتحقق من عدم وجود أي مشاكل تقنية في الاستبيان و منصة جمع البيانات. خلال فترة إجراء الاستبيان كان الفريق على تواصل دائم مع فريق إمباكت للاجابة على اي اسئلة او تحديات تطراً من بيئة العمل نفسها.

نظراً لصعوبات التنقل والحركة بسبب انتشار وباء كوفيد19- و التزاماً بالاجراءات المتبعة في المنطقة والمحددة من قبل السلطات المحلية تم اجراء غالبية الاستبيانات عن طريق الهاتف/الانترنت (78%) في حين تم اجراء 22% من الاستبيانات بشكل شخصي من قبل الباحثين و الباحثات. تم اختيار عينة المستجيبين باعتماد آلية اختيار عينة عشوائية شرائحية لضمان شمول العينة للشرائح و الفئات الديموغرافية المختلفة في المنطقة مع العلم ان العينة لا تشكل تمثيلاً احصائياً دقيقاً للتوزع السكاني في المنطقة كما هو موضح في قسم محددات الدراسة أدناه. أما بالنسبة للمقابلات النوعية المعمقة مع شخصيات مفتاحية، فقد بلغ عدد المقابلات 15 وقد أجريت مع وجهاء وشيوخ عشائر، وسياسيين ومسؤولين حزبيين، وإداريين، من الكرد والعرب والسريان، ومن مختلف مناطق شمال شرق سوريا (الحسكة - الرقة دير- الزور)، وبالاعتماد على ثلاثة باحثين موزعين على تلك المناطق بعد أن خضعوا للتدريب المتصل بغاية البحث الأساسية.

محدّات الدراسة

- التمثيل و اختيار العينة: تم اختيار العينة المختارة للاستبيان باعتماد آلية اختيار عينة عشوائية شرائحية. إلا أنه و بسبب التحديات المتعلقة بصعوبات الحركة و التنقل وكذلك الخط الزمني القصير للمشروع وعدم توافر احصائيات دقيقة عن عدد السكان والتوزع الديمغرافي لسكان المنطقة فإن العينة لا يمكن اعتبارها ممثلة احصائياً. تجدر الملاحظة أن العينة تم اختيارها لتعكس بشكل تقريبي التوزع السكاني و الديمغرافي في المنطقة.
- إن تعدد الجهات المسيطرة في منطقة شمال شرق والتخوفات الامنية المرتبطة بذلك دفعت فريق البحث إلى تركيز أغلب العمل في مناطق سيطرة الادارة الذاتية في شمال شرق سوريا مع استهداف عينة صغيرة في الاستبيان عن بعد من مناطق سيطرة الحكومة السورية.

خصائص عينة الاستبيان

شمل الاستبيان عينة من 504 افراد من سكان شمال شرق سوريا من مدن و بلدات مختلفة في المحافظات الثلاث الرقة و الحسكة و دير الزور، 33% منهم من النساء. تنوعت الفئات العمرية للمستجيبين حيث شملت 25% من فئة الشباب (18-29 عاماً) و 26% تتراوح اعمارهم بين 30 و 39 عاماً و 25% بين عمر 40 و 59 عاماً، في حين كان 18% من المستبائين فوق الـ 60 عاماً و 6% تحت 18 عام.

من ناحية الاثنية والدين واللغة الام فقد تنوعت ايضاً العينة بشكل يقارب توزع هذه الفئات في المنطقة بشكل عام، حيث أن 67% من العينة هم من العرب و 28% من الكرد و 3% من اثنيات اخرى في حين فضل 2% من المستبائين عدم التصريح بالاثنية التي ينتمون لها. بشكل مشابه تنوعت اللغة الام للمستبائين مع 68% اختاروا العربية كلغتهم الاساسية و 28% اختاروا الكردية. اما من ناحية الدين فقد صرح 95% من المستبائين انهم ينتمون لدين الاسلام مقابل 1% فقط من الديانة المسيحية في حين فضل 3% من المستبائين عدم التصريح بديانتهم. أما فيما يخص الانتماء العشائري فقد أكد 35% من المستبائين عدم انتمائهم لأي عشيرة، مقابل 17% ممن صرحوا بانتمهم لعشيرة البكاره، في حين توزعت باقي العينة على مجموعة من القبائل و العشائر منها شمر، طي، العقيدات، البوشعبان و غيرها.

على صعيد آخر و انعكاساً لنسب النزوح العالية في المنطقة نتيجة الصراع في السنوات الاخيرة، فقد شملت العينة نسباً متساوية من النازحين او المقيمين. إلا أن ما يزيد عن نصف العينة (53%) فضلوا عدم التصريح بطبيعة و نوع اقامتهم، في حين تنوعت طبيعة الإقامة للـ 47% البقية من العينة حيث صرح 63% منهم انهم يقيمون في منازل اجار مقابل 5% فقط ممن يقطنون منزلاً يمتلكونه و 19% يقيمون في مراكز ابواء مؤقتة.

بالاضافة إلى ما سبق، فقد شمل الاستبيان أيضاً الخلفية التعليمية و مصدر الدخل كعاملين أساسيين من العوامل الاقتصادية الاجتماعية. حيث أن 29% من العينة المشمولة بالاستبيان هم من حملة الشهادات الجامعية او التدريب المهني، مقابل 19% من حملة الشهادة الثانوية (12 سنة دراسية) و 20% من حملة الشهادة الاعدادية (تسع سنوات دراسية) و 14% ممن أتموا التعليم الابتدائي (ست سنوات دراسية) في حين ان 16% من العينة هم من غير المتعلمين.

أما بما يخص مصدر الدخل فيشكل العاطلون عن العمل 34% من العينة المختارة، في حين تأتي الاعمال الحرة في المرتبة الازلي من ناحية مصادر الدخل بـ 19% من العينة، يليها التوظيف الثابت (14%) و التوظيف المؤقت (13%). في حين صرح 7% من المستبائين باعتمادهم على المساعدات كمصدر دخل أساسي.

الأولويات المعيشية والخدمات

أولاً: الوضع المعيشي

أثرت الحرب بدرجة كبيرة على الأوضاع المعيشية للسكان في شمال وشرق سوريا، وخاصة في المناطق التي شهدت معارك أفضت إلى تدمير البنية التحتية بخاصة في الرقة ودير الزور وريف الحسكة الجنوبي، في بعض المدن مثلاً كانت شبكات المياه وشبكات الصرف الصحي والطرق مدمرة بالكامل، في المقابل، فإنه في المناطق التي لم تحدث فيها معارك ما تزال البنية التحتية فيها صالحة بدرجات متفاوتة. عرفت منطقة شمال وشرق سوريا بأنها الأقل نمواً في سوريا، إذ وصلت معدلات البطالة فيها إلى 40% حتى عام 2011 رغم أنها تمثل "سلة غذاء سوريا" والمصدر الرئيس للقمح والشعير والقطن والمواشي، كما إنها تنتج 80% من النفط في سوريا ومن الغاز الطبيعي، لكن رغم خروج شمال شرق سوريا من سيطرة الحكومة السورية إلا أن واقع الحرب وسوء الأداء الإداري والاقتصادي وغياب الاستراتيجية الاقتصادية وسحب الدعم عن المواد الأساسية (الخبز والبنزين) وضعف الخدمات العامة من ماء وكهرباء وطرق، وتعثر عملية الاستثمار الأمثل للموارد النفطية نتيجة النقص الحاد في المعدات ووسائل الانتاج والتسويق، ساهمت في تردي الأوضاع المعيشية للسكان.

أدت خسارة جزء كبير من السكان لمصادر معيشتهم الرئيسية، المكاتب والمحلات التجارية والخدمات الزراعية والمنشآت الصناعية الصغيرة وتربية المواشي، ونشاط حركة التهريب وبالإضافة إلى معدلات التضخم العالية وفقدان الليرة السورية قوتها الشرائية ، إلى تردي الأوضاع المعيشية، إذ يكشف 44% من مستجبي العينة أن أوضاعهم سيئة وسيئة جداً، فيما أشار 14% إلى أن وضعهم المعيشي جيد وجيد جداً، وبطبيعة الحال فإن 42% قيموا وضعهم بالمتوسط (Figure 1). بالنظر إلى التباينات في هذا التقييم بناء على التوزيع الجغرافي يظهر جلياً أن العينة المستبناة في دير الزور تعطي تقييماً أسوأ بشكل عام للوضع المعيشي بما يقارب 60% من العينة قيمت الوضع بالسيء او السيء جداً. (Figure 2)

Figure 1 كيف تقيم الوضع المعيشي لك ولعائلتك في الوقت الراهن

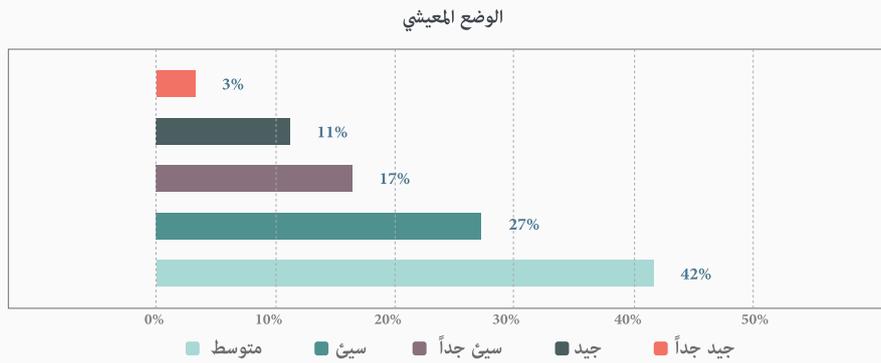
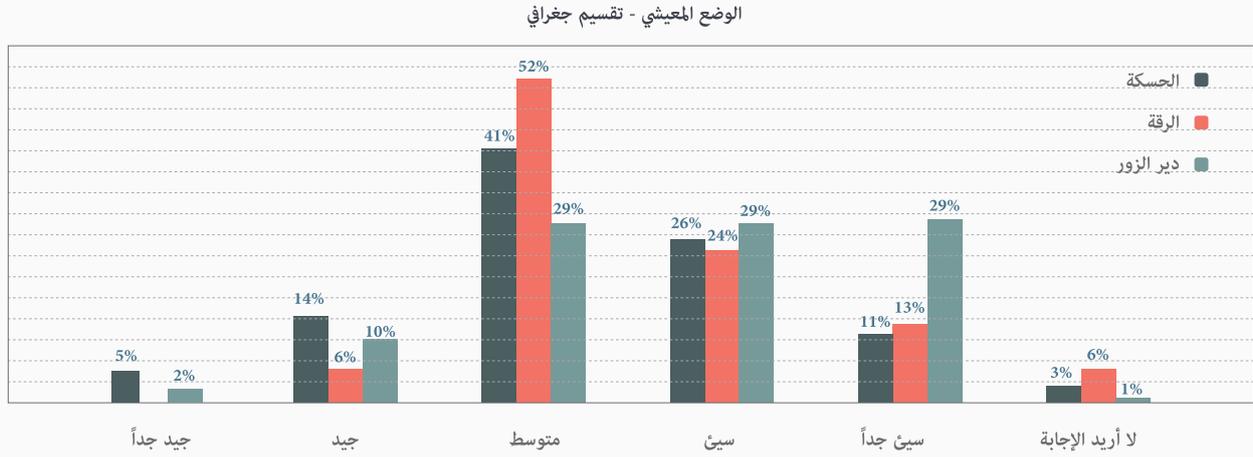
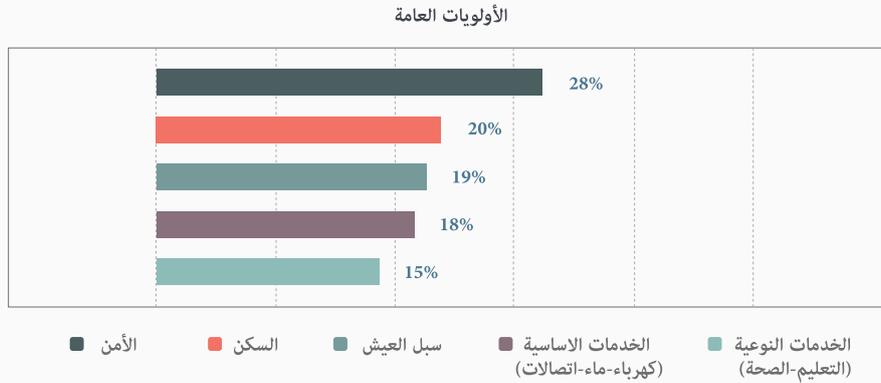


Figure 2 كيف تقيم الوضع المعيشي لك ولعائلتك في الوقت الراهن- تقسيم بحسب المحافظة



ثانياً: الأولويات العامة

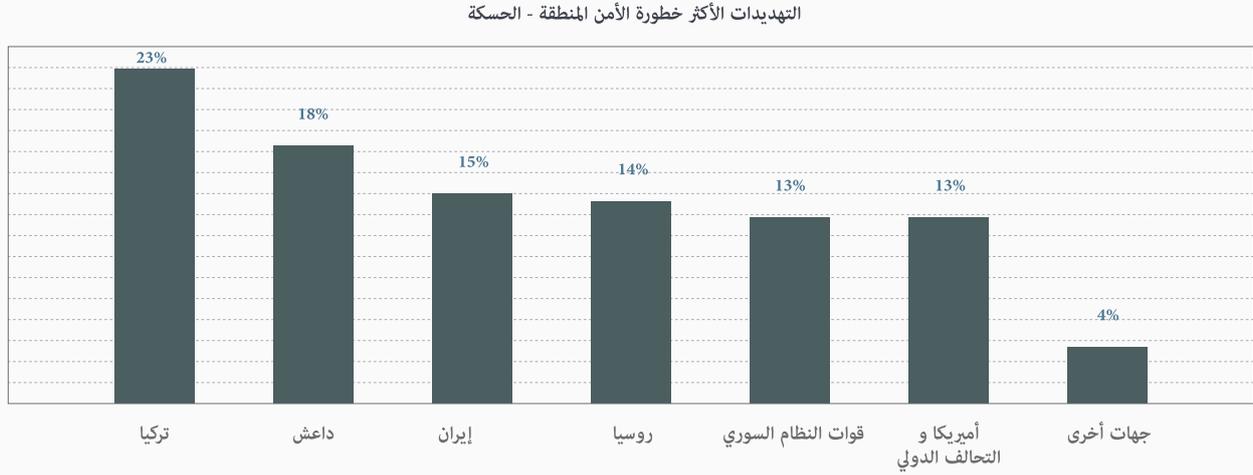
Figure 3 الأولويات العامة مرتبة بحسب الأهمية



أ-الأمن

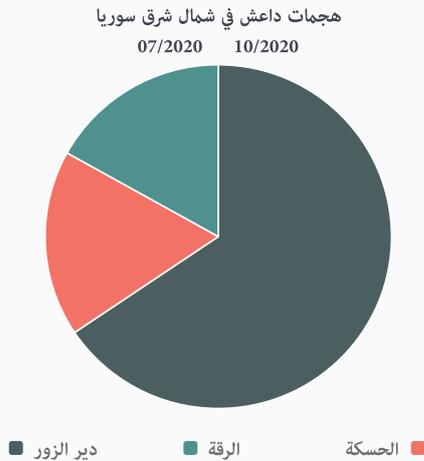
يقف الأمن على رأس الأولويات التي يركّز عليها السكان في شمال شرق سوريا، إذ حازت 28% على سلم الأولويات في الاستبيان (Figure 3)، بما يمثله الأمن هنا مفهومه العام من حيث الشعور العام بالامان من قبل السكان في المناطق المستهدفة. تنطلق المخاوف الأمنية للسكان منطلقاً من اعتبارات عدّة؛ ففي الشمال/الحسكة قال 23% من المستجيبين أن تركيا تمثل أكبر التهديدات للأمن في المنطقة يليها داعش (18% Figure 4)، حيث أن هناك تخوف من تكرار تجربة عملية "نبع السلام" التركية التي استهدفت منطقتي رأس العين وتل أبيض وأفضت إلى موجات نزوح كبيرة فاقت 300 ألف نازح من المنطقتين بالإضافة إلى المناطق المجاورة في الدرباسية وكوباني (عين العرب)⁵، وعند سؤال المستجيبين عن شعورهم بالأمان بدى أن 57% موافقتهم على الأمان في المنطقة، وهي نسبة مرتفعة في محافظة الحسكة قياساً على بقية المحافظات (Figure 8)، حيث لم تشهد محافظة الحسكة تهديدات فعلية من داعش خلال السنوات الثلاث الماضية بالإضافة إلى أن المناطق الحدودية لا تشهد مواجهات مع القوات التركية وفصائل المعارضة المسلّحة باستثناء ريفي بلدي أبو راسين وتل تمر المتاخمتين لمنطقة رأس العين.

Figure 4 ما هو التهديد الأكثر خطورة لامن المنطقة؟ رتب بحسب الهمية- الحسكة



في حين أن المخاوف في المناطق الأبعد حدودياً، أي في الرقة ودير الزور فتمثلت مخاوف المستجيبين في عودة سيطرة داعش حيث قال 23% في الرقة و20% من دير الزور أنه يمثل أهم التهديدات الأمنية (Figure 7, Figure 6)، حيث غيّرت داعش من استراتيجياتها بعد الهزيمة العسكرية التي منيت بها في الباغوز 24 آذار/مارس 2019، حيث يواصل مقاتو داعش شن هجمات منتظمة في مناطق شمال شرق سوريا. بحسب المنظمة الدولية لحماية المنظمات غير الحكومية INSO فقد تم رصد 636 حادثة أمنية مترتبة بداعش في الفترة ما بين تشرين الاول/ اكتوبر 2020 و تموز/يوليو 2021، منها 416 في دير الزور وحدها (Figure 5).

Figure 5 هجمات داعش في شمال شرق سوريا بين اكتوبر 2020 و تموز 2021. المصدر : INSO



وقد وقع ما يقرب من 135 من جميع الأحداث التي تم رصدها في منطقة البصرة في ريف محافظة دير الزور الشرقي، من بين المناطق الأكثر تضرراً من سوء الأحوال الاقتصادية في منطقة الدراسة بأكملها. بالإضافة إلى ذلك، كان أعضاء "قوات سوريا الديمقراطية" أو منتسبون إلى "الإدارة الذاتية"، أو محاوروهم المحليين، الأهداف الرئيسية للهجمات في جميع أنحاء شمال شرق البلاد. وهذا يشير إلى نية تنظيم "الدولة الإسلامية" تقويض الحكم المحلي ورفع كلفة التعاون مع الإدارة الذاتية والقوات الأمنية التابعة لها. وردا على ضغوط من هذا القبيل، إستقال في 11 آذار/مارس ثمانية أعضاء في المجلس المدني المنشأ حديثاً في البصرة، وسط دير الزور، بسبب مخاوف أمنية.

Figure 6 ما هو التهديد الأكثر خطورة لامن المنطقة؟ رتب بحسب الهمية- دير الزور

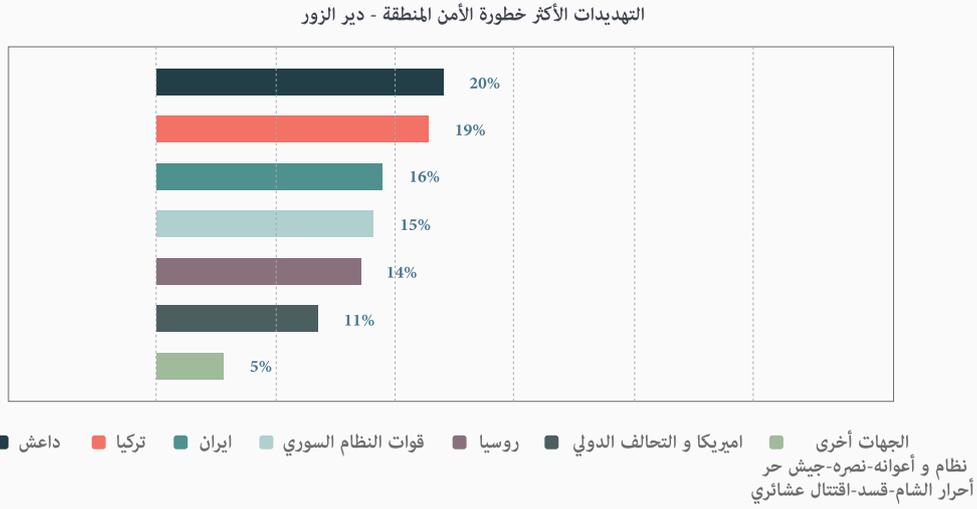


Figure 7 ما هو التهديد الأكثر خطورة لامن المنطقة؟ رتب بحسب الهمية - الرقة

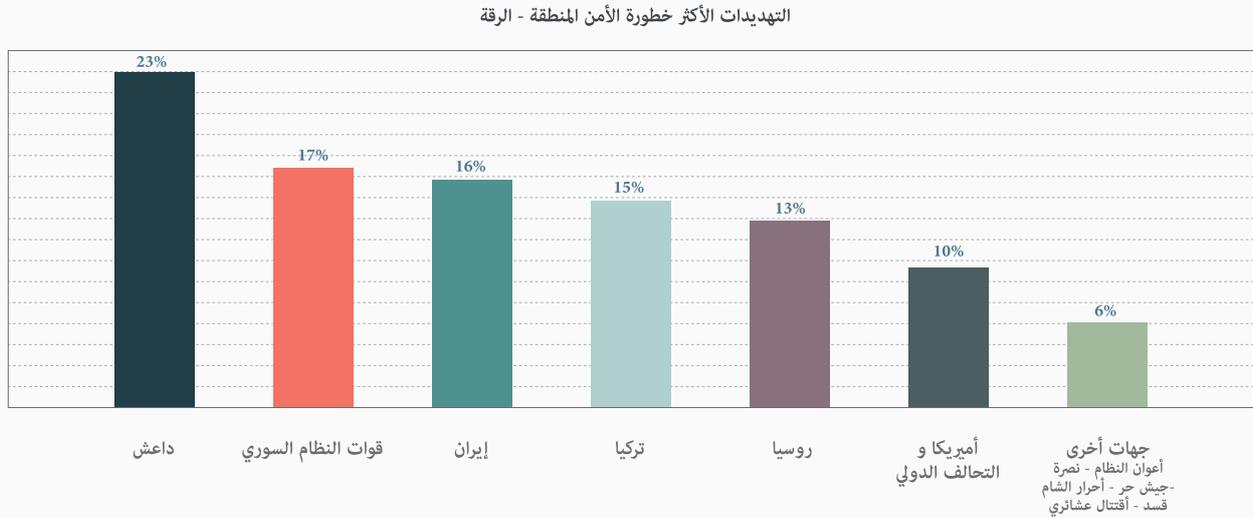
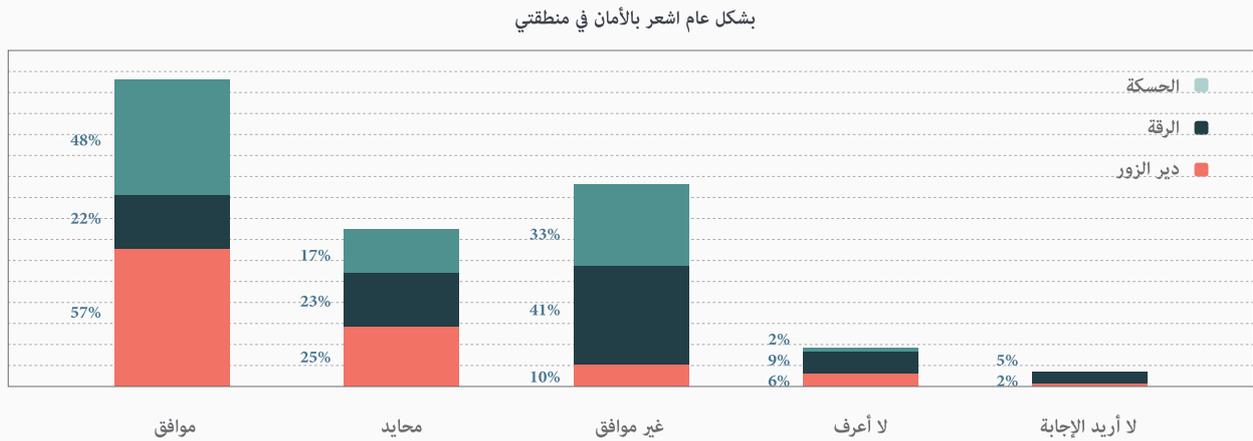


Figure 8 لي أي حد تتفق مع العبارة التالية: بشكل عام اشعر بالأمان في منطقتي



ب. السكن

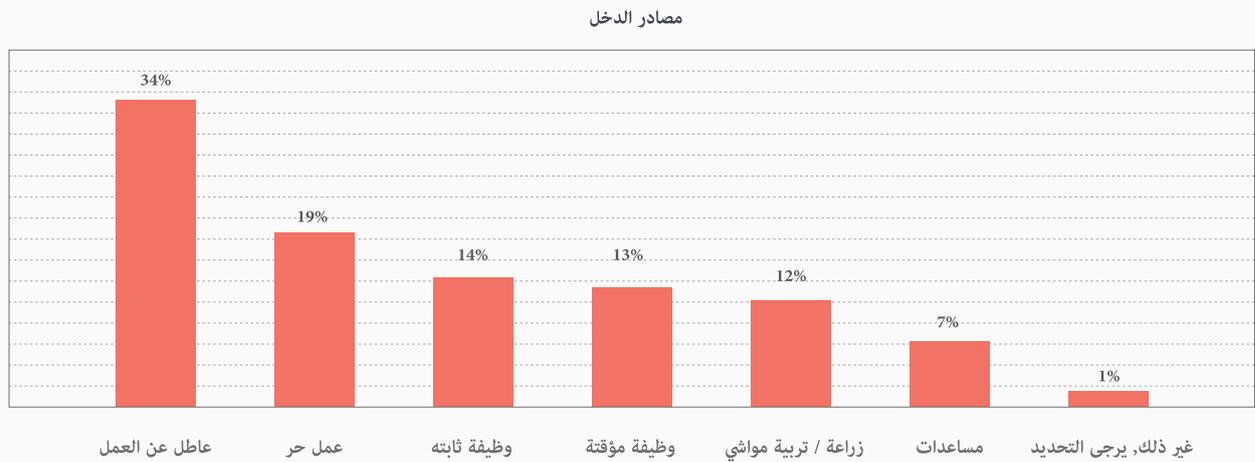
خلّفت الحرب على داعش وموجات النزوح الداخلي المتعددة الأسباب مشكلة مرتبطة بالسكن، إذ يشغل موضوع السكن ثاني الأولويات لدى العيّنة المستجيبة حيث أشار 20% إلى السكن باعتباره الأولوية (Figure 3). يفسّر هذا الأمر على نحو مطابق للعيّنة إذ أن 63% من المستجيبين كانوا ممن يقطنون في بيوت مستأجرة مستقلة، فيما كانت بقية العينة موزّعة على مالكي البيوت والمقيمين في مراكز الإيواء المؤقت. على سبيل المثال بلغ حجم الدمار في الرقة 80%، ما يعني أن إعادة الإعمار لا يتناسب مطلقاً مع حجم المبالغ الهزيلة التي أعلنت عنها الدول المفترضة لرعاية العملية، والتي حددت هدف تلك المبالغ بإزالة الألغام وتنفيذ مشاريع في قطاع المساعدات الغذائية والمياه والصحة ومساعدة اللاجئين فقط⁶.

ترتبط مسألة السكن بشكل وثيق بمسألتين، توقّف الحرب وعودة النازحين إلى مناطق سكنهم الأصلية كما في حالة نازحي مناطق رأس العين وتل أبيض ممن خسروا مناطق سكنهم جراء عملية "نزع السلام" التركية أواخر عام 2019، أما المسألة الثانية فمرتبطى بتنفيذ برنامج إعادة الإعمار والمرتبطة أساساً بالحل السياسي في سوريا.

ج. سبل العيش

تحتل سبل العيش، و المقصود بها مصادر الدخل الاساسية و الامكانية على تأمين المتلزمات الضرورية للحياة، المرتبة الثالثة في أجوبة المستجيبين. حيث اعتبر 19% أن سبل العيش تمثّل الأولوية الأهم (Figure 3)، نظراً لاتساع الفجوة بشدة بين احتياجات السوريين والموارد المتاحة لدعمهم، مع العلم أن 80% من السوريين يعيشون تحت خط الفقر بحسب تقديرات الامم المتحدة ، مع ارتفاع نسبة البطالة والدمار داخل سوريا⁷. تناهز كتلة الموظّفين لدى الإدارة الضاتية في شمال شرق سوريا 200 ألف موظف موزّعين على القطاعات العسكرية والامنية والخدمية والإدارية، كما يعتبر حضور منظمات المجتمع المدني على ما توقّره من فرص عمل للموظّفين والمتعاقدين أحد الروافد الاقتصادية المهمة، إذ كانت نسبة من أفصحوا في البيان عن مصادر دخلهم بأنها ناتجة عن التوظيف الثابت والمؤقت 27% ، بالإضافة إلى هامش الأعمال الحرة المرتفع والذي قال 19% من المستجيبين أنه يمثل مصدر دخلهم فضلاً عن التحويلات البنكية التي يرسلها المقيمون في أوروبا ولبنان والخليج وكردستان العراق إلى ذويهم. في حين أن نسبة العاطلين عن العمل كانت 34% من المستجيبين (Figure 9).

Figure 9 ما هو مصدر الدخل الرئيسي لك ولعائلتك



تراجعت الزراعة خلال سنوات الحرب وضعف انتاج النفط، وصعوبة تصدير الانتاج، وبيعته بأسعار زهيدة، والتأثر العام بالتضخم وغلاء الأسعار عزز التردّي الاقتصادي العام في المنطقة، إلى ذلك تبدو المنطقة بحاجة إلى تعزيز سبل العيش عبر برامج تنموية وهياكل حكم تستجيب لاحتياجات المواطن الأساسية ودعم للسلع الأساسية، وكذلك دعم المنشآت والمشروعات الصغيرة حيث لا تكفي الوظائف العامة المتاحة لتأمين سبل العيش لكافة السكان.

د. الخدمات الأساسية (الكهرباء - الماء - الاتصالات)

تعاين المنطقة ضعفاً عاماً في الخدمات الأساسية، لا سيّما في قطاعات الماء والكهرباء والاتصالات والطرق، السبب الرئيسي يعود إلى سنوات الحرب والتدمير الذي طال البنية التحتية، ترجع الإدارة الذاتية سوء البنية التحتية إلى الحرب التي وقعت في هذه المناطق، الجسور والطرق وشبكات الصرف الصحي والمياه كانت مدمرة. في بعض المدن والبلدات مثلاً كانت شبكات المياه وشبكات الصرف الصحي مدمرة بالكامل⁸. تحظى مسألة الخدمات أهمية لدى السكان في الحالات التي لا تشهد معارك وحروب أو تبدو مستقرة نسبياً وبدرجة أكبر من المناطق التي تشعر بهواجس أمنية، هذا بدوره يدفع 18% من المستجيبين لاعتبار الخدمات الأساسية الأولوية الأهم (Figure 3).

إلى ذلك ترى عينة المستجيبين في كامل منطقة شمال شرق أن 34% أن توافر خدمات المياه جيدة إلى جيّدة جداً، فيما رأى 18% أنها متوسطة، و48% وصفتها بالسيئة إلى السيئة جداً (Figure 10). أما فيما خص جودة المياه فقد عبّر 35% بالقول أنها جيدة إلى جيدة جداً، و27% أنها متوسطة، فيما قال 38% بأنها سيئة أو سيئة جداً (Figure 11).

ذات الأمر ينطبق على الكهرباء التي تنقسم بدورها إلى الكهرباء النظامية، والخدمة التي يقدمها أصحاب المولدات الخاصة والتي تعرف في الوسط الشعبي بالكهرباء "الأمبيرات" والتي تتعطل مولداتها بشكل دائم نتيجة الضغط المستمر عليها، يرى 30% من مستجيب الاستبيان في شمال شرق سوريا أن توافر خدمة الكهرباء جيدة إلى جيدة جداً، فيما قيم مستجيبون آخرون مثلاً 22% من العينة بأن الخدمة متوسطة، وقال 48% بأنها سيئة إلى سيئة جداً (Figure 10). أما فيما خص جودة خدمة الكهرباء يرى 39% بأنها جيدة إلى جيدة جداً، و19% بأنها متوسطة الجودة، في حين رأى 42% بأنها سيئة أو سيئة جداً (Figure 11).

وكذلك الأمر مع قطاع الاتصالات وخدمات الانترنت حيث قال 41% بأنها جيدة إلى جيدة جداً، و23% قيموها بالوسط، في حين رأى 36% بأنها سيئة أو سيئة جداً (Figure 10). أما من حيث جودة الخدمات فقد رأى 36% بأنها جيدة إلى جيدة جداً، ومتوسطة لدى 26%، وسيئة أو سيئة جداً لدى 38% من العينة المستجيبة (Figure 11).

تآكلت الطرق وضعفت شبكة المواصلات نتيجة عدم الصيانة المديدة والحرب، فضلاً عن أن الحكومة السورية لم تكن تولي حالة الطرق الأهمية اللازمة، أما إصلاحات الإدارة الذاتية فتفتقر إلى الجودة. الحكومة لا تمد الإدارة بالمواد الخام الضرورية لتعبيد الطرق، وعدم وجود مصافي للمشتقات البترولية يؤثر على أعمال صيانة وتأهيل وجود حالة الطرق⁹، أما العينة فقد اعتبرت 35% منها بأنها جيدة إلى جيدة جداً، و28% متوسطة، في حين اعتبرها 37% بأنها سيئة أو سيئة جداً (Figure 10). أما جودة هذه الخدمة اعتبر 35% بأنها جيدة أو جيدة جداً، و33% وسط، فيما قيمها 32% بأنها سيئة إلى سيئة جداً (Figure 11).

8 مقابلة مع سليمان عرب، الرئاسة المشتركة لهيئة لجنة البلديات والإدارة المحلية في إقليم الجزيرة.
9 مقابلة مع سليمان عرب، الرئاسة المشتركة لهيئة لجنة البلديات والإدارة المحلية في إقليم الجزيرة

Figure 11 كيف تقيم جودة الخدمات الاساسية التالية: الكهرباء- المياه- الانترنت و الاتصالات- المواصلات و النقل العام

تقييم جودة الخدمات الأساسية

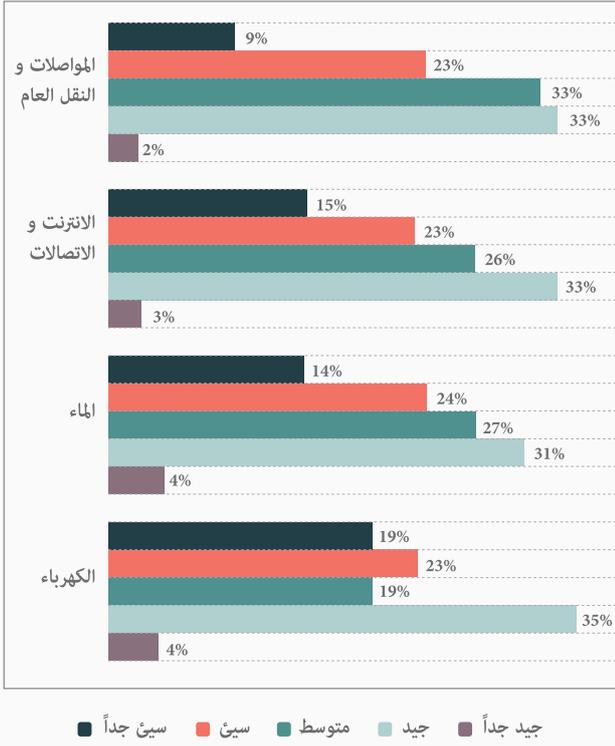
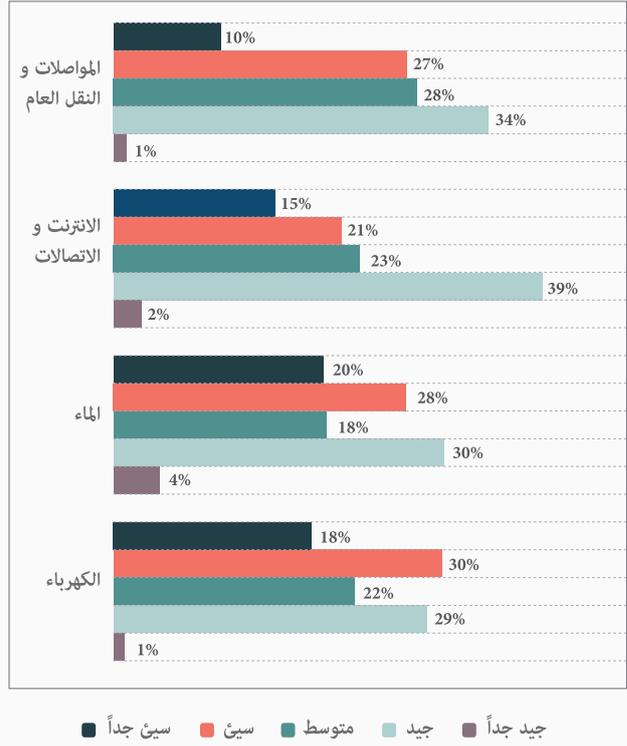


Figure 10 كيف تقيم مستوى توافر الخدمات الاساية التالية: الكهرباء- المياه- الانترنت و الاتصالات- المواصلات و النقل العام

تقييم توافر الخدمات الأساسية



هـ. الخدمات النوعية (التعليم - الصحة)

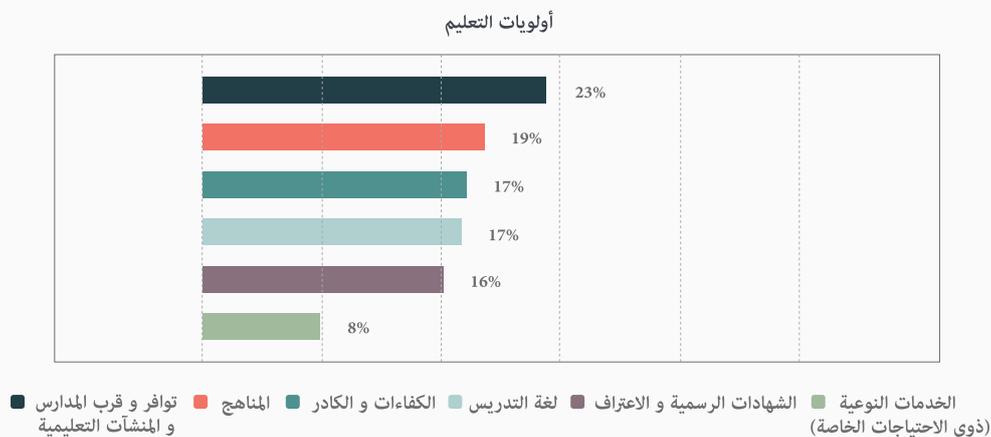
التعليم:

رُبطت العملية التعليمية في شمال شرق سوريا بالسياسة بشكل مباشر بالسياسة ما جعلها مشكلة مركّبة، البداية كانت مع تدريس اللغة الكردية ووضع مناهج خاصة بمدارس الإدارة الذاتية، وأخرى عربية في المناطق ذات الغالبية العربية، مع تواجد طفيف لمدارس الحكومة السورية واكتظاظها بالتلاميذ، كما أن الاحتجاجات على متن المناهج كما حصل في دير الزور أواسط عام 2020 أفضى إلى تدريس مناهج اليونيسيف ما يشي بمعاني الرفض للمناهج بطريقة أو بأخرى، يضاف إلى ذلك أن مسألة شرعية اعتراف الحكومة بالشهادات الصادرة عن الإدارة الذاتية يشكل عقبة كبرى أمام العملية التعليمية.

تشكل مسألة توافر وقرب المدارس والمنشآت التعليمية أولوية التعليم الأولى بالنسبة للطلبة وذويهم، إذ ذهب رأي 23% من المستجيبين إلى ذلك (Figure 12)، ولعل النسبة الكبرى تشير إلى بعد المدارس والمنشآت الخاصة بالحكومة السورية، حيث أن مسألة عدم اعتراف الحكومة السورية بالشهادات الصادرة عن دوائر الإدارة الذاتية تؤرق الأهالي والطلبة معاً، إذ يرى 16% من المستجيبين أن الاعتراف بالشهادات أولوية باعتبارها مشكلة بحاجة لحل خاصة وأنها مشكلة سياسية في المقام الأول بين الحكومة السورية والإدارة الذاتية، إذ ترفض الحكومة خروج العملية التعليمية من يديها وترفض كذلك التفاوض في شأنها، رغم مساعي الإدارة الذاتية بالتحصل على اعتراف بمدارسها وشهاداتها. تحتل المناهج المرتبة الثانية في سلم الأولويات، إذ قال 19% من المستجيبين ذلك، حيث إن المناهج تشكل الموضوع الأكثر إثارة للانقسام داخل المجتمع، إذ لا يوجد اتفاق كردي عام حول محتوى المناهج وكذلك لا يوجد قبول عربي للمناهج بشكلها الحالي، لاعتبارات متعلّقة بالإيديولوجيا.

لاعتبارات متصلة بتسريع العملية التعليمية التي أشرفت عليها الإدارة الذاتية برزت مشكلة أخرى على السطح وهي مسألة كفاءات الكوادر التعليمية، حيث يرى 17% من المستجيبين أنها إحدى أولويات التعليم التي يجب الوقوف عليها. على صعيد آخر، فإن التعدد اللغوي و لغة التدريس المعتمدة تشكل أيضاً عاملاً مهماً في تقييم قطاع التعليم في المنطقة، و ذلك نتيجة التعدد الإثني في المنطقة بخاصة في المناطق ذات الغالبية الكردية والمدن المختلطة إثنياً. حيث ترى نسبة 17% من المستجيبين أن لغة التدريس تمثل الأولوية بالنسبة لهم، على سبيل المثال يتألف طلبة مدارس الإدارة الذاتية في القامشلي بغالبيتهم المطلقة من الكرد ممن يتلقون دروسهم باللغة الكردية، الأمر الذي أبعدهم عن تعلم اللغة العربية بالشكل المطلوب لاتمام الدراسة في الجامعات التي تعتمد اللغة العربية في نظام التدريس. في حين أن الطلبة المنخرطين لدى مدارس الحكومة السورية، فإنهم يجهلون القراءة والكتابة باللغة الكردية، ضمن مناهج الدولة على الأقل، مع إمكانية حصولهم على دروس في اللغة الكردية خارج المدرسة.

Figure 12 رتب الاولويات الخاصة بخدمات التعليم بحسب الاهمية



الصحة:

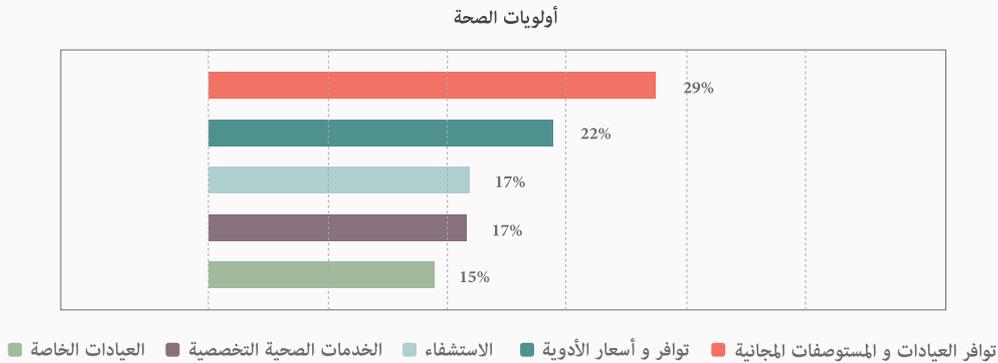
تضرر قطاع الرعاية الصحية في سوريا بشكل كبير طيلة فترة الحرب، ونتيجة للحرب على داعش دمّرت وتضررت البنية التحتية لقطاع الصحة في شمال شرق سوريا لا سيّما في دير الزور والرقّة، إذ خرجت العديد من المشافي والمستوصفات عن الخدمة، حيث إن توزّع المشافي كان على النحو التالي بحسب وزارة الصحة السورية للعام 2017، في الحسكة يوجد 31 مشفى وفي دير الزور 28 والرقّة 11 تنقسم ما بين مشافي عامة وخاصة¹⁰. حيث بلغ عدد المشافي العامة في محافظة الحسكة 5 مشافي لا تحتكم الحكومة السورية سوى على مشفى "القامشلي الوطني" في حين يخضع مشفى "رأس العين الوطني" لسلطة فصائل الجيش الوطني السوري (المعارض) بعد أن سيطرت على المدينة أواخر عام 2019، فيما بقية المشافي تشرف عليها الإدارة الذاتية، أما في الرقّة والتي يبلغ عدد المشافي الحكومية 4 مشافي فقد باتت تتبع للإدارة الذاتية وكذلك الأمر في دير الزور ففيها 6 مشافي حكومية يتواجد معظمها في حيز سيطرة الحكومة السورية ذلك أنها تقع داخل المدينة، الشريحة الأكبر من المستجيبين للاستبيان ترى في توافر العيادات والمستوصفات المجانية الأولوية الأهم إذ بلغت نسبتهم ما مجموعه 29% (Figure 13).

يشرف على قطاع الصحة، هيئات الصحة، التابعة للإدارة الذاتية ومنظمة الهلال الأحمر الكردي، والتي أشرفت على ترميم المشافي وتوّلي إدارتها أو إقامة مستوصفات طبية وترميمها كما في ترميم مشفى هجين وأبو حمام في دير الزور مؤخراً، بالإضافة إلى قيام الإدارة الذاتية بإنشاء مشافي خاصة لاحتواء جائحة كوفيد 19 عبر إقامة سلسلة مشافي خاصة كما في الحسكة والقامشلي أو إنشاء أقسام ضمن المشافي بغرض معالجة مرضى الجائحة.

من بين مشكلات القطاع الصحي هو النقص الكبير في الكوادر الطبية. تسبب تدمير نظام الرعاية الطبية في سوريا بعد سنوات من الحرب، إلى فرار عدد كبير من العاملين في المجال الطبي، وخاصة الأكثر خبرة منهم، وهي المشكلة التي تعاني منها مناطق شمال شرق سوريا بحسب تصريحات رسمية عن هيئة الصحة في الإدارة الذاتية¹¹، الأمر الذي أثر على اعتماد السكان على خدمات العيادات الخاصة حيث رأت ما نسبته 15% أن توافر العيادات الخاصة يمثل الأولوية بالنسبة لهم على ما قاله المستجيبون للاستبيان.

تتوفّر الأدوية بنسبة تصل إلى 95% في حين أن أسعار الدواء مرتبطة بسعر صرف الدولار في البنك المركزي وهي بذلك لا تخضع للاستقرار، علاوة على أن أسعار الدواء مرتفعة بنسبة 28% قياساً إلى مناطق الداخل الخاضعة لسيطرة الحكومة والأسباب تعود إلى تكاليف الطريق الطويلة وما تفرضه الحواجز من ضرائب على حركة المرور¹²، ويمثّل توافر الأدوية وأسعارها أحد أبرز أولويات الصحة في المنطقة حيث أشار 22% من المستجيبين إلى ذلك.

Figure 13 ترتيب الأولويات الخاصة بقطاع الصحة بحسب الأهمية



<http://www.moh.gov.sy/Default.aspx?tabid=177&language=ar-YE> 10

shorturl.at/iERW9 11

12 بحسب لقاءات مع صيادلة مقيمين في المنطقة

الإدارة المحلية والتمثيل السياسي

أولاً: الإدارات المحلية

تشكلت الإدارة الذاتية للأقاليم (الجزيرة، كوباني، عفرين) في العام 2014 وفي شمال شرقي سوريا تشكلت الإدارة بشكلها الحالي في العام 2019 كان ذلك نتيجة تطورات شهدتها المنطقة برمتها. البداية كانت في إعلان الإدارة الذاتية في الكانتونات الثلاثة، الجزيرة -كوباني- عفرين، لكن بعد عملية غصن الزيتون التي قادتها تركيا وفصائل المعارضة المسلحة و التي أتت للسيطرتهم على منطقة عفرين في عام 2018، أدى ذلك إلى تقلص مساحة الإدارة بخروج ثاني أكبر الكانتونات من يد الإدارة. في المقابل أدت المعارك بالصد من تنظيم داعش إلى توسع الإدارة الذاتية، جنوب كانتون الجزيرة، في شمال وشرق سوريا ليصار إلى السيطرة على الرقة وإنهاء حكم داعش وإقامة إدارة محلية مدنية فيها ثم إقامة إدارة محلية في دير الزور في عام 2019، حيث تشكلت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا في العام 2019.

طرحت الإدارة الذاتية نفسها بديلاً عن الحكومة المركزية، وأعطت بالتالي للإدارات المدنية وهيكل الحكم المحلية مساحة من الحرية المالية والقانونية، وقد خص الميثاق الأساسي للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا أنه "تحتزم كل إدارة قوانين الإدارات الأخرى وسجلاتها الرسمية وإجراءاتها القضائية" وأن "للسكان كل إدارة ذاتية ومدنية حق التمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها المواطنون في مختلف الإدارات".

أما كيفية اتخاذ القرار فيكون عبر المجالس العامة، هناك المجلس العام على مستوى شمال شرقي سوريا وهناك مجالس الأقاليم والمناطق، كل مجلس يناقش القضايا وفقاً للقوانين الناظمة في الإدارة الذاتية. يقوم المجلس العام بمناقشة القرارات والمقترحات القادمة من مجالس الأقاليم، وتقوم الهيئة التنفيذية في شمال شرقي سوريا بتنفيذ القرارات الصادرة. على سبيل المثال فإن مجلس إقليم الجزيرة مخول بإصدار قرارات في منطقة الجزيرة بعد رفع المقترح للمجلس العام. المجلس التشريعي يناقش القرارات والمجلس التنفيذي يرسم خطة لتنفيذ وتطبيق القرارات. أما آلية القرارات تعتمد على مبدأ المجالس بدءاً من الكومين وانتهاءً بالمجالس العامة للأقاليم¹³.

تفتقر المجالس المحلية لعنصر الشرعية إذ لم تجر انتخابات لاختيار أعضائها وهي على ذلك "سلطة أمر واقع" في حين يتم اختيار الأعضاء بالتعيين. تبرر الإدارة مسألة عدم إجراء عمليات انتخاب، إلا عملية انتخاب واحدة في شمال شرقي وسوريا، والتي من المفترض أن تجري كل عامين، بأن السبب يكمن في الهجمات التركية التي أدت إلى تأجيلها، لذا لم تكن الأرضية مناسبة لإجراء انتخابات ديمقراطية بشكل دوري¹⁴، في الوقت الذي وعد فيه مجلس سوريا الديمقراطية (مسد)¹⁵ بإجراء الانتخابات خلال عام من الإعلان عن ذلك في مؤتمرها العام الذي جرى أواخر 2020.

تمثل الإدارات المحلية السلطة المحلية التي تكون على تماس مباشر مع السكان، الأمر الذي يضعها في مواجهة المطالبات الخدمية والأمنية، كما أن ميزانية الإدارات الذاتية المدنية تعجز عن تلبية متطلبات السكان كلها، نظراً إلى حجم الدمار والتلف الذي طال البنية التحتية والضرر بالملكيات الخاصة، وبحسب الإدارة الذاتية فإن بعض المناطق تحتاج لميزانيات كبيرة تعجز الإدارة عن توفيرها بسبب الحصار المفروض عليها، وتحاول الإدارة بإمكاناتها الذاتية إصلاح البنى التحتية المدمرة وتوسيعها في المدن التي لم تشهد الحروب¹⁶.

13 مقابلة مع فوزة اليوسف، عضو الهيئة الرئاسية في حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)

14 مقابلة مع سليمان عرب، الرئاسة المشتركة لهيئة لجنة البلديات والإدارة المحلية في إقليم الجزيرة

15 مجلس سوريا الديمقراطية (مسد): عُقد المؤتمر التأسيسي للمجلس في مدينة ديريك/شمال شرق سوريا/ 9 كانون الأول/ديسمبر 2015، وهو المرجعية والمظلة السياسية للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا وقوات سوريا الديمقراطية، للاستزادة: https://m-syria-d.com/?page_id=8821

16 مقابلة مع سليمان عرب، الرئاسة المشتركة لهيئة لجنة البلديات والإدارة المحلية في إقليم الجزيرة

التقسيم الإداري للادارة الذاتية في شمال شرق سوريا

وفقاً للمادة 1 الفقرة الأولى من الميثاق الاساسي للادارة الذاتية 2019: تتشكل الادارة الذاتية لشمال وشرق سوريا من الإدارات التالية:

- الادارة المدنية الديمقراطية في دير الزور
- الادارة المدنية الديمقراطية في الرقة
- الادارة المدنية الديمقراطية في الطبقة
- الادارة المدنية الديمقراطية في منبج وريفها
- الادارة الذاتية الديمقراطية لعفرين
- الادارة الذاتية الديمقراطية لمنطقة الفرات
- الادارة الذاتية الديمقراطية للجزيرة

تشرح المادّة 2 هيكلية الادارة الذاتية لشمال وشرق سوريا التي تتكوّن من

- 1- المجلس العام
- 2- المجلس التنفيذي
- 3- مجلس العدالة

تعكس الإمكانيات المحدودة مقدار الرضا الشعبي عن أداء السلطات المحلية وموقعها في التمثيل والاستجابة لتوقعات السكان، يبدو ذلك متأرجحاً في المحافظات الثلاث، فمقدار الرضا في المناطق الكردية والعربية المختلطة كما في الحسكة أكبر من مثيلاته في الرقة ودير الزور حيث أن 36% من المستجيبين في الحسكة وافقوا على أن السلطات المحلية تمثلهم (Figure 14) وأبدت نفس النسبة رضاها عن الإدارات المحلية (Figure 15) فيما كان منسوب الثقة بأن الادارة المحلية قادرة على الاستجابة للاحتياجات و التوقعات قد ارتفع لـ 41% (Figure 16)، في حين أن الرقة التي شهدت خدمات وأماناً أكبر كان قياساً إلى دير الزور فإن مقدار الرضا العام بحسب الاستبيان كان 27%، وفي دير الزور بدا أن غير الموافقين على تمثيل السلطات المحلية لها أكبر وبمقدار 41% من المستجيبين وانحدر منسوب الرضا العام إلى 13% في حين لم يتجاوز الثقة بالسلطات المحلية 22%، إلى ذلك تتماثل نظرة المحايدون في الاستبيان حول سؤالهم عن تمثيل السلطات المحلية لهم واستجابتها لتوقعاتهم إذ تراوحت بين 26 و30% في المحافظات الثلاث.

Figure 14 إلى أي حد تتفق مع العبارة التالية: اشعر ان السلطات المحلية تمثلني و تستجيب لتوقعاتي

السلطات المحلية تمثلني و تستجيب لتوقعاتي

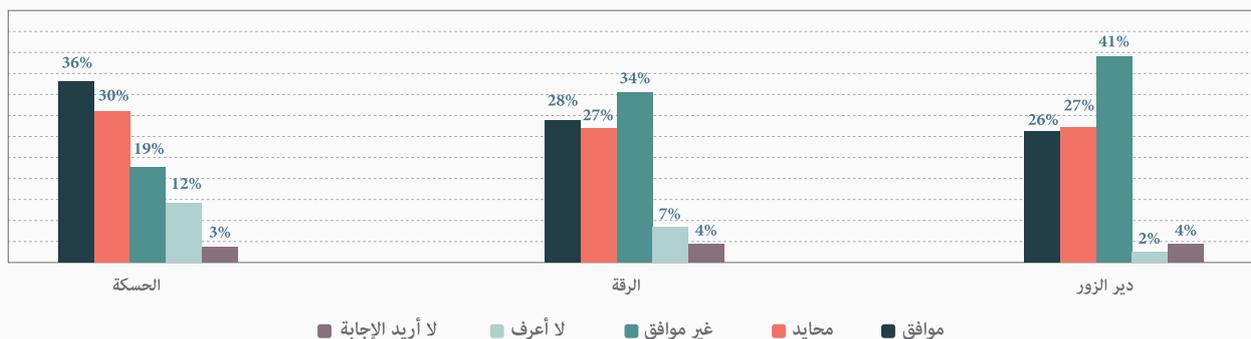


Figure 15 إلى أي حد تتفق مع العبارة التالية: أنا راض بشكل عام عن أداء السلطات المحلية الحالية

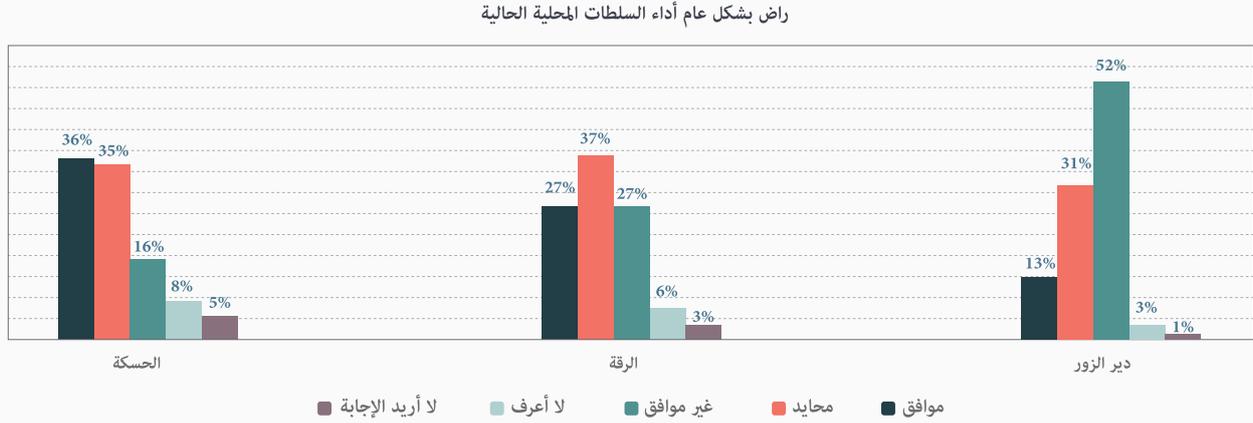
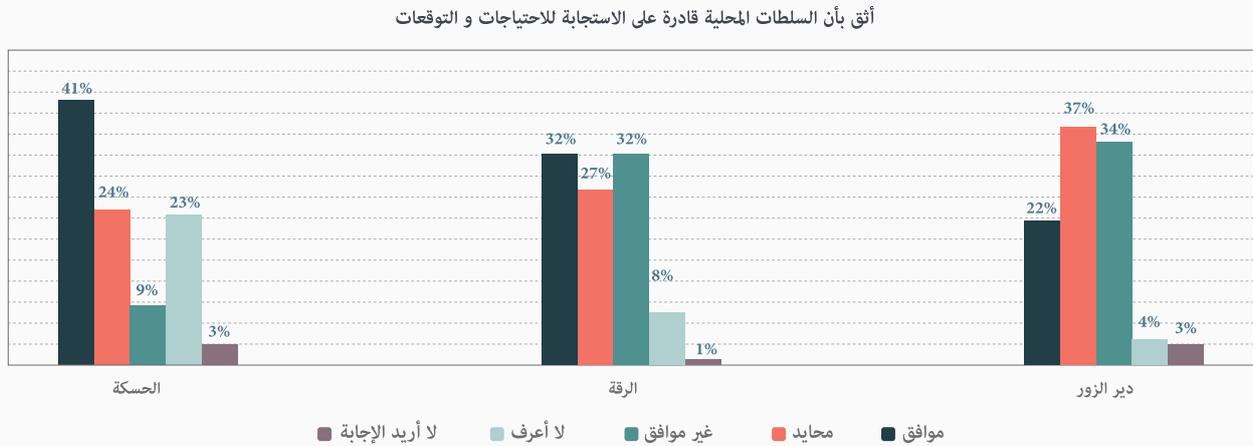


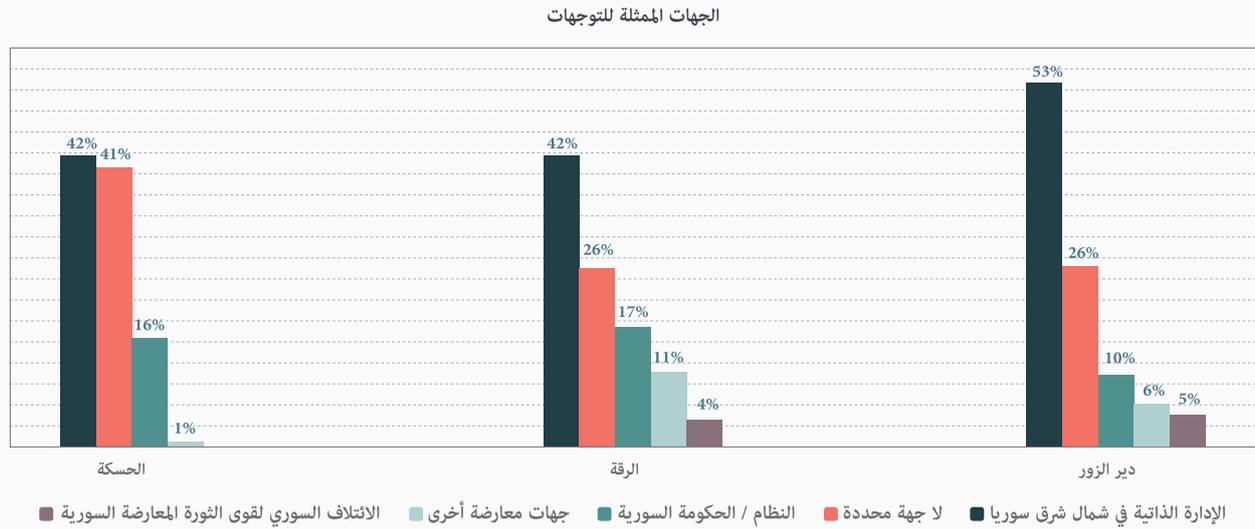
Figure 16 إلى أي حد تتفق مع العبارة التالية: أثق بأن السلطات المحلية قادرة على الاستجابة للاحتياجات و التوقعات



ثانياً: التمثيل السياسي

تُدخل مسألة اختيار الجهة التي تمثّل التوجهات السياسية السكان في مفاضلة بين خيارات محددة، تتمثل بالإدارة الذاتية والنظام/الحكومة السورية والمعارضة على اختلاف هياكلها، ورغم وجود اعتراضات على أداء الإدارة والسلطات المحلية وعدم اعتبارهما ممثلين لشريحة كبيرة من المستجيبين كما في دير الزور، إلا أن المفاضلة بين الخيارات المتاحة السابقة، دفعت بالقسم الأكبر من المستجيبين في المحافظات الثلاث إلى اعتبار الإدارة الذاتية هي الجهة الممثلة للتوجهات العامة، بواقع 53% في دير الزور و42% في كل من الحسكة والرقّة، في حين أن اختيارات الحكومة السورية لم يتجاوز 17% في أفضل الأحوال وكان ذلك في الرقّة، في حين أن الأجابات الأهم التي تلت اختيار الإدارة كانت لصالح عدم تعيين جهة محددة وهي نسبة لافتة في المحافظات الثلاث، ففي الحسكة أجاب نحو 41% بذلك، في حين كانت النسبة 26% في المحافظتين الأخرتين (Figure 17).

Figure 17 بشكل عام من هي الجهة التي تشعر انها الاكثر تمثيلاً لتوجهاتك ؟



الحسكة

يلعب التعدد الإثني الدور الكبير في رسم التوجهات السياسية في محافظة الحسكة، فالمحافظة تشكل أبرز مناطق التواجد الكردي في سوريا إلى جانب تواجد السريان الآشوريين. بالنسبة للکرد تمثل الأحزاب الكردية أنسب حالة سياسية لتمثيل توجهاتهم السياسية ذلك أن المشاعر القومية المقرونة بالحرمان من الهوية الثقافية والسياسات التمييزية المديدة تشكل الدافع الأبرز لدى المجتمع الكردي للتمسك بالأحزاب القومية، في حين أن حضور الأحزاب العابرة للقومية، أي الوطنية، يكاد يكون ضعيفاً للغاية. ما يصدق على الكرد يصدق على بقية الإثنيات، العرب والسريان في محافظة الحسكة.

تأسس أول الأحزاب الكردية باسم الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا في عام 1957، ومن رحم ذلك الحزب خرجت كل الأحزاب الكردية التي واصلت عملية الانشقاق التنظيمي لتتعدد أسماء الأحزاب، وتعتبر جميع الأحزاب أنها على صلة تاريخياً بالحزب الأم. تنقسم الخارطة الحزبية الكردية إلى ثلاثة أطراف رئيسية: يشكّل حزب الاتحاد الديمقراطي اللاعب الأهم في المنطقة، نظراً لاحتكامه على السلطة في شمال شرق سوريا، وباعتباره الحزب الذي أسس الإدارة الذاتية في المنطقة، كما أنه أجاد تكوين علاقات مع أجسام سياسية واجتماعية في المنطقة كما في تأسيسه لمظلة مجلس سوريا الديمقراطية (مسد)، وتجمع سياسي كردي تحت مسمى "أحزاب الحركة الوطنية الكردية" بغرض دعم حلفائه من الأحزاب الكردية السورية التي لا تنتمي للمجلس الوطني الكردي. استطاع الاتحاد الديمقراطي عبر سياسة التحالفات وما يمتلكه من سلطة من إقامة علاقة مع الوسطين العربي والسرياني، فمجلس سوريا الديمقراطية على سبيل المثال يعتبر الغطاء السياسي للإدارة الذاتية وهو صاحب قرار سياسي يخص مناطق الإدارة، ومسؤول عن العلاقات مع أطراف المعارضة السورية والحوار مع الحكومة السورية. يشارك العرب بشكل غير واضح وعبر التشكيلات الاجتماعية والعشائرية في الأطر السياسية التي تجمعها مع الاتحاد الديمقراطي، الوضع مختلف بعض الشيء بالنسبة للسريان إذ يشارك حزب "الاتحاد السرياني" في القرار السياسي و في "الكثير من المسائل التي تخص الإدارة الذاتية" بحسب قيادة حزب الاتحاد السرياني.¹⁷ ومن خلال اختيار المستجيبين كانت نسبة أحزاب الوحدة الوطنية الكردية بقيادة الاتحاد الديمقراطي 13% من مجموع المستبانين، وهي بذلك أعلى نسبة يحوزها إطار سياسي في المحافظة (Figure 18). أما الطرف الثاني فيالخريطة السياسية الكردية فيتمثل بأحزاب المجلس الوطني الكردي المدعومة من قيادة الديمقراطي الكردستاني (أربيل)

17 مقابلة مع سنحاريب برصوم، الرئيس المشترك لحزب الاتحاد السرياني

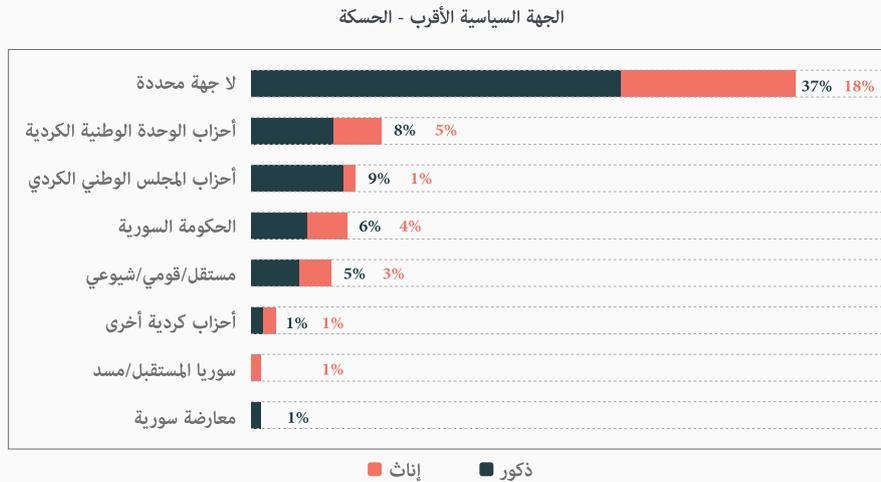
والتي يعتبر حزب الديمقراطي الكردستاني-سوريا أكبرها إلى جوار حزب يكتي، والعديد من الأحزاب الأقل فاعلية من هذين الحزبين. تأسس المجلس في خريف 2011 بغية تشكيل منصّة للأحزاب الكردية السورية والعديد من المنظمات والتنسيقيات الثورية، بغرض توحيد مطالب كرد سوريا وتشكيل قطب سياسي كردي موحد، وفي العام 2014 انضم المجلس إلى الائتلاف الوطني السوري بعد أن وقّع الجانبان على بروتوكول يضمن للكرد شكلاً من الشراكة والاعتراف، إلا أن حضور المجلس في الوسط العربي بالمنطقة يبدو ضعيفاً فهو يركز على مطالب كرد سوريا بشكل خاص ويسعى إلى إقامة سوريا ديمقراطية تعددية اتحادية (فدرالية) وإلى اعتراف دستوري بوجود الكرد السوريين، إلا أنه وفي عام 2020 عمل إلى تأسيس "جبهة السلام والحرية" مع المنظمة الديمقراطية الأتورية، وتيار الغد السوري برئاسة أحمد الجربا، والمجلس العربي للجزيرة والفرات، وذلك بغاية تعزيز موقعه في العلاقة مع المكونات المحلية أسوة بحزب الاتحاد الديمقراطي. يرى 10% من المستجيبين أن المجلس الوطني الكردي هو الأقرب لهم سياسياً.

أما الطرف الكردي الثالث فيبدو أقل حضوراً، ويمثل هذا الاتجاه بشكل واضح حزبي الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا وحزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا، وهما من أبرز حزبين تجاوزتهما الحوارات بين الطرفين الكرديين الآخرين.

في موازاة الحضور الكردي هناك حضور عربي في شكل عشائري أكثر مما هو حضور سياسي، فالحضور السياسي يقتصر على حزب البعث العربي الاشتراكي أي النظام السوري، وما يزال البعث يحتكم على نسبة من الحضور العربي في الحسكة وخاصة في أوساط الموظفين والمسؤولين في المحافظة وهم بطبيعة الحال لا يتمتعون بأدنى حرية سياسية بعيداً عن قرارات السلطة المركزية وقيادة الحزب. بالإضافة إلى ذلك تتواجد الأحزاب والأطر المعارضة لكنها قليلة الفاعلية في المشهد العام، يضاف إلى ذلك وجود أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية المتحالفة مع حزب البعث كالأحزاب الشيوعية، ومع تشكيل الإدارة ظهرت أحزاب تسعى إلى تجميع العرب والكرد في تنظيم واحد إلا أن الفكرة تبدو غريبة على منطقة تشهد منذ عقود استقطاباً قومياً وأنظمة حزبية قومية مغلقة، كتأسيس حزب سوريا المستقبل الذي يمكن وصفه بأنه حزب عابر للقومية.

إلا أن تعدد الأحزاب بكثرة في محافظة الحسكة لا يعني أن المجتمع يوالي الأحزاب وينتظم فيها على ما قالته نتائج الاستبيان حيث أن النسبة الأعظم من المستجيبين قالت بأن الجهة الأقرب لها سياسياً "غير محددة" وقد كانت نسبتها 55% من العينة، فيما كان الحضور الأقل لصالح المعارضة بمختلف تشكيلاتها إذ إن 1% من المستجيبين وجدوها الأقرب لهم، وهي نسبة تعكس سوء أحوال المعارضة وخطابها في المحافظة إلى حد بعيد.

Figure 18 من هي الجهة التي تشعر أنها الأقرب لمواقفك السياسية؟- الحسكة

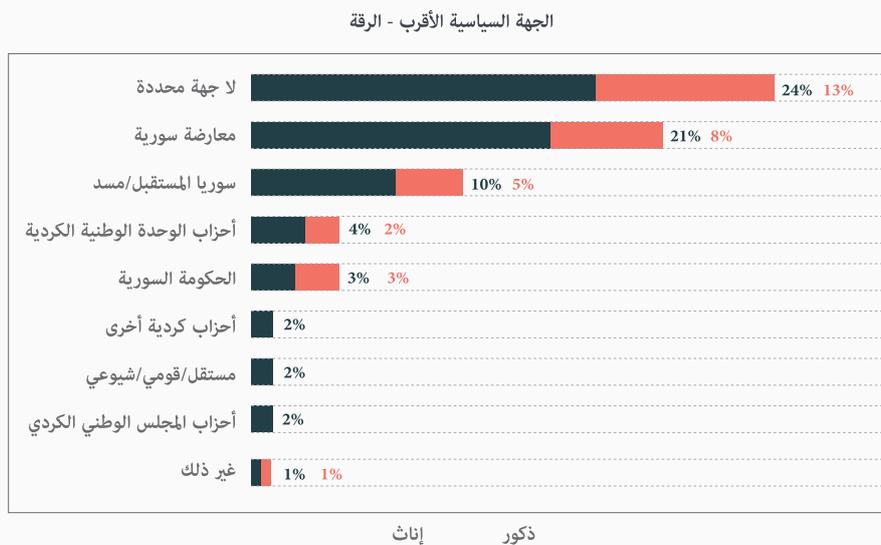


الرقّة

حظر حزب البعث الحاكم وجود أحزاب معارضة في عموم سوريا منذ تسلّمه الحكم 1963، ونتيجة للقسوة المفرطة اتجاه الأحزاب المعارضة تم تحجيم النشاط المعارض واقتصره على شخصيات وكيانات سياسية صغيرة، وعلى عكس حالة "غض النظر" عن وجود بعض أنشطة الأحزاب الكردية والتي كانت تتعرّض بدورها للمساءلة الأمنية والعقاب، كانت الأحزاب العربية أو الوطنية، من خارج قوس السلطة، تعاني من وطأة سياسات الحظر، ففي الرقّة وأسوّة باقي المحافظات السورية كان البعث والجهة الوطنية التقدمية يسيطران على الحياة السياسية. لم تساعد سنوات الحرب على نشوء حالة سياسية في شمال شرق سوريا إذ لم يحدد أغلب المستجيبين 37% جهة محددة باعتبارها الأقرب إليهم سياسياً (Figure 19). ومع أن نسبة معتبرة من المستجيبين 29% قالوا أن المعارضة أقرب إليهم سياسياً، إلا أن واقع المنطقة لا يشهد حراكاً معارضاً جدياً، كما أن معنى المعارضة يمتد على طيف واسع من الهيئات والأحزاب المعارضة، كالإئتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة وهيئة التنسيق الوطنية والتجمّعات الأخرى كمنصّة موسكو ومنصّة القاهرة. حيث يرى معارضون أن العملية السياسية في شمال شرق سوريا لا يمكن لها أن تنجح كون الجهة المهيمنة لا تسمح بعملية سياسية وهي سلطة أمر واقع، وبالتالي لا يوجد مجال للمشاركة في ظل هيمنة العسكرة وعدم وجود هامش سياسي نتيجة الأوضاع الأمنية وحالة التضيق¹⁸.

في 27 آذار مارس 2018 تأسس حزب جديد في كنف الإدارة الذاتية، حمل اسم حزب سوريا المستقبل، وأعلن عنه في مدينة الرقّة حيث حمل شعار "سورية ديمقراطية تعددية لا مركزية"، إلا أن الحزب أثبت حضوراً لا فتاً في المناطق العربية، يدل على ذلك أن نسبة المستجيبين التي ترى في حزب المستقبل الجهة الأقرب لهم بلغت 15% وهي نسبة مرتفعة قياساً بحزب مستجد. ثمة نسبة سكانية قليلة من الكرد يعيشون في الرقّة، كانت نسبة منهم تعيش في تل أبيب قبل عملية "نزع السلاح التركية" واضطرت إلى النزوح إلى الرقّة، إضافة إلى انتقال الكثير من العوائل من كوباني للعمل في الرقّة وهذا يفسّر التواجد الكردي في المدينة والمحافظات حيث أن 6% من المستجيبين رأوا أن أقرب إلى أحزاب الوحدة الوطنية الكردية، و2% قالوا بأن المجلس الوطني الكردي هو الأقرب لهم، إلى حدّ ما تتماشى هذه الأرقام مع نسبة التواجد الكردي في المحافظة ككل.

Figure 19 من هي الجهة التي تشعر انها الاقرب لمواقفك السياسية؟- الرقّة



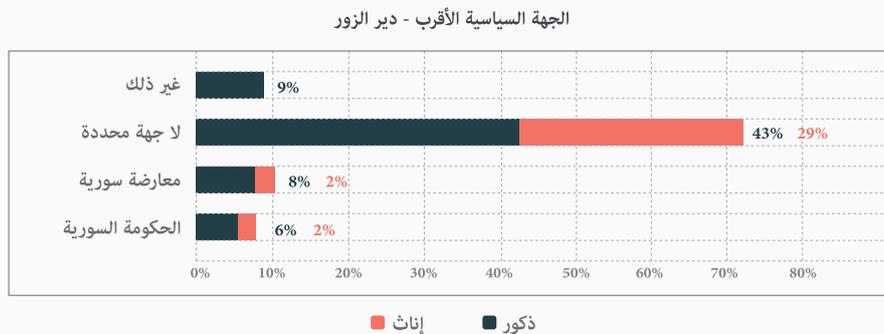
18 مقابلة مع محمد زكي الهويدي، شخصية سياسيّة من الرقّة

دير الزور

لا تختلف التوجّهات السياسية في دير الزور عن الرقة بشكل كبير، وخلال العقود الأربع قبل اندلاع الاحتجاجات في سوريا، كان حضور حزب البعث طاعياً، ثم وبدرجة أقل بكثير أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية المتحالفة مع البعث، بالإضافة إلى حضور قليل لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة وحزب البعث "الموالي للقيادة العراقية" وكذلك الأحزاب المعارضة اليسارية والقومية، لكن حضور الأحزاب في ظل حالة الحظر التي فرضها الحزب الحاكم بقي غير ذي أثر في الحياة العامّة.

نتيجة لواقع خروج دير الزور المستجد من تحت سيطرة تنظيم داعش، والركود السياسي وحظر الأحزاب منذ تسلّم حزب البعث السلطة في سوريا، بقيت المنطقة، شأن معظم المناطق السوريّة، أقرب إلى منطقة لا تحتكم على حياة سياسيّة، فضلاً عن عدم وجود أحزاب تنشط في الوقت الحالي لتمثّل أبناء المنطقة، وعلى هذا النحو جاءت إجابات المستجيبين بنسبة عظمى حيث قال 72% أن لا جهة محدّدة تمثّلهم سياسياً (Figure 20)، هذه النسبة تعكس حتى درجة قريبة الأوضاع السياسيّة الخالية من اتجاهات قادرة على تمثيل السكّان، فيما قال 10% بأن المعارضة تمثّلهم، لا يغفل هنا أنّ المنطقة جرى فيها استقطاب بين المواليين للحكومة السورية والمعارضة قبل وبعد سيطرة داعش لكنه لم يكن استقطاباً لكتل بشرية كبرى، ومع تسلّم الإدارة الذاتية حكم المنطقة لم تظهر قوى سياسيّة قادرة على التمثيل السياسي، في حين أنّ التمثيل الاجتماعي/ العشائري بقي أسبق وأكثر حضوراً في داخل المشهد العام للمحافظة.

Figure 20 من هي الجهة التي تشعر أنها الأقرب لمواقفك السياسية؟- دير الزور



ثالثاً: التمثيل الاجتماعي

في إزاء التمثيل السياسي تبرز مسألة حضور القوى الاجتماعية، من شيوخ عشائر ووجهاء محليين، إلى الهيئات الاجتماعية الجديدة التي جاءت جراً تطبيق نموذج الحكم الجديد الذي وضعته الإدارة الذاتية، كالكومين (Box 1)، بالإضافة إلى بروز دور المنظمات المدنيّة التي بدأ حضورها يتنامى في المنطقة منذ عام 2011.

الحسكة

بطبيعة الحال تختلف التوجّهات الاجتماعية في محافظة الحسكة التي تبلغ مساحتها حوالي 23 ألف كم2 عن مثيلاتها في الرقة ودير الزور، إذ تبرز في مناطق الحسكة التوجّهات الاجتماعية الأقرب إلى الهياكل السياسية، كالمجالس المحلية والكومينات، بشكل أكبر من دور العشيرة المهم في مناطق أخرى من شمال شرق سوريا.

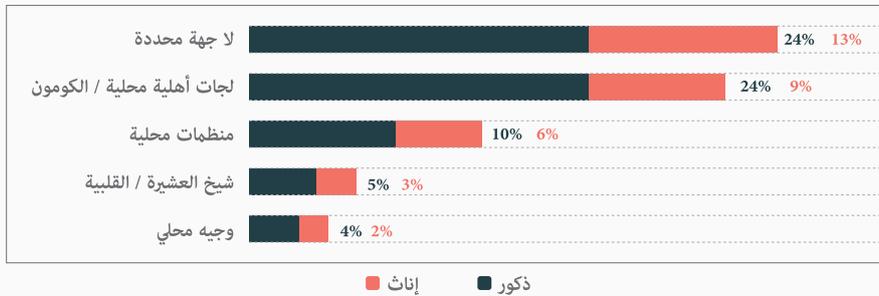
ورغم أن معظم مستجبي العينة لم يحددوا جهة تمثيلهم الاجتماعي وهم 37%، فإن نسبة عالية منهم 33% رأَت في الكومين جهة اجتماعية تمثّلهم في مناطق محافظة الحسكة، فيما برز دور المنظمّات المحلية أيضاً كجهة تقوم بتمثيل فئات اجتماعية، كاتحادات ومنظمات ومؤسسات المرأة والشبيبة والفن والأدب والإعلام والتنمية والأبحاث والإغاثة والصحة، ولعل تنامي دور المنظمّات المدنية تضاعف خلال سنوات الأزمة ومع قبول الإدارة الذاتية تواجدها على كثرتها وتعددتها، كما يبرز من الاستبيان دور محدود للعشيرة أو للوجهاء المحليين بنسبة 8% و 6% على التوالي من العينة (Figure 21).

الكومون أو الكومين

هو أصغر خلية مجتمعية، يتشكل من عدة عائلات (15 إلى 50 عائلة)، تعيش في منطقة محددة، كالحارات أو الأحياء أو القرى الصغيرة، يضم في عضويته عدة عائلات و عشرات الأفراد من كلا الجنسين ممن تزيد أعمارهم عن ستة عشر عاماً، وتتم عملية تنظيم الانتخابات لمجلس الكومين بدعوة السكان في منطقة الكومين سواء في الحي أو القرية ببطاقات اسمية ثم يبدأ الاقتراع بشكل سري وتعلن أسماء الفائزين على الفور ويشترط في رئاسة المجلس أن تكون مشتركة من رجل وامرأة ممن حققوا على الأصوات. بناء الكومين بدوره يقوم على هدفين الأول "تنظيم المجتمع بحيث يكون قادراً على إدارة نفسه و تسيير شؤونه" فيما الهدف الثاني فيتمثل في "توفير آلية لتقديم الخدمات للشعب بأسهل الطرق و أسرعها و أقلها مخالفات" وعلى سبيل المثال توزيع الغاز المنزلي على الأحياء التي يتولّاها الكومين.

Figure 21 على الصعيد الاجتماعي، ما هي الجهة التي تشعر انها الأكثر تمثيلاً لمصالحك و اهتماماتك؟- الحسكة

الجهات الاجتماعية الأكثر تمثيلاً - الحسكة



الرقعة

على عكس دور العشيرة المتواضع إلى حدّ ما في مناطق محافظة الحسكة، يبرز دور العشيرة في محافظة الرقة ويتداخل إلى حد ما الولاء السياسي للأفراد بمقدار انتمائهم للعشيرة أو بعدهم عنها، تتواجد في محافظة الرقة التي تبلغ مساحتها حوالي 19 ألف كم2 قرابة 36 عشيرة، وأحياناً تتضمّن العشيرة عدّة أفخاذ وحتى بيوتات، ولعل أكبرها هي عشيرة العفادلة، والولدة. تشكّل العشيرة في ظل غياب الدولة مظلة حماية لأبنائها، إلا أنّ هذا الدور مقرون بقدرة السلطات العامّة على حماية الأفراد؛ فالعشيرة وفقاً لرأي سائد تستطيع حماية أبنائها في حال كان هناك توافق داخل العشيرة، وأكثر العشائر تقوم بهذا الدور بعيداً عن حماية السلطات، في حين قد يكون للسلطة دور سلبي وتكون سبباً في استقواء طرف ضد آخر، وحصول نزاعات وخلافات بين العشائر¹⁹، ودور الحماية يبقى مقروناً بدور رئيس العشيرة المؤثر والفاعل والمسؤول والقادر على حماية أبناء العشيرة، فيما يتوقف هذا الدور أيضاً على العامل العددي، أي إلى كثرة أبناء العشيرة الذي يساهم في تقديم الحماية لها²⁰.

19 مقابلة مع حامد عبدالرحمن الفرج، شيخ عشيرة الولدة، الرئاسة المشتركة للمجلس التشريعي في الطبقة

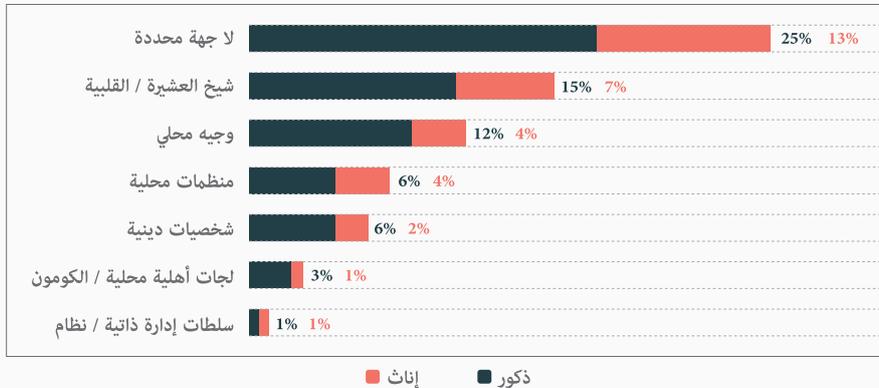
20 مقابلة مع جمال العثمان المهاوش، وجيه اجتماعي من عشيرة الحسون.

هناك ثقة بدور العشيرة، رغم التراجع الكبير في أدوارها التقليدية، ففي الرقة رأى 22% من المستجيبين أن شيخ العشيرة والعشيرة هي الجهة الأكثر تمثيلاً لهم، و16% رأيت في الوجيه المحلي ممثلاً لها (Figure 22)، يعكس هذا الاهتمام بشيخ العشيرة والوجيه المحلي قوّة هذين التمثيلين داخل المجتمع رغم التبدّل الذي خضعت له المجتمعات ووجود سلطة سياسية وعسكرية وإدارية. في إزاء ذلك ثمة أصوات ترى أن العشيرة لم يعد في مقدورها القيام بمهامها التاريخية، إذ لا يمكن للعشيرة تأمين شكل من أشكال الحماية نتيجة للحالة المسلحة الموجود على الأرض، وليس في حسابات العشائر السعي لتشكيل حالة مسلحة، وخاصّة عشائر الرقة لأنها "مسالمة" وأنها باتت أقرب إلى حالة مدنيّة في الوقت الحاضر، ورغم وجود تكتلات وتحالفات محلية (عشائرية) لكنها ليست موجهة ضد الدولة أو سلطات أمر الواقع²¹.

يمثل أيضاً الوجيه الاجتماعي، أي الشخصيات الاجتماعية المتأتمية من خلفيات ثقافية وعشائرية ومهنية مختلفة، أحد ممثلي المجتمع إذ يمكن اعتبار هذه الفئة أقرب إلى الوسط العشائري، ورأى 16% من مستجيب العينة أن الوجيه الاجتماعي يمثلها، في حين أن 10% قالت أن المنظمات المحلية هي من الأكثر تمثيلاً، وبرز أيضاً في الرقة دور وإن كان محدوداً لرجال الدين "الشخصيات الدينية" وهم إما خطباء أو أئمة مساجد أو ممثلوا الاتجاهات الدينية والصوفيّة وكانت نسبة العينة التي قالت بذلك 8%، في حين أن دور الكومين المرتفع في محافظة الحسكة كان أقل بكثير في محافظة الرقة ولم يتجاوز 4%، على أن النسبة الأعظم 38% لم تحدد الجهة الأكثر تمثيلاً اجتماعياً، وهي الإجابة التي تشكّل النسبة الأعظم في المحافظات الثلاث (Figure 22).

Figure 22 على الصعيد الاجتماعي، ما هي الجهة التي تشعر انها الأكثر تمثيلاً لمصالحك و اهتماماتك؟- الرقة

الجهات الاجتماعية الأكثر تمثيلاً - الرقة



دير الزور

تتشابه البنية الاجتماعية في الرقة وريف دير الزور ذو الحضور العشائري، على عكس مدينة دير الزور التي تشكّل فيها الروابط العائلية والاجتماعية والمدنية أبرز سمات المجتمع وبدرجة أقل العلاقات المبنية على أساس العشيرة، ولعل عشيرتي العقيدات والباركة تشكّلان أكبر العشائر في محافظة دير الزور التي تعتبر ثاني أكبر محافظات سوريا لجهة المساحة، بعد محافظة حمص، إذ تبلغ مساحتها نحو 33 ألف كم²، وبدورها تقسم العشائر الكبرى كهاتين العشيرتين إلى العديد من العشائر المتفرّعة والأفخاذ العشائرية.

مع انقسام العشيرة إلى عدّة توجّهات سياسية، فقدت العشيرة بعدها المركزي الذي يمثله شيخ العشيرة، كما أن الانقسام طاول التصورات العامة حول دور العشيرة الحالي، فالعشيرة هي الوحيدة التي تستطيع إيجاد الحلول والاستقرار لأبنائها، وتفرض العشيرة هيبتها ولا تسمح

21 مقابلة مع ثامر ملحم الدرويش، شيخ عشيرة الشبل

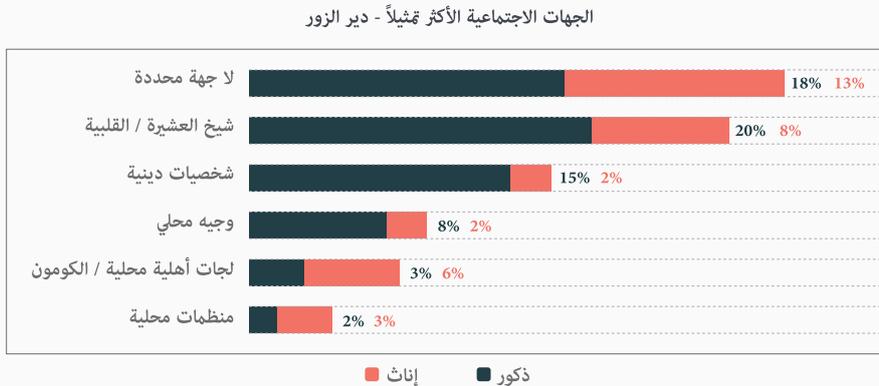
لاحد خارج العشيرة التعدي على أبنائها²²، ولكن في اغلب الأحيان وفي ضل التفكك الاجتماعي الذي حصل إثر الثورة أصبحت العشيرة أضعف من ان تعبر عن تطّعات أبنائها²³.

هناك دراية لدى العشائر باحتياجات أفرادها، ومن خلال الصيغة البراغمية التي انتهجتها العشائر أصبح بمقدورها التكيف مع كل الجماعات الحاكمة المتعاقبة على حكم المنطقة، هذه الصيغة أدّت إلى انخراط العشائر في سلك الوظائف وتوّي المناصب في الإدارة الذاتية، فمن خلال اندماج العشيرة ومشاركتها الإدارة الذاتية في جميع المؤسسات العسكرية والمدنية تكون العشيرة ضمنت سلامة أبنائها واكسبتهم قوة حيث أنهم أصبحوا من أصحاب القرار وبدورهم يحمون ويساعدون بقية أبناء العشيرة²⁴. وتؤمن العشيرة مظلة حماية لأفرادها من خلال مشاركتها في عملية حفظ الأمن والتزامها بالقوانين وتعاونها مع الإدارة الذاتية لحفظ المنطقة والتكاتف معها وأيضاً بالنسبة للعشيرة هناك ثقل وموازن تفرض الأمان لمواطنيها كونهم ينتمون للعشيرة فبحسب قوتها وتكاتفها يكون الغطاء أمكن²⁵.

وإذا كانت النسبة الأعلى من العينة المستجيبة لم تحدد الجهة التي تمثّلها اجتماعياً إذ قال 31% ذلك، في حين أن نسبة أعلى من باقي المحافظات رأت في العشيرة الجهة الممثلة لها اجتماعياً 28%، فيما قال 10% أن الوجيه المحلي يمثلهم (Figure 23)، وهذه النسبة يمكن إضافتها إلى دور العشيرة بشكل من الأشكال على اعتبار أن الوجهاء المحليون هم أقرب إلى حالة اجتماعية تماثل شيوخ العشائر وإن كانت أقل نفوذاً منها، والوجهاء بطبيعة الحال هم من أبناء العشائر والملأك والشخصيات الاعتبارية التي تمتلك التأثير على مجموعات سكانية وتستطيع أن تجمع حولها حلقات اجتماعية من مختلف العشائر والطبقات.

من داخل المجتمع العشائري والمحافظ بدرجة كبيرة يبرز دور رجال الدين بما هم خطباء وأئمة مساجد أو شخصيات لها بعدها الروحي في الحلقات الصوفيّة، إذ قال 17% أن هذه الشخصيات تمثّلها، وبطبيعة الحال لا ينطوي مثل هذا الانزياح نحو الدين على أبعاد مرتبطة بداعش وسنوات حكمها بقدر ما هو مرتبط بطبيعة المجتمع الذي يضع الدين في مصافي الهوية المحليّة والعبارة للعشيرة. يتراجع دور الكومين في دير الزور كما في الرقة، ويمكن إرجاء المسألة إلى الحضور العشائري القائم، وإلى حداثة نظام الكومين في المحافظة التي تخلّصت من حكم داعش منذ 2019، وهذا يجعل من نسبة المستجيبين التي رأت في الكومين ممثلاً لها الأقل حيث قال 9% ذلك وهذه النسبة وإن كانت أعلى من مثلتها في الرقة، إلا أنها تبقى أبعد بكثير من النسبة التي حازتها في الحسكة.

Figure 23 على الصعيد الاجتماعي، ما هي الجهة التي تشعر انها الأكثر تمثيلاً لمصالحك و اهتماماتك؟- دير الزور



22 مقابلة مع إبراهيم الهفل، شيخ من عشيرة العكيدات

23 مقابلة ذياب شيخ الجيلات، رئيس المجلس التشريعي بدير الزور

24 مقابلة مع إبراهيم الهفل، شيخ من عشيرة العكيدات

25 مقابلة ذياب شيخ الجيلات، رئيس المجلس التشريعي بدير الزور

خلاصة:

حاولت هذه الدراسة تقديم نظرة استقصائية عامة حول مجموعة من أهم العوامل التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمنطقة شمال وشرق سوريا في الوقت الراهن. إلا أنه و نظراً للتحوّلات السياسية والاجتماعية المتسارعة في المنطقة والتغيّر الطارئ على هياكل الحكم المحلية والبنى الاجتماعية والواقع الخدمي والمعيشي لسكان المنطقة، فإن هذه الدراسة تشكل مقدمة لمقاربات أوسع وأكثر تعمقاً لهذه العوامل والديناميكيات. بشكل أساسي يبرز موضوع التمثيل السياسي والحكومة كقضايا ذات أهمية كبرى تستدعي البحث والتعمق في حيثياتها وتداعياتها، من ناحية علاقة السكان بالسلطات المحلية ومستوى التمثيل والثقة بهذه السلطات و قدرتها على الاستجابة للاحتياجات وكذلك عن علاقتها بالتوجهات السياسية.

وبشكل مشابه تقدم نتائج هذه الدراسة مدخلاً للتعمق بالمفاهيم ومحددات السياق المتعلقة بالأمن العام في المنطقة وتأثير القوى المحلية والإقليمية على الواقع الأمني والمعيشي للسكان، حيث خلصت الدراسة إلى أن الواقع الأمني والاحساس العام بالامان يشكل الأولوية القصوى للسكان في المنطقة، و كذلك فإن توفير الامان والاستقرار يتربع على قائمة التوقعات من الدور الذي يجب أن تلعبه سلطات الحكم المحلي وهياكل الادارة المحلية، مما يستدعي المزيد من البحث والتقضي في تفاصيل هذا الجانب والادوار المختلفة لأصحاب المصلحة والفاعلين المختلفين في المنطقة وآليات البناء عليها لتصميم خطط استجابة و تدخل ملائمة.

على صعيد آخر، سلطت هذه الدراسة الضوء على التباينات الشاسعة بين المناطق الجغرافية المختلفة في منطقة شمال شرق سوريا سواء من حيث السياق العام أو الجزئيات المتعلقة بالعلاقة مع سلطات الحكم المحلية وبنى التمثيل الاجتماعي. و تشير نتائج الدراسة إلى مجموعة من العوامل ذات التأثير على هذه التباينات، الأمر الذي يفرض العمل على تطوير آليات وبرامج لتسهيل الحوار وتبادل الرؤى والأفكار بين الفئات والمكونات المختلفة بغية ردم الهوة ورفع المستوى المعيشي لسكان المنطقة.

سياق تاريخي للعمل المسلح في دير الزور

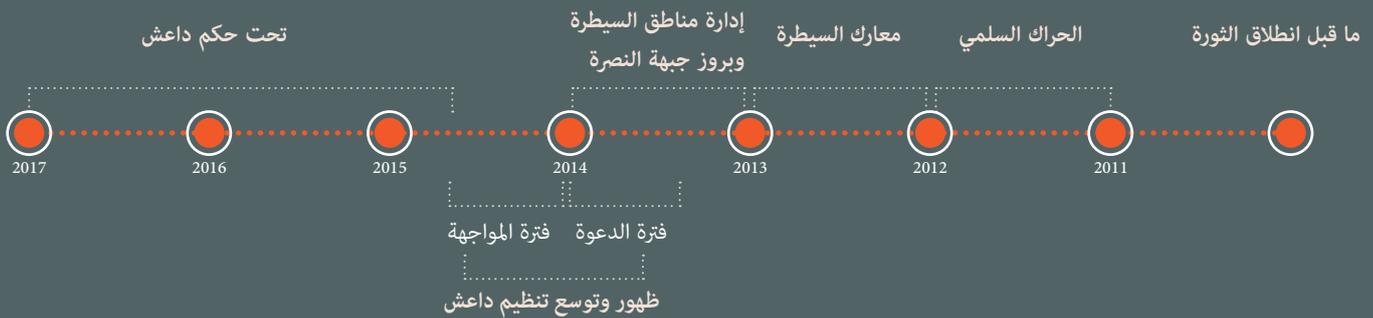
ورد الفراتي

مقدمة:

تحاول الورقة تقديم عرض تاريخي مكثف للأحداث المرتبطة بحالة التطرف العنيف التي أثرت على محافظة دير الزور خلال الفترة السابقة على انطلاق الثورة السورية وحتى احتلال المنطقة من قبل تنظيم داعش ثم تدهوره أمام سيطرة قوات سوريا الديمقراطية (قسد) مدعومة بالتحالف الدولي من جهة، وقوات النظام مدعومة بروسيا ومليشيات إيران من جهة أخرى.

تسلط الورقة الضوء بداية على البنية الاجتماعية والدينية لسكان محافظة دير الزور، ثم تتوسع في دراسة بدايات ظهور أفكار التطرف العنيف في المنطقة في فترة حرب العراق كحالة مفتاحية سنتبع آثارها في أحداث المحافظة خلال العقد المنصرم، مع شيء من التفصيل في أثر ترابط دير الزور مع محافظة الأنبار في العراق، وانخراط عدد كبير من شبابها في حالة المقاومة العراقية وتأثيراتها على أحداث الثورة في شرق سوريا، حيث تشكل المنطقة من دير الزور إلى بغداد امتداداً متجانساً عشائرياً وثقافياً ودينياً.

وتركز الورقة على أبرز المراحل التي عاشتها محافظة دير الزور منذ انطلاق الثورة السورية في مارس \ آذار عام 2013، وحتى سيطرة قوات قسد مدعومة بالتحالف الدولي على شطر المحافظة على الضفة اليسرى لنهر الفرات (جزيرة)، وقوات النظام مدعومة بالجيش الروسي ومليشيات إيران على شطرها الآخر على الضفة اليمنى للنهر (شامية)، وما تبع هذه الفترة مقسمة على الشكل التالي:



عينة الورقة:

تقوم الورقة بدراسة بدايات ظهور حالة التطرف العنيف في محافظة دير الزور، من خلال سردية عامة لأهم الأحداث التي عاشتها محافظة دير الزور خلال العقد المنصرم، مركزة على تفاصيل ضمن السياق تفيد موضوع الدراسة.

المصادر:

يستند البحث بشكل كبير على شهادات قدمتها شخصيات مفتاحية من محافظة دير الزور للباحث، وإجاباتهم عن الأسئلة المعدة مسبقاً والمرتبطة بأساس الورقة، وتعتبر هذه الشهادات والإجابات المسجلة كتابياً أو صوتياً كمصادر أولية للبحث.

بالإضافة إلى الخط الزمني للأحداث الكبرى في المنطقة والتي يمكن تتبعها من خلال الأرشيف الخبري لعدد من المؤسسات الإعلامية العربية والدولية، إضافة إلى أرشيف المعارف الرسمية لعدد من تشكيلات المحافظة العسكرية ومؤسساتها المدنية التي ما تزال موجودة على مواقع التواصل الاجتماعي (YouTube - Facebook - twitter).

أما المصادر الثانوية فستكون الأبحاث السابقة المنشورة عن المنطقة على اختلاف المراكز التي أصدرتها.



الفصل الأول:

لمحة عامة عن محافظة دير الزور

تقع محافظة دير الزور شرقي سوريا على بعد 450 كم شمال شرق العاصمة دمشق، ممتدة على مساحة تزيد عن 33 ألف كم²، حيث تحتل المرتبة الثانية في قائمة أكبر المحافظات السورية من حيث المساحة²⁶، ويحد المحافظة شمالاً محافظة الحسكة السورية، وغرباً محافظتا الرقة شمالاً وحمص جنوباً، أما شرقاً فدولة العراق حيث تضم المحافظة معبر القائم الحدودي أهم المعابر بين سوريا والعراق قرب مدينة البوكمال. يقسم نهر الفرات المحافظة إلى منطقتين شمال شرق النهر تسمى محلياً «الجزيرة»، وجنوب غربي النهر تسمى «الشامية»، وفيها تقع مدن المحافظة الرئيسية (دير الزور - الميادين²⁷ - البوكمال²⁸)، التي تشكل كل منها مركزاً لإحدى المناطق الثلاث المكونة للمحافظة، حيث تتركز مدن وبلدات وقرى المحافظة على ضفاف نهري الفرات والخابور الذين يلتقيان عند بلدة البصرة ضمن منطقة الميادين.

إضافة خريطة للمحافظة مقسمة إلى مناطقها الثلاث وواضحة عليها الحدود

وتضم المحافظة 40% من ثروة سوريا النفطية²⁹، ويقع فيها حقل العمر أكبر حقول البلاد النفطية مساحة وإنتاجاً³⁰، إضافة إلى حقول أخرى ومنشآت نفطية ومعامل غاز¹.

بلغ عدد سكان محافظة دير الزور قبل انطلاق الثورة السورية 1,6 مليون نسمة³¹، جُلهم من أبناء العشائر الريفية المتحضرة، منها القبائل الرئيسية الكبرى مثل العكيدات³² والبكارة³³، إضافة إلى عشائر أخرى أبرزها البوسرايا والخابور والمشاهدة والبوليل والجحيش³⁴، ويشكل العرب غالبية سكان المحافظة مع تواجد لعدد من العوائل الكردية داخل مدن المحافظة الرئيسية، كما أن معظم سكان المحافظة من المسلمين السنة، مع وجود تجمع شيعي صغير في قريتي مراط وحطلة³⁵، إضافة إلى عدد من المسيحيين والأرمن في مدينة دير الزور³⁶.

ويعمل قاطنو أرياف المحافظة في مهن الزراعة وتربية المواشي، أما سكان المدن فيعمل معظمهم في التجارة وفي مهن حرفية وصناعية صغيرة ومتوسطة.

26 "تعرف على دير الزور"، بي بي سي العربي، 4\9\2017، شوهدي في 21\12\2020\3GBqH <https://cutt.us/3GBqH>

27 تمتد منطقة الميادين على مساحة 3954 كم²، حيث بلغ عدد سكانها 247171 نسمة بحسب بيانات مكتب الإحصاء المركزي عام 2004

28 تمتد منطقة البوكمال على مساحة 6807 كم²، حيث بلغ عدد سكانها 265142 نسمة بحسب بيانات مكتب الإحصاء المركزي عام 2004

29 "لماذا تتصارع الدول على دير الزور؟"، عنب بلدي، 10\9\2017، شوهدي في 21\12\2020\NWelf <https://cutt.us/nWelf>

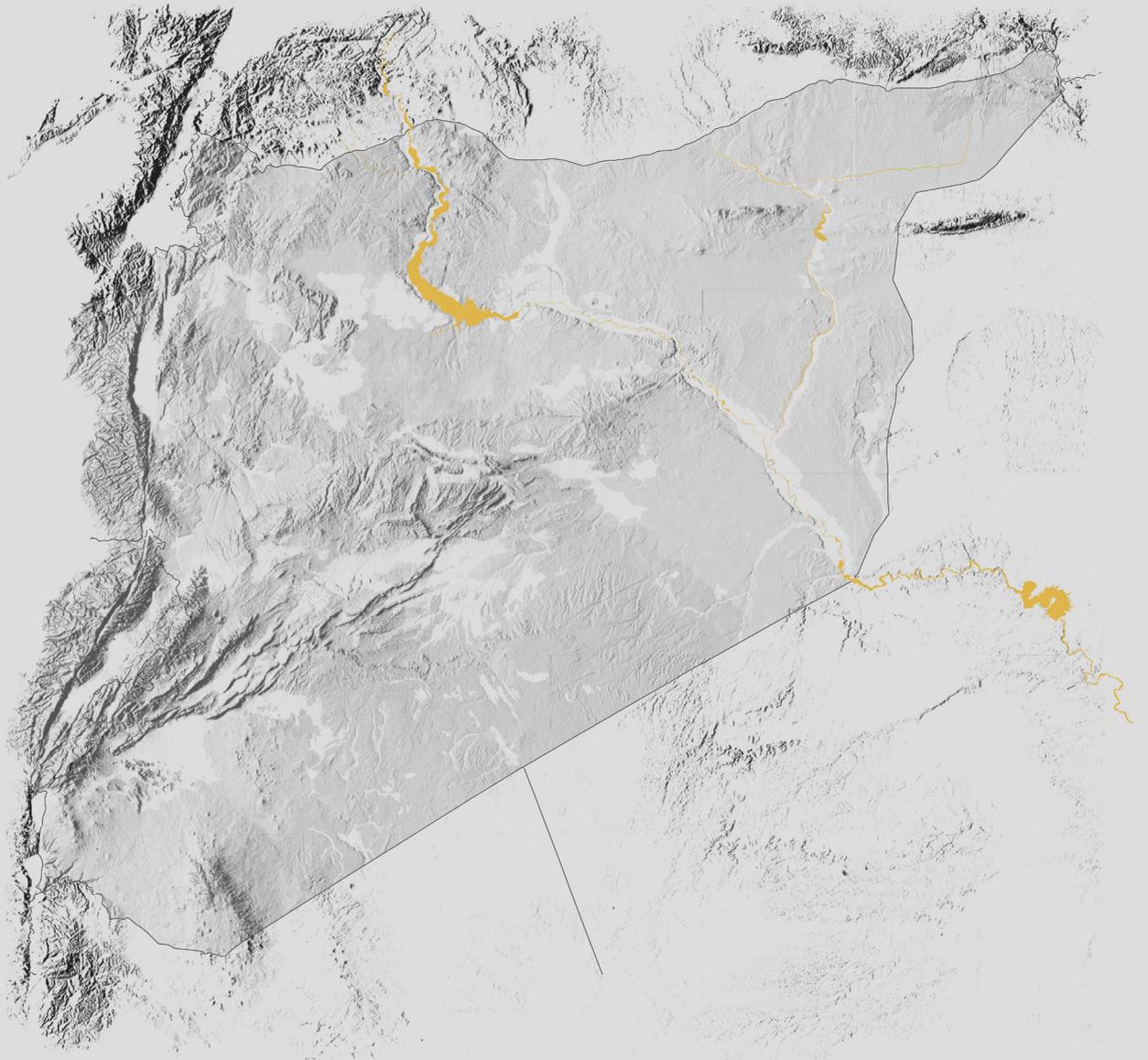
30 يقع الحقل ضمن منطقة الميادين على الضفة اليسرى لنهر الفرات «الجزيرة»، حيث وصل إنتاجه إلى 30 ألف برميل قبل انطلاق الثورة السورية. "حقول النفط التي أعلنت أمريكا البقاء في سوريا لحراستها"، عربي 21، 28\10\2019، شوهدي في 21\12\2020\IvLi <https://cutt.us/IvLi>

31 بلغ عدد سكان المحافظة 1623000 نسمة بحسب بيانات مكتب الإحصاء المركزي عام 2009، بينما كان عدد سكان المحافظة 1004747 نسمة حسب بيانات المكتب عام 2004، بنسبة زيادة بلغت 61,5% خلال 5 أعوام.

32 تقسم قبيلة العكيدات إلى ثلاثة عشائر رئيسية ترتبط مع بعضها برابطة الدم والنسب، وهي عشائر (البوكمال والبوكمال والشعيطات)، وكل واحدة من هذه العشائر تقسم إلى فرق متميزة برئاسة مستقلة عن الأخرى. فيصل دهموش المشهور، «أبناء العشائر في دير الزور من الاستقرار إلى الثورة - ديناميكيات الصراع وعوامل السلم الأهلي»، منظمة العدالة من أجل الحياة JFL، ص 4، يوليو 2017، <https://cutt.us/VFKVA>

33 تقسم قبيلة البكارة إلى ثلاثة عشائر هي: (العابد والعبيد وضنا سلطان) فيصل دهموش، ص 5 (مصدر سابق)

34 تضم محافظة دير الزور إضافة إلى العشائر السابقة أقساماً من قبائل الدليم والمجاودة والبوحدان والبقان والمراشدة والمراسمة والجغرافية والبو بدران، كما يتواجد في بادية دير الزور قسم من عشيرة الفدعان البدوية التابعة لقبيلة عتزة. فيصل دهموش، ص 5 (مصدر سابق)



الفصل الثاني:

ما قبل الثورة السورية (الفكر السلفي - حرب العراق)

تعود نشأة الفكر الإسلامي في دير الزور إلى أربعينيات القرن الماضي، بعد تأسيس جمعية دار الأنصار في مدينة دير الزور عام 1941 برئاسة الشيخ عبد الرزاق رمضان، حيث كانت الجماعة من الجماعات المؤسسة للإخوان المسلمين في سوريا عام 1942، وكانت مسؤولة «الأنصار» تفوق مسؤولة باقي مراكز الجماعة في سوريا مع إشرافها على منطقة واسعة ضمت دير الزور ومنطقة الجزيرة السورية، مساهمة في تشكل مجموعات نشطة في عدد من مدن وبلدات المحافظة أبرزها مجموعة الميادين بقيادة مفتيها الشيخ محمود مشوح³⁵. نشطت جماعة الإخوان طوال فترة الأربعينات والخمسينات ثم تراجعت بعد إعلان الوحدة مع مصر استجابة لشرط جمال عبد الناصر بحل جميع الأحزاب والحركات السياسية، قبل أن تعود لمزاولة نشاطها رغم عدم استرجاعها وضعها القانوني بعد إعلان الانفصال، وتعرض عدد من قيادات الجماعة للاعتقال عام 1966 إبان الحملة التي شملت معظم التيارات السياسية في سوريا آنذاك³⁶.

بقيت الجماعة عاملة في دير الزور، مع تزايد حضورها ونفوذها حتى الثمانينات، التي شهدت صدمات مسلحة قادتها الجماعة ضد النظام في سوريا، والتي قمعتها النظام بأحداث دامية بلغت ذروتها في مدينة حماة السورية، وشاناً حملة اعتقالات واسعة طالت كوادر الجماعة والمقربين منها في كافة المحافظات السورية وضمنها دير الزور، ليصبح منذ ذلك الحين تواجد الجماعة في سوريا سرياً، وتختفي فاعليتها مع استمرار الملاحقة الأمنية لكوادر الجماعة، التي ستنتظر حتى انطلاق الثورة السورية لتحاول العودة إلى المشهد السوري مجدداً³⁷. ويمكن القول عموماً أن طبيعة التدين في المحافظة هو شكل التدين العام (الشعبي)، كما تنتشر في المحافظة عدد من الطرق الصوفية التي لم يكن النظام يمنعها لطبيعتها البعيدة عن التدخل بالشأن العام، لكن ذلك تغير منذ تسعينيات القرن الماضي، مع عودة عدد من شباب المحافظة الذين كانوا يعملون في الخليج العربي متأثرين بالفكر السلفي، حيث انتشرت في المنطقة حالات فردية من متبعي المنهج السلفي لتشكّل لاحقاً مجموعات سلفية صغيرة فيما بعد، لكن دون أن تتحول لدعوات مفتوحة لها معاقليها ومساجد خاصة بها كما في مناطق أخرى خارج المحافظة³⁸. جاءت حادثة الغزو الأمريكي للعراق والتي تحولت فيها المحافظة لبوابة دخول جموع المتطوعين من سوريا والبلاد العربية والإسلامية لقتال التحالف الدولي، بتسهيل من النظام السوري الذي غض النظر عن تدفقهم، وانخرط معظم هؤلاء ضمن ما عرف بفدائيي صدام ليشكلوا قوة رديفة للجيش العراقي ضد التحالف الدولي، لكن سقوط النظام العراقي سريعاً وحل الجيش العراقي، وظهور حالة "المقاومة الشعبية العراقية" ضد قوات التحالف الدولي، سمح لآلاف من هؤلاء المتطوعين والذين كانوا يضمون أعداداً كبيرة من أبناء محافظة دير الزور بالبقاء هناك والمساهمة في جهد المقاومة³⁹، وانخرط قسم منهم في فصائل المقاومة على اختلاف طيفها من الجيش الإسلامي إلى جيش المجاهدين وحتى إلى تنظيم القاعدة³⁹، وعاد معظمهم إلى سوريا على دفعات خلال الفترة بين عامي 2003 - 2006⁴⁰، يحمل بعضهم انتماء تنظيمياً للقاعدة أو أفكاراً قريبة منها دون انتماء تنظيمي، مشكلين خلايا نائمة في سوريا للتنظيم أو مجموعات تحاول العمل على تشكيل تنظيمات برؤية مغايرة، وخاض هؤلاء في سوريا مواجهات أمنية مع أجهزة النظام في عدد من المحافظات السورية⁴¹، ويمكن القول أن تلك الفترة هي التي تشكلت فيها بواكير المجموعات التابعة تنظيمياً للقاعدة في دير الزور⁴²، إلا أن هذه المجموعات كانت حالة نادرة في صفوف العائدين، لكن المؤكد أن الكثير من العائدين حمل فكرة الإسلام الحركي سواء بمنهج السلفي الجهادي أو غيره، أو على الأقل بات يتقبل الفكرة نتيجة لعمله ضمن فصائل وتنظيمات عراقية تحمل الفكرة نفسها، واعتباراً من بدايات الحرب على العراق انتشرت في المنطقة مجموعات وأفراد تجاهر بحملها لأفكار السلفية الجهادية، مبتعدة عن أي نشاط تنظيمي وملزمة بالعمل الدعوي الخجول⁴³.

35 "دير الزور من الذاكرة.. نشوء التيار الإسلامي في دير الزور وتشكل جماعة الإخوان المسلمين.. 1 من 7"، عين المدينة، نشر بتاريخ 2020\2\24، شوهد في 2012\12\24 <https://cutt.us/bBYjr>

36 "دير الزور من الذاكرة.. نشوء التيار الإسلامي في دير الزور وتشكل جماعة الإخوان المسلمين.. 1 من 7" مصدر سابق

37 "دير الزور من الذاكرة.. نشوء التيار الإسلامي في دير الزور وتشكل جماعة الإخوان المسلمين.. 1 من 7" مصدر سابق

38 من خلال عدد من اللقاءات التي أجراها الباحث مع بعض سكان المنطقة

39 طوال فترة حرب العراق وما تلاها حتى انطلاق الثورة السورية، كان يشار إلى «تنظيم الدولة الإسلامية في العراق» باعتبارها جزءاً من تنظيم القاعدة.

40 اعتقل النظام السوري أعداداً كبيرة من العائدين من حرب العراق، وكان بعض هؤلاء ممن بقوا في المعتقلات حتى انطلاق الثورة السورية.

41 التقى الباحث سابقاً بأعضاء سابقين مع تنظيمات تأسست في تلك الفترة في اللاذقية وحلب وإدلب، تحدثوا عن تشكيلهم مجموعات تحمل فكر السلفية الجهادية وتنشط في مواجهة النظام أمنياً، الذي كان يشن حملات أمنية لملاحقة خلاياهم تضمن بعضها مواجهات مسلحة.

الفصل الثالث:

الثورة والسيطرة

شهدت محافظة دير الزور أولى مظاهراتها في 18 مارس \ آذار عام 2011⁴²، لكن ليس بشكل مظاهرة مباشرة، وإنما بشكل أقرب لأحداث شغب على إثر إحدى المباريات في ملعب المدينة، هتف فيها جمهور نادي الفتوة المحلي ضد النظام، ثم ما لبثت أن توالى المظاهرات في مدن وبلدات وقرى المحافظة⁴³، وتوسعت المشاركة فيها، وذلك رغم الحل الأمني الذي اتبعه النظام في تعامله مع الحراك الثوري، والذي وصل ذروته أواسط العام 2011 ببدء سقوط أوائل ضحايا المحافظة⁴⁴، دافعاً أعداداً أكبر من أبنائها للانخراط في حراكها الثوري، حتى تمكنت المحافظة برفقة محافظة حماة من كسر حاجز المليون متظاهر في يوليو \ تموز عام 2011⁴⁴، ليأتي رد نظام الأسد بتحريك جيشه في أوسع تحرك رسمي لقواته منذ اندلاع الاحتجاجات في مارس \ آذار عام 2011، حيث توجهت أرتاله إلى محافظة حماة وسط سوريا، وإلى أقصى الشرق باتجاه دير الزور.

اقتحمت قوات الجيش مدينة دير الزور في السابع من أغسطس \ آب عام 2011 أواسط شهر رمضان، ثم بدأت توسع دائرة اقتحاماتها في المحافظة الثائرة، فدخلت مدينة الميادين وعدداً من البلدات في ريفها مثل القورية في 24 أغسطس \ آب⁴⁵، كما اقتحمت مدينة البوكمال في الشهر نفسه، إلا أن قوات النظام بقيت متمركزة في المدن الرئيسية في المحافظة (دير الزور والميادين والبوكمال)، متخذة منها نقاط انطلاق تشن منها حملات أمنية على قرى وبلدات الريف ثم تنسحب منها⁴⁶، تاركة إياها دون سلطة مباشرة سمحت لها باستمرار حراكها الثوري كأنها مناطق محررة⁴⁷، وبتحولها إلى ملجأ لأبناء المدن وتنسيقياتهم، وإلى مناطق تشكل بواكير مجموعات الجيش السوري الحر في المحافظة. سمح انتشار السلاح في أرياف محافظة دير الزور منذ ما قبل انطلاق الثورة السورية بتشكيل مجموعات مسلحة مبكراً ضمن صفوف الثورة السورية أواسط العام 2011 لكن ليس بشكل منظم، ويمكن القول إن أول معركة حقيقية شهدتها المحافظة بين هذه المجموعات وبين قوات النظام كانت أحداث السبت الدامي في مدينة البوكمال أواسط يوليو \ تموز عام 2011⁴⁸، ثم جاء اجتياح جيش النظام للمحافظة ومركزه في مدنها الرئيسية في أغسطس \ آب من العام نفسه، دافعاً لانتظام عمل تلك المجموعات التي تزايدت أعدادها تحت مظلة الجيش الحر المُشكّل أواخر يوليو \ تموز، مستفيدة من انحسار سلطة النظام الأمنية والعسكرية عن أرياف محافظة دير الزور.

بقيت المواجهات بين مجموعات الجيش الحر وقوات النظام في المنطقة محصورة ضمن إطار المواجهات السريعة ولم تتخذ شكل معارك "تحرير" حتى أواسط العام 2012، حيث كانت مدينة الميادين أولى مراكز المحافظة الثلاث التي تمت السيطرة عليها في 24 أغسطس \ آب عام 2012^{viii}، أما أول منطقة محررة بشكل كامل في المحافظة فهي منطقة البوكمال التي تم تحريرها في 17 نوفمبر \ تشرين الثاني^x، تلتها منطقة الميادين التي تمت السيطرة عليها بعد السيطرة كتيبة المدفعية آخر معقل النظام فيها في 22 نوفمبر \ تشرين الثاني^x، أما منطقة دير الزور فلم تتم السيطرة عليها بشكل كامل، حيث بدأ انتشار مجموعات الجيش الحر في المدينة منذ أواسط العام 2012، تمكنت فيها من السيطرة على عدد من أحيائها والتصدي لحملة قوات النظام عليها في سبتمبر \ أيلول عام 2012، التي ارتكبت فيها أبشع مجازر الشرق السوري وهي مجزرتي حيي الجورة والقصور^{xi}، إثر الحملة بقيت مجموعات الجيش الحر تسيطر على معظم أحياء المدينة لكن محاصرة داخلها، حتى تمكنت مجموعات الريف من السيطرة جسر السياسية في يناير \ كانون الثاني عام 2013، لتصبح أحياء المدينة موصولة بالريف، وليبقى النظام سيطرته على حيي الجورة والقصور، كما حافظت قوات النظام على سيطرتها على مطار دير الزور العسكري ومنطقة عياش. وكانت آخر ثكنات قوات النظام العسكرية التي سيطرت عليها مجموعات الجيش الحر في المحافظة هي (لواء الصواريخ 113) شرقي مدينة دير الزور في النصف الأول من مارس \ آذار عام 2013⁴⁹.

42 مقاطع فيديو على برنامج يوتيوب توثق المظاهرة، <https://cutt.us/q0Pzh> <https://cutt.us/GX0hG>

43 خرجت المظاهرة الأولى بمطالب ثورية معلنة في مدينة دير الزور من جامع عثمان بن عفان ضمن حي المطار القديم، أما في مدينة الميادين فقد كانت المظاهرة الأولى بتاريخ

2011\3\24 ضمن السوق القبلي في المدينة، وفي البوكمال كانت من جامع أبو بكر الصديق قرب ساحة النخيل يوم الجمعة بتاريخ 2011\4\8

44 نقل عدد من الناشطين أن أعداد المتظاهرين في محافظة دير الزور تجاوزت 550 ألف متظاهر، وفي محافظة حماة 650 ألف متظاهر، وذلك في يوم الجمعة الذي أطلق عليه الناشطون «جمعة أحفاد خالد» في 22 يوليو \ تموز عام 2011. "انفجارات في الكلية الحربية في حمص غداة مظاهرات مليونية"، موقع DW، 23/7/2011، شوهد في

<https://cutt.us/egIiT> 2020\12\24

45 "ميادين الفرات الرحبة (2 من 2)"، الجمهورية نت، 2016\9\26، شوهد في <https://cutt.us/SFaoE> 2020\12\24

46 لم تستقر قوات النظام في قرى وأرياف دير الزور ذات الامتداد الواسع بسبب انتشار السلاح بين أبناء الريف ذي الطبيعة العشائرية

47 "ميادين الفرات الرحبة (2 من 2)"، مصدر سابق

48 سبقت الإشارة إلى أحداث السبت الدامي في الهامش 14.

49 شاركت جبهة النصرة في معارك تحرير المحافظة منذ بداياتها، لكن مجموعاتها في البداية كانت متواضعة الأعداد والأثر، إلا أن انضمام عدد من الكتائب المحلية إلى صفوفها مثل جنود الحق في البوكمال وأسود التوحيد في الميادين وغيرها من المجموعات التي كانت تنتمي إلى الجيش الحر، مع توسع أعدادها في قرية الشحيل التي باتت معقلها الرئيسي، حولها إلى قوة ضاربة في المحافظة لاحقاً.

الفصل الرابع:

تشكيلات المحافظة العسكرية وخلفياتها الأيدولوجية والمناطقية

منذ أواخر العام 2011 وحتى يوليو \ تموز عام 2014 تأسست في محافظة دير الزور عدد من التشكيلات العسكرية التي كانت فاعلاً أساسياً في معارك السيطرة عليها والدفاع عنها، وفيما يلي أبرز هذه التشكيلات:

التوجه	فترة النشاط في دير الزور	التسمية	الرمز
طابع اسلامي دون منهج محدد	نهاية 2012 حتى بداية 2014	تجمع أحفاد الرسول	
توجه اسلامي بطابع سلفي حركي	تأسست نوفمبر 2012	جبهة الأصالة و التنمية	
منهج سلفي علمي	يناير 2012 - نوفمبر 2013 (انضمام إلى لواء الاسلام)	لواء جعفر الطيار	
سلفية جهادية ذات طابع اصلاحي	بدايات 2013	حركة أحرار السلام الاسلامية	
سلفية جهادية طابع قاعدي	أواخر عام 2011	جبهة النصرة	

تجمع أحفاد الرسول

يعتبر التجمع من تشكيلات الجيش الحر العابرة للمحليات في سوريا، حيث يضم أفرعاً له في عدد من المحافظات السورية، لكن فرعه في المنطقة الشرقية (دير الزور - الرقة - الحسكة) يعتبر الأضخم وخاصة فرعه في محافظة دير الزور بقيادة «صدام الجمل» من أبناء مدينة البوكمال، حيث كان شكل التجمع عبارة عن إطار تحالفي أكثر من كونه تشكياً متماسكاً يتبع لقيادة مركزية، ويعود تاريخ تشكيل التجمع إلى أواخر العام 2012.

ضم التجمع في دير الزور الذي بات يعرف باسم جيش الأحفاد⁵⁰، عدداً من أبرز فصائل المحافظة منها:

- لواء الله أكبر بقيادة صدام الجمل، والذي يعتبر أكبر تشكيلات مدينة البوكمال^{xii}.
- فرقة القعقاع بقيادة محمود المطر، والذي يعتبر تشكيل بلدة القورية الرئيسي^{xiii}، والتي تنتشر فيها عشيرة القرعان من أبناء قبيلة العكيدات من فرع البوكمال.
- جيش العسرة بقيادة أبو سيف الشعيطي، والذي تم تشكيله في منطقة انتشار عشيرة الشعيطات^{xiv}.
- تجمع الأحفاد في مدينة دير الزور والذي ضم عدداً من كتائب المدينة بقيادة فراس خرابة^{xv}.

50 فيديو يوثق اجتماع قادة ألوية جيش الأحفاد في مدينة دير الزور تحضيراً لمعركة تحريرها <https://cutt.us/AXSKs>

ويعتبر التجمع من تشكيلات الجيش الحر غير المتخذة لمنهج محدد تطبع به منسوبها، إلا أنه كمعظم فصائل الجيش الحر في المحافظة يحمل طابعاً إسلامياً⁵¹، وانهار التجمع بدايات العام 2014 على خلفية مشاكل مع جبهة النصرة وتنظيم الدولة على حد سواء.

جبهة الأصالة والتنمية

هي إحدى التشكيلات الثورية العابرة للمحليات في سوريا، حيث تم تشكيلها بتمويل ودعم من قبل عدد من الشخصيات الكويتية في نوفمبر/ تشرين الثاني عام 2012، وذلك بنظام جبهات مقسمة مناطقياً على امتداد الأرض السورية^{xvi}، حيث كان قائد الجبهة الشرقية فيها هو الملازم عبد الرحمن تري من أبناء مدينة الميادين، وضمت الجبهة الشرقية عدداً من تشكيلات المحافظة أهمها:

- لواء أسود السنة بقيادة عبد الرحمن تري، والذي يعتبر أكبر تشكيلات مدينة الميادين^{xvii}.
 - لواء بشائر النصر بقيادة طلاس السلامة، والذي يعتبر التشكيل الرئيسي لمدينة العشارة التابعة للميادين^{xviii}.
 - لواء أهل الأثر المكون من مجموعات الجيش الحر في ريف البوكمال على الضفة اليمنى لنهر الفرات^{xix}.
- ويمكن القول إن التوجه الرسمي للأصالة والتنمية إسلامي بطابع سلفي حركي⁵².

لواء جعفر الطيار

يعتبر اللواء من تشكيلات الجيش الحر في دير الزور التي تم تشكيلها مبكراً في يناير ١ كانون الثاني 2012، حيث ضم اللواء عند التشكيل عدداً من كتائب أرياف منطقتي البوكمال والميادين، معظمها من منطقة الجزيرة على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وذلك بقيادة حج سليم الخالد من أبناء قرية الشحيل^{xx}، شارك اللواء في معظم معارك المحافظة بشكل مستقل حتى انضم أواسط نوفمبر / تشرين الثاني عام 2013 -برفقة تشكيلات أخرى من محافظة دير الزور- إلى صفوف لواء الإسلام المشكل في غوطة دمشق الشرقية، حيث شكل لواء جعفر الطيار نواة لواء الإسلام في المنطقة الشرقية⁵³، ويعتبر لواء الإسلام من الكيانات ذات المنهج السلفي العلمي في سوريا⁵⁴، إلا أنه لم يمتلك وقتاً كافياً لإقامة معسكرات شرعية تطبع كوادره بهذا المنهج ضمن المنطقة الشرقية، حيث بقي فرعها كعموم تشكيلات الجيش الحر في المحافظة.

حركة أحرار الشام الإسلامية

حركة أحرار الشام الإسلامية من التشكيلات العابرة للمحليات في سوريا، حيث ضمت فروعاً لها في عدد من المحافظات، ومنها فرعها في

51 رغم أن الجيش الحر حافظ على عدم اتخاذه منهجاً محدداً يطبع به أفرادها ضمن معسكراته، إلا أن معظم تشكيلاته في سوريا -ومنها دير الزور- كانت تحمل هوية إسلامية واضحة، في مسمايتها ومفردات خطابها وشعاراتها، وفي بناها التنظيمية التي كانت تضم غالباً منصب «شرعي» يتولى مهام التوجيه المعنوي والقضاء الداخلي ضمن بني التشكيلات العسكرية النظامية، إضافة إلى كون معسكراتها التدريبية التي كانت تقيمها يتم فيها إعطاء دروس شرعية في العقيدة وفقه الجهاد، لكن الجيش الحر حافظ على تميزه عن التشكيلات السلفية الجهادية (المعرفة إعلامياً باسم إسلامية) برفعه علم الثورة السورية، وبتبنيه عموماً لفكرة كون شكل الحكم مستقبلاً في سوريا ديمقراطياً.

52 تشكلت جبهة الأصالة والتنمية أساساً بتمويل خليجي كان يأتي عن طريق بعض الشخصيات من دولة الكويت، حيث ضمت عدداً من طلبة العلم والعسكريين المنشقين، وكان توجه صف قيادتها الفكري هو السلفية الإصلاحية، وهو تيار ينتشر في دولة الكويت وعدد من الدول الخليجية يحمل أفكار جماعة الإخوان المسلمين الحركية مع تبني توجه عقدي سلفي.

53 بيان تشكيل لواء جعفر الطيار: <https://cutt.us/6Hknk> بيان انضمام اللواء برفقة تشكيلات أخرى إلى صفوف لواء الإسلام: <https://cutt.us/aa0ZB>

54 تتفرع السلفية إلى عدة مناهج منها السلفي العلمي الذي ينتشر بشكل رسمي في الخليج العربي وخاصة في المملكة العربية السعودية، حيث يعتبر الشيخ زهران علوش قائد ومؤسس لواء الإسلام وقبلة والده من أتباع ودعاة هذا المنهج في سوريا، ويتقاسم أتباع هذا المنهج العداء مع أتباع السلفية الجهادية.

محافظة دير الزور، الذي أنشئ متأخراً بدايات العام 2013 مع السيطرة على مدينة الرقة، وضم فرعها عدداً من المجموعات في مدينتي الميادين ودير الزور وعدداً من البلدات والقرى في ريف المحافظة، دون أن تحتوي على منطقة انتشار مركزي لها في قرية أو بلدة أو مدينة بعينها⁵⁵، وتنتهي أحرار الشام فكرياً إلى منهج السلفية الجهادية ذات الطابع الإصلاحية⁵⁶.

جبهة النصرة

تعتبر جبهة النصرة فرعاً لتنظيم القاعدة الدولي في سوريا، لكنها لم تعلن عن تبعيتها للقاعدة حتى أبريل \ نيسان عام 2013، ومن غير المعروف على وجه الدقة متى بدأت الجبهة نشاطها في البلاد؟! إلا أنها أعلنت عن تأسيسها رسمياً أواخر العام 2011، حيث عُرضت في إصدار تشكيلها لقطات مصورة لكثائب من الميادين والبوكمال⁵⁷، وفي فترة قياسية تضخّم فرعها في دير الزور متحوّلاً إلى أحد أبرز تشكيلات المحافظة، فضلاً عن كونه من أبرز فروع الجبهة، والذي اتخذ من قرية الشحيل التابعة لناحية البصرة ضمن منطقة الميادين مركزاً رئيسياً له، وتواجد على رأسه شرعيها العام أبو ماري القحطاني، وتكونت مجموعات جبهة النصرة الرئيسية في المحافظة من كثائب الجيش الحر انضمت لها، فمثلاً في البوكمال كان عدد من أفراد كتيبة جنود الحق جزءاً من مبايعها الأوائل، وفي الميادين كانت كتيبة أسود التوحيد هي عمادها⁵⁸، وكذلك في كل منطقة من المناطق، بينما شكلت مجموعات قرية الشحيل النواة الصلبة عددياً للتنظيم في المحافظة أيام تواجدها فيها. وتتبع جبهة النصرة السلفية الجهادية بطابعها القاعدي منهجاً لها⁵⁹.

مجلس شوري مجاهدي الشرقية

تم الإعلان عن تشكيل مجلس شوري مجاهدي الشرقية في 25 مايو \ أيار عام 2014، من اندماج 12 تشكيلاً من تشكيلات محافظة دير الزور⁶⁰، وذلك بعد خمسة أشهر على اندلاع المواجهات بين تشكيلات المحافظة ومجموعات التنظيم، حيث جاء الإعلان عن التشكيل كجبهة موحدة ضد التنظيم رغم التباينات الفكرية والأيدولوجية وحتى المناطقية بين مكوناتها، وهو ما أبقى التشكيل حالة ائتلافية أكثر من كونه اندماجاً حقيقياً، وبالتالي لم تستطع مكونات المجلس من إيقاف تقدم التنظيم، وسرعان ما انهارت بسقوط مناطق سيطرتها في دير الزور بيد التنظيم في يوليو \ تموز عام 2014.

55 تنقل مقر حركة أحرار الشام المركزي في دير الزور بين مدينة الميادين بداية ثم انتقل إلى الباغوز على الضفة اليسرى لنهر الفرات قبالة البوكمال، كما ضمت الأحياء المحررة من مدينة دير الزور مقراً للحركة. معاذ، (مقاتل سابق ضمن صفوف حركة أحرار الشام في دير الزور)، مقابلة مع الباحث عبر اتصال هاتفي، اسطنبول، 2020\12\29

56 كانت السلفية الجهادية هي منهج حركة أحرار الشام الذي تعلمه لكوادرها في معسكراتها منذ تشكيلها وحتى أواخر العام 2013، ثم وبعد ظهور الخلاف بينها وبين تنظيم داعش، وتطوره إلى اشتباكات أواخر العام 2013، تبنت الحركة منهجاً إصلاحياً بعد مراجعات فكرية في صفوف قياداتها وصلت ببعضهم إلى الاعتذار علناً عن السلفية الجهادية.

57 إصدار إعلان تشكيل جبهة النصرة المنشور في ديسمبر \ كانون الأول عام 2011 <https://cutt.us/vyo99>

58 كانت مجموعة أسود التوحيد جزءاً من لواء أسود السنة التابع للجيش الحر في مدينة الميادين، قبل أن تنفصل عنه لاحقاً وتنتسب إلى جبهة النصرة.

59 يُعتبر تنظيم القاعدة هو التطبيق العملي لمنهج السلفية الجهادية الذي تأسس على أيدي مشايخ تبناوا فكرة القتال لتطبيق الشريعة ضد ما يعتبرونه أعداء الأمة، سواء كانوا حكومات في بلاد إسلامية اعتبروا حكامها طواغيتاً معطلين للشريعة، أو كانوا حكومات دول غربية اعتبروها أعداء للمسلمين وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، أو حتى فصائل ومجموعات تشاركتها ساحات قتالية لكنها لا تتبنى منهجها الحدي في تطبيق الشريعة والتي كان التنظيم يعتبرهم مرتدين أو علمانيين. ورغم أن جبهة النصرة فرع من تنظيم القاعدة تتبنى وتردد مفردات خطابه، إلا أنها بتعاملها الميداني في سوريا اتخذت منهجاً أقل حدية في تعاملها مع التشكيلات الأخرى عند تأسيسها، وهذا ربما ما أعطاها شعبية كبيرة وصلت حد أن تجد سياسيين معارضين يدافعون عنها ضد قرار تصنيفها أواخر العام 2012 على لوائح الإرهاب الأمريكية، وذلك قبل أن تعلن الجبهة رسمياً تبعيتها لتنظيم القاعدة في أبريل \ نيسان عام 2013 إبان الإعلان عن تشكيل تنظيم الدولة والانشقاقات ضمن صفوفها، لتعود الجبهة وتعلن انفصالها عن تنظيم القاعدة في يوليو \ تموز عام 2016 مشكلة جبهة فتح الشام.

60 التشكيلات الموقعة على بيان تشكيل مجلس شوري مجاهدي الشرقية هي: أفرع كل من جبهة النصرة وجيش الإسلام وحركة أحرار الشام الإسلامية وجبهة الأصالة والتنمية في محافظة دير الزور، إضافة إلى جيش أهل السنة والجماعة وفرقة القعقاع وجبهة الجهاد والبناء وبيارق الشيعيات ولواء القادسية وجيش مؤتة الإسلامي وجيش الإخلاص وكتيبة المهاجرين والأنصار. حيث عرف التشكيل اختصاراً وسخرية من قبل أنصار تنظيم الدولة بـ "مشمش" "مشمش" مشمش لقيادة القتال ضد داعش في المنطقة الشرقية"، موقع قاسيون، 2014\5\28، شوهد <https://cutt.us/37hSO> 2020\12\28 في

ظهور داعش ومقارنة مع التشكيلات الأخرى وحرب المواجهة

تم الإعلان عن تشكيل تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" والمعروف اختصاراً بتنظيم "داعش" في أبريل ١ نيسان عام 2013، وذلك بتسجيل صوتي لزعيمه «أبو بكر البغدادي» الذي أعلن أن جبهة النصرة جزء من تنظيم الدولة وأنها الآن تعود إليها⁶²، ليتبعه بيوم واحد تسجيل لأبو محمد الجولاني زعيم جبهة النصرة معلناً أن جبهة النصرة تتبع تنظيم القاعدة وتآمر بأمره رافضاً بذلك التبعية لها⁶¹، لينقسم أتباع جبهة النصرة بين مستجيبين لتسجيل البغدادي ومستجيبين لتسجيل الجولاني، وتظهر تفاوتات في مدى الاستجابة مناطقياً، حيث انحاز جل مقاتلي النصرة شمال سوريا للبغدادي باسطين نفوذهم على مقراتها ومقراتها، أما شرق سوريا فقد بقيت الكتلة الأكبر ضمن صفوف جبهة النصرة بفضل جهود شرعيها العام أبو ماري القحطاني⁶²، ولم يتبع البغدادي في دير الزور وريفها من مجموعات النصرة إلا مجموعة عامر الرفدان في منطقة جديد عكيدات على الضفة اليسرى لنهر الفرات قبالة مدينة موحسن ضمن منطقة دير الزور، والذي بات والي داعش على دير الزور⁶³، ولم يجاوز عدد منتسبي مجموعته آنذاك 50 مقاتلاً⁶⁴، كما بايع التنظيم عدد قليل من منسوبي جبهة النصرة وفصائل أخرى في مدينة الميادين⁶⁵، متخذين من منشأة نادي الميادين الرياضي في المدينة مقراً لهم، ثم أنشأ التنظيم مقرين صغيرين في حيي العمال والحويقة لمن يابعه في مدينة دير الزور، وهذه هي المقرات الوحيدة المعلنة للتنظيم في المحافظة منذ الإعلان عن تشكيله وحتى سيطرته على المحافظة، كما لم يكن للتنظيم حواجز أو محاكم في المنطقة.

كان واضحاً أن التنظيم خلال الفترة بين أبريل ١ نيسان ونهاية العام 2013 يواجه صعوبة في ضم أفراد جدد إلى صفوفه في محافظة دير الزور، مقارنة مع حجم نشاطه وتوسع أعداده في المحافظات الأخرى⁶⁶، وذلك رغم عدم وجود ما يهدد عناصر التنظيم في المنطقة آنذاك، حيث كانت النظرة عموماً إلى التنظيم على أنه تشكيل جديد آخر ضمن التشكيلات الكثيرة في المناطق المحررة⁶⁷، وهو ما سمح للمبايعين الجدد للتنظيم أن يتنقلوا بحرية في المنطقة، بل وأن يقيموا أحياناً ضمن مقرات لكتائب وتشكيلات أخرى، معتمدين على علاقات القرابة والصدقة معهم⁶⁸. ومن الصعب بمكان حصر أعداد المبايعين للتنظيم من أبناء المحافظة في تلك الفترة، إلا أن تقديرات محلية تجزم أن أعداد المبايعين علناً للتنظيم لم تتجاوز 150 مبايعاً آنذاك⁶⁹، وهو ما يمكن أن يعزى لأسباب عدة أهمها البنية العشائرية للمنطقة، التي كانت تضع حداً لقدرة كل من التشكيلات على ضم الأفراد المشكلين لقواتها المركزية، وهو حد الانتماء للعشيرة نفسها، حيث يُحسب كل فصيل على إحدى فروع العشائر من أبناء المنطقة، وتنتمي نواته الصلبة وغالبية أعداد أفرادها إلى فرع العشيرة التي تشكل منها ابتداءً، ويصبح الفصيل جغرافياً محدوداً بحدود

61 "مفاجأة الجولاني تخرج خلافات النصرة للعلن"، الجزيرة نت، 11\4\2013، شوهد في 27\2\2021 <https://cutt.us/jJES4>

62 بحسب عدد من المقابلات أجراها الباحث مع مقاتلين سابقين ضمن جبهة النصرة في المنطقة الشرقية، فإن رفض الشرعي العام لجبهة النصرة «أبو ماري القحطاني» للانضمام إلى تنظيم الدولة، ونشاطه الكبير ضمن المنطقة وبين أتباع النصرة فيها، يعد من أهم أسباب رفض الكتلة الأكبر من جبهة النصرة من أبناء المنطقة الانحياز إلى تنظيم الدولة، حيث اشتهرت كلمة أبو ماري التي كان يرددتها قبيل انطلاق الاشتباكات مع التنظيم: «والله لأقاتلنهم ولو كنت وحدي»، ورغم أن أبو ماري عراقي إلا أنه تمكن في فترة قصيرة من بناء علاقة طيبة مع المجتمع المحلي في المناطق المحررة في محافظة دير الزور.

63 عامر الرفدان هو أحد أبناء قبيلة العكيدات كبرى عشائر دير الزور، حيث ينتمي لفرع «البكير» ضمن القبيلة، ورغم أنه من سكان مدينة دير الزور قبل انطلاق الثورة السورية، إلا أنه وبعد انطلاق الثورة غادر إلى بلدته جديد عكيدات التي شكل فيها مجموعة بايعت جبهة النصرة، وبقيت ضمن صفوفها حتى إعلان البغدادي قيام تنظيم الدولة، ليختار الرفدان الانحياز إلى صفوف التنظيم الذي استفاد كثيراً من انتماء الرفدان العشائري. "أمراء داعش.. 3 مؤهلات للمبايع"، العربي الجديد، 15\10\2014، شوهد في 28\12\2020 <https://cutt.us/Sydyd>

64 أبو الحسن، (مقاتل سابق ضمن صفوف جبهة النصرة في دير الزور)، مصدر سابق

65 لم يجاوز عدد عناصر تنظيم الدولة في مدينة الميادين 15 عنصراً بحسب أبو الحسن، (مصدر سابق)

66 في محافظتي حلب وإدلب على سبيل المثال تمكن التنظيم في فترة قياسية من الانتشار حتى بات نادراً في الربع الثالث من عام 2013 أن تجد قرية أو بلدة رئيسية شمال سوريا تخلو من مقر له، فضلاً عن اتباعه سياسة قبول انضمام المجموعات إليه، على عكس جبهة النصرة التي كانت ترفض ضم المنتسبين الجدد جماعات، وكانت تشتترط أن ينضموا فرادى بعد خضوعهم لمعسكرات شرعية، وهو ما سمح للتنظيم أن يتوسع عددياً بشكل كبير مقارنة مع توسع أعداد النصرة سابقاً.

67 أجمع كل من قابلهم الباحث أن تلك الفترة لم يكن ينظر فيها للتنظيم بكونه أكثر من تشكيل آخر ضمن التشكيلات، ولم يكونوا يتصورون أن تصل الأمور حد مواجهة مصيرية بينه وبين بقية التشكيلات

68 يذكر «عبد الله» المقاتل السابق في صفوف الجيش الحر ضمن لواء أسود السنة في مدينة الميادين، أن عدداً من المبايعين لتنظيم الدولة في ريف المدينة كانوا يقيمون ضمن مقرات كتائب الجيش الحر معتمدين على معرفتهم بهم، بل إن مجموعة مكونة من 7 عناصر للتنظيم اتخذت من الطابق الثاني في إحدى مدارس ريف المدينة مقر إقامة لها، في حين كان أبناء عمومته المنتسبون إلى صفوف الجيش الحر ضمن إحدى تشكيلاته يقيمون في الطابق الأول.

69 الرقم هو أعلى تقدير لأعدادهم من خلال عدد من اللقاءات التي أجراها الباحث مع بعض سكان المنطقة ومقاتلين سابقين ضمن عدد من تشكيلاتها.

انتشار أبناء هذا الفرع من العشيرة غالباً. التي كانت تضع حداً لانتشار أي من التشكيلات وهو حد فرع العشيرة ومنطقة انتشارها، بحيث كان لكل تشكيل نواة مركزية من أبناء فرع لإحدى العشائر القاطنين لإحدى القرى أو البلدات، ومعظم أبناء العشائر هؤلاء كانوا بالفعل منظمين ضمن تشكيل ما، الأمر الذي شكل صعوبة للتنظيم الجديد في تشكيل حالة خرق ضمن البنية الفصائلية العشائرية الموجودة، خاصة بعد فشله في استقطاب مبايعي النصر كما فعل في المحافظات الأخرى.

مطلع العام 2014 انطلقت المواجهات بين عدد من تشكيلات شمال وشرق سوريا وبين مجموعات تنظيم الدولة، منتهية إلى إحكام التنظيم سيطرته على محافظة الرقة وريف حلب الشرقي، بينما تمكنت قوات الجيش الحر من طرد التنظيم من محافظتي حلب وإدلب وبات ريف حلب الشمالي خط مواجهة بينها وبين التنظيم⁷⁰، أما في دير الزور فقد أخلى التنظيم مقراته في مدينتي دير الزور والميادين تجنباً للاشتباكات بعد وساطات محلية⁷¹، بينما حافظ على مقره الرئيسي في جديد عكيدات، لكن الاشتباكات لم تلبث أن انطلقت بداية من منطقة منجم الملح بين محافظتي الرقة ودير الزور، حتى توسعت إلى منطقة جديد عكيدات حاملة طابعاً عشائرياً، حيث تمكن التنظيم بفضل انتماء واليه «الرفدان» لعشيرة البكير^{xxii}، من حشد قسم من أبناء العشيرة في جديد عكيدات إلى جانبه، وذلك في مواجهة أبناء عمومته من فرع البوكامل (الظاهر) من قاطني بلدة الشحيل^{xxiii}، والتي تعتبر معقل جبهة النصر الأساسي في المحافظة. وباتت جبهة النصر بعد مدة قصيرة من انطلاق المواجهات رأس الحربة في محافظة دير الزور ضد التنظيم، رغم أن المواجهات ضده بدأتها مجموعات منتسبة إلى حركة أحرار الشام، ثم لم تلبث أن انخرطت عدة تشكيلات من المحافظة في المواجهة ضد التنظيم، الذي حشد قواته التي استقدمها من الرقة شمال المحافظة في الحسكة متخذاً منها نقطة انطلاق للهجوم، وتحولت بلدة مركدة التابعة لمحافظة الحسكة إلى خط المواجهة الرئيسي بين التنظيم وبين تشكيلات المحافظة، أما في قرية جديد عكيدات فقد ساهمت الوساطات العشائرية بعقد هدنة نصت على منع أي من منسوبي التنظيم عن التواجد فيها، وذلك بعد إغلاق مقر التنظيم في القرية، ورغم أن المنطقة شهدت نقضاً للهدنة غير مرة إلا أنها لم تتحول أبداً إلى منطقة اشتباكات محتدمة.

دامت الاشتباكات في بلدة مركدة قرابة الثلاثة أشهر، خاض فيها التنظيم واحدة من أشرس معاركه في سوريا، والتي خسر فيها جزءاً كبيراً من نخبته القتالية من المهاجرين، الأمر الذي دفعه ليعيد استراتيجيته، حيث حاول السيطرة على مدينة البوكامل في أبريل \ نيسان من عام 2014 عبر عملية التفاف من البادية العراقية باتجاه سوريا جنوبي نهر الفرات، لكن سيطرته لم تدم أكثر من يوم واحد بعد أن تمكنت تشكيلات المدينة من طرده إثر معركة دامية راح ضحيتها ما يقارب الـ50 مقاتلاً من فصائل الجيش الحر في المدينة، بينما قتل للتنظيم ما يقارب 100 مقاتل⁷².

70 كانت التوترات بين التنظيم وعدد من تشكيلات شمال سوريا وشرقيها بدأت منذ الربع الأخير من العام 2013، حيث بدأ التنظيم حملة ضد بعض تشكيلات الجيش الحر في محافظة الرقة كان على رأسها كتائب الفاروق وتجمع أحفاد الرسول، كما شن في حلب هجمات على عدد من فصائل الجيش الحر في الباب وعلى لواء عاصفة الشمال في إعزاز، ليسيّر بذلك على محافظة الرقة وريف حلب الشرقي، وإن لم تكن سيطرة كلية، حيث استمر وجود تشكيلات أخرى في هذه المناطق على رأسها فصائل الجبهة الإسلامية (حركة أحرار الشام الإسلامية - لواء التوحيد)، كما كان التنظيم ينتشر بكثافة في المناطق المحررة من محافظتي حلب وإدلب، وذلك حتى مطلع العام 2014 عندما اعتقل التنظيم د. حسين سليمان «أبو ريان» مدير معبر تل أبيض شمالي الرقة، والمنسب لحركة أحرار الشام، ليسلمه بعدها جثة هامدة تظهر عليها آثار التعذيب، ثم أتبعها بتحريك أرتاله للسيطرة على الفوج 46 في ريف حلب الغربي الذي كانت فصائل الجيش الحر تسيطر عليه، وهو ما نتج عنه اندلاع الاشتباكات بين الحركة وعدد من التشكيلات التي أزرقتها من جهة وبين التنظيم في الرقة وشرقي حلب من جهة أخرى، أما في حلب وإدلب فقد اندمجت عدد من فصائل الجيش الحر باسم جيش المجاهدين مشكلين رأس حربة المواجهة ضد التنظيم في المحافظة وكذلك شكلت جبهة ثوار سوريا في إدلب رأس الحربة في المواجهة نفسها، وتمكنت تشكيلات الجيش الحر من طرد التنظيم من محافظتي حلب وإدلب إلى ريف حلب الشرقي، بينما تمكن التنظيم من السيطرة على محافظة الرقة وريف حلب الشرقي، ونشأ بين مناطق سيطرة التنظيم والمناطق المحررة شمال سوريا خط رباط امتد على طول ريف حلب الشمالي بينه وبين ريف حلب الشرقي.

71 شكلت حالة الوساطات المحلية والعشائرية فاعلاً أساسياً طوال فترة الاشتباكات بين تنظيم الدولة من جهة وبين فصائل دير الزور من جهة أخرى، حيث كان الطابع العشائري الغالب أو المركزي لمعظم الفصائل مساهماً في ذلك، لمنع تحول الاشتباكات إلى حرب عشائرية في المنطقة، وهكذا في الوقت الذي كانت فيه المعارك على أشدها في مركدة شمالي محافظة دير الزور، تم تحييد منطقة جديد عكيدات -معقل تنظيم الدولة الرئيسي في المحافظة- عن المواجهة بعد اجتياح مجموعات جبهة النصر لها وهدم مقر التنظيم فيها، لتبقى المنطقة بعيدة عن المواجهات بعد اتفاق عشائري فرض نفي المبايعين للتنظيم خارج قرية جديد عكيدات.

72 "بالأسماء.. 50 شهيداً للثوار في معركة دحر تنظيم الدولة من البوكامل"، زمان الوصل، 2014/4/11، شوهد في <https://cutt.us/S17E12021\1\3>

كما استثمر التنظيم حالة العداء بين بعض قادة الجيش الحر في المنطقة وبين جبهة النصرة، والذين اعتزل بعضهم القتال فيما بايعه آخرون مشكلين حالة خرق ضمن صفوف التشكيلات العسكرية في المنطقة، وكان على رأس المنضمين لصفوف التنظيم عدد من أبرز قادة تجمع أحفاد الرسول بينهم: (صدام الجمل قائد تجمع أحفاد الرسول في المنطقة الشرقية وقائد لواء الله أكبر^{xxiv} - أبو سيف الشيعي من جيش العسرة^{xxv} - محمود المطر قائد فرقة القعقاع⁷³)، إضافة إلى عدد من قادة الجيش الحر في المنطقة منهم حسام الشلوف قائد كتيبة صدام حسين في مدينة الميادين^{xxvi}، وعدد من قادة المجلس العسكري في دير الزور أبرزهم الملازم أول المنشق عبد الملك خضر الكريم المكنى «أبو هارون»⁷⁴، إضافة إلى انشقاق مجموعات جبهة النصرة في البوكمال وإعلان بيعتها للتنظيم⁷⁵، والذين ساهموا جميعاً في تحقيق خرق ضمن البنية الفصائلية للمنطقة، مسهلاً للتنظيم مهمته في السيطرة على المحافظة⁷⁶، خاصة بعد تمكنه من السيطرة على محافظة الموصل العراقية التي وفرت له ثكناتها الحكومية أسلحة وذخائر وآليات ردت قواته على جبهات دير الزور بالإمدادات، دافعة تشكيلات المحافظة للانسحاب منها في يوليو / تموز عام 2014 باتجاه الجنوب الشرقي⁷⁷، حيث تمكن التنظيم من السيطرة على كامل أرياف دير الزور الخارجة عن سيطرة النظام، أما الأحياء المحررة من مدينة دير الزور، فقد تمكن التنظيم من فرض سيطرته عليها بعد مفاوضة كتابها التي باتت محصورة بين قوات النظام في حيي الجورة والقصور والمنطقة الصناعية، وبين قوات التنظيم المتحكمة بطريق الإمداد الوحيد إلى الأحياء الخارجة عن سيطرة النظام، حيث دخلت الكتائب ضمن اتفاق «بيعة قتال» مع التنظيم، قبل أن يقوم التنظيم بإعادة هيكلة تشكيلات المدينة لتتبع كلياً له.

ولم يكد التنظيم يبسط سيطرته على المنطقة حتى انتفضت عشيرة الشيعيات في وجهه إثر مدهامة إحدى دورياته لبلدة أبو حمام انتهت بتصفية المطلوب، حيث قام الأهالي بطرد التنظيم من منطقتهم، ليقوم الأخير باستقدام تعزيزات وشن حرب حقيقية على مناطق انتشارها في

73 محمود المطر هو شقيق «علي المطر» قائد فرقة القعقاع المشكلة في بلدة القورية التابعة لمنطقة الميادين على الضفة اليسرى لنهر الفرات، تولى قيادة جزء من الفرقة التي انقسمت إلى تشكيلات عدة بعد استشهاد «علي» وانضم إلى صفوف تجمع أحفاد الرسول، وضعه تنظيم الدولة على قائمة المطلوبين له أواخر العام 2013، وهو ما دفع مطر لإعلان بيعته رسمياً لجبهة النصرة، الأمر الذي استثمره تنظيم الدولة في الحملة الإعلامية التي كان يشنها ضد التنظيم بضمه لعناصر «مفسدين» بحسب إعلامهم. اعتزل مطر القتال مع تنظيم الدولة أثناء معارك سيطرتها على محافظة دير الزور، رغم تهم متفرقة له من ناشطي المحافظة بمبايعته سرّاً للتنظيم وتأمين تنقلات عناصره أثناء المعركة، وبعد سيطرة التنظيم على المحافظة بايعها علناً وتولى ضمنها عدداً من المهام قبل أن يقوم التنظيم بتحويله إلى مقاتل عادي ضمن صفوفها. مقابلات سابقة أجراها الباحث مع عدد من ناشطي بلدة القورية ومقاتلين سابقين ضمن فرقة القعقاع.

74 في يونيو ١ حزيران عام 2014 أعلن عدد من ضباط المجلس العسكري في محافظة دير الزور بيعتهم لتنظيم الدولة أثناء المعارك المحتمدة بين فصائل دير الزور وبين التنظيم، وجاء الإعلان صادماً بسبب تمركز هؤلاء الضباط في مدينة موحسن على الضفة اليمنى لنهر الفرات ضمن منطقة دير الزور بعيداً عن مناطق الاشتباك مع التنظيم، حيث كان من أبرز المبايعين «عبد الملك خضر الكريم» الملقب أبو هارون، وهو ضابط انشق عن صفوف جيش النظام مع بدايات الحراك المسلح منخرطاً في الحراك العسكري للثورة السورية، لتقوم مجموعة من جبهة النصرة باقتحام مدينة موحسن وإعدامه، إلا أن ذلك لم يغير من انقلاب المدينة إلى صفوف تنظيم الدولة، خاصة وأنها اعتزلت القتال ضد التنظيم منذ بداياته، مع انشغال تشكيلاتها بالرباط على مطار دير الزور العسكري الذي كانت تحصن فيه قوات النظام. «صاحب مكيدة موحسن.. شوري المجاهدين يقطع رأس أبو هارون»، موقع زمان الوصل، 2014/6/24، شوهد في <https://cutt.us/EFeLl> 2021/2/27

75 تتبع مجموعات جبهة النصرة في البوكمال لقاطع البادية ضمن البنية التنظيمية لجبهة النصرة، وليس إلى قاطع دير الزور الذي يشرف عليه «أبو مارية القحطاني»، وهذا مما سهل انشقاق هذه المجموعات عن التنظيم. أبو الحسن، (مقاتل سابق ضمن صفوف جبهة النصرة في دير الزور)، مصدر سابق

76 بعد سيطرة تنظيم الدولة على المناطق الخارجة عن سيطرة النظام ضمن محافظة دير الزور، ظهرت العديد من حوادث الاستهداف لمقاتلي التنظيم فيها، لذلك كان للقادة المحليين السابقين ضمن صفوف الجيش الحر في المنطقة أثر كبير في التخفيف من حدة هذه الحوادث، مقابل لعبهم دور الوسيط بين المجتمع المحلي وبين قيادة التنظيم من خارج المنطقة.

77 انسحبت التشكيلات التي حملت لواء مواجهة تنظيم الدولة إلى منطقتين، حيث توجهت مجموعات جبهة النصرة إلى محافظة درعا والتي التحقت فيها بفرع النصرة، قبل أن تنتقل لاحقاً عبر طرق التهريب إلى الشمال السوري والذي شكلت فيه قاطع البادية التابع لجبهة النصرة ثم فتح الشام وهيئة تحرير الشام، وتعتبر هذه المجموعات اليوم هي العمود الفقري للجهاز الأمني لهيئة تحرير الشام في حربها على خلايا تنظيم الدولة المتواجدة في إدلب، أما مجموعات الجيش الحر -وضمنها أحرار الشام- فقد توجهت إلى منطقة القلمون الشرقي التابعة لمحافظة ريف دمشق، حيث شكلت فيها جيش أسود الشرقية، الذي قاد برفقة قوات الشهيد أحمد العبدو معارك ضارية ضد تنظيم الدولة تمكنوا فيها من السيطرة على منطقة الحماة في البادية وصولاً إلى حدود محافظة دير الزور، وباتت قوتهم تتنامى في مواجهة التنظيم، وكان من المتوقع أن تتمكن هذه المجموعات من دخول دير الزور، إلا أن قوات النظام السوري بدعم من الجيش الروسي شنت حملة شرسة ضد هذه المجموعات في مايو ١ أيار 2017، انتهت بحلها وتوجه فلولها إلى منطقة ريفي حلب الشرقي والشمال ضمن الجيش الوطني في أبريل ١ نيسان عام 2018. كما نسقت عدد من مجموعات الجيش الحر المنسحبة من المحافظة مع القوات الأمريكية مشكلين جيش سوريا الجديد ثم مفاوضات الثورة المتواجدة حتى اليوم في منطقة التنف على الحدود الأردنية السورية، والتي شاركت في عدد من المواجهات ضد تنظيم الدولة وضد الميليشيات الإيرانية، إلا أن نشاطها اليوم يقتصر على حماية منطقة التنف بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.

(أبو حمام والكشكية وغرانيج) على الضفة اليسرى لنهر الفرات، انتهت بسيطرة التنظيم عليها في 9 أغسطس/آب عام 2014⁷⁸، لتبدأ بعدها مجزرة مروعة بحق أهالي الشيعيات جاوز أعداد ضحاياها الـ1000 قتيل⁷⁹.
ولتصبح منذ ذاك الحين المحافظة تحت سيطرة التنظيم بشكل كلي، بعد أكثر من نصف عام على انطلاق معركة التنظيم للسيطرة عليها.

الفصل السادس:

داعش: الدولة والانهايار

تمكن التنظيم من إحكام سيطرته على الأراضي الخارجة عن سيطرة النظام في محافظة دير الزور في أغسطس \ آب عام 2014، متبعاً في عدد من القرى والبلدات سياسة تهجير مؤقت يقوم فيها بتمشيط المنطقة بحثاً عن المطلوبين والأسلحة، قبل أن يسمح لأهاليها بالعودة إليها مروراً بحواجزه التي كانت تحصيمهم وتفترشهم، ليضمن بذلك سيطرته عليها، حيث اتبع التنظيم هذه السياسة مع قرى الشحيل وخشام وطابية جزيرة كجزء من شروطه لقبول استسلام هذه البلدات له⁸⁰، لكن سياسة التهجير الاحترازي هذه تغيرت إلى تهجير انتقالي في منطقة الشيعيات التي انتفض أبناؤها في وجه التنظيم بعد سيطرته على المحافظة، حيث قام التنظيم بتهجير كلي لسكان قرى وبلدات (غرانيج - أبو حمام - الكشكية) لمدة تراوحت بين 3 أشهر في قرية غرانيج، تلاهم أهالي الكشكية الذين سمح لهم التنظيم بالعودة بعد 4 شهور تقريباً أواسط ديسمبر \ كانون الأول عام 2014⁸¹، بينما عاد أهالي كبرى تجمعات عشيرة الشيعيات «أبو حمام» على دفعات بدأت في يناير \ كانون الثاني عام 2015 بتسجيلهم أوراق عودتهم لدى مراكز التنظيم الأمنية⁸²، لتعود الدفعة الأولى منهم أواسط العام 2015 في يونيو \ حزيران، بينما لم تتم عودة أهالي البلدة حتى مطلع العام 2016 بعد ما يقارب العام ونصف العام من تهجيرهم⁸³، وكان أهالي كل من البلدات يعودون بعد تنفيذهم لائحة من الشروط منها تسليم السلاح الفردي، وإعلان توبتهم وتبرؤهم ممن قاتلوا التنظيم.

ولم يحصر التنظيم سياسته الانتقامية هذه في منطقة الشيعيات، بل شهدت المحافظة عمليات معاقبة لذوي قادة المجموعات التي واجهت التنظيم خلال معركته للسيطرة عليها، وبات شائعاً أن يقوم التنظيم بهدم منزل ذوي أحد قادة المجموعات أو اعتقال أقاربه^{xxvii}، في سياسة ممنهجة قصرها التنظيم على محافظة دير الزور في سوريا، وبات واضحاً أن التنظيم يعامل المحافظة بخصوصية وحساسية عالية، فالثورة عليه من قبل عدد من شباب الشيعيات واجهها بنفي كلي للعشيرة عن منطقتهم، وقيادة مجموعة لمقاومة التنظيم واجهها بالتضييق على ذوي قائد المجموعة وهدم منازلهم، حيث كانت سياسته هذه كفيلة بإحكام قبضته على المحافظة عسكرياً.

كما عمد التنظيم إلى فصل منطقة البوكمال عن محافظة دير الزور التي باتت تدعى «ولاية الخير» ضمن بنية التنظيم الإدارية، وضمها إلى «ولاية الفرات» التي ضمت مدينتي القائم وحصيبة بمحافظة الأنبار العراقية، ليسهم هذا الفصل الإداري في عزل المنطقة عن محافظة دير الزور خاصة بعد إصدار التنظيم قراره في أغسطس \ آب عام 2016 بمنع التنقل بين الولايتين إلا بإذن شرعي يتم استصداره من مراكز التنظيم فيهما⁸⁴، وخلاف ذلك كانت المحافظة تعاني كغيرها من المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم من المنظومة الكاملة التي فرضها التنظيم على الناس

78 "مذبحة الشيعيات.. ذكري لن تموت"، جريدة المدن، 2020\8\25، شوهد في 2021\1\8 <https://cutt.us/FjjOi>

79 الرقم بحسب جمعية «عوائل شهداء الشيعيات» «احتجاجات على إهمال عائلات ضحايا مجزرة الشيعيات»، زمان الوصل، 2020\8\28، شوهد في 2021\1\8 <https://cutt.us/XIOXf>

80 بلغ عدد من هجرهم التنظيم في البلدات الثلاث 60 ألف مدني تقريباً، وذلك في بدايات يوليو \ تموز عام 2014، حيث تعتبر البلدات معاقل للمجموعات التي قاومت التنظيم على مدار نصف عام في معركته للسيطرة على المحافظة. "تنظيم الدولة يهجر الآلاف من بلدة بدير الزور"، الجزيرة نت، 2014\7\6، شوهد في 2021\1\12 <https://cutt.us/yxrkH>

81 "شيعيات الكشكية يعودون إلى بلدتهم بعد سماح التنظيم"، أورينت نت، 2014\12\17، شوهد في 2021\1\12 <https://cutt.us/qLbPc>

82 "تنظيم الدولة يسجل أوراق عودة أهالي بلدة أبو حمام"، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2015\1\20، شوهد في 2021\1\12 <https://cutt.us/qLbPc>

83 مقطع مصور يوثق عودة أهالي بلدة أبو حمام إلى بلدتهم في يناير \ كانون الثاني عام 2016، <https://cutt.us/XrmXJ>

84 "تنظيم الدولة يفرض شروطاً للتنقل في ريف دير الزور الشرقي"، عنب بلدي، 2016\8\10، شوهد في 2021\1\12 <https://cutt.us/D8QeP>

في أسواقهم وملابسهم وحياتهم الاجتماعية، ومن مشاهد الإعدامات وتطبيق العقوبات العلنية التي أسرف التنظيم فيها حتى لم يكن يمر على المنطقة أسبوع دون تطبيق حكم قتل أو تعذيب في ساحاتها وعقدتها الحركية، لبراها أكبر عدد من الأهالي إرهاباً لهم. ورغم أن التنظيم فتح باب الانتساب إلى صفوفه على مصراعيه مانحاً المنضمين إليه ميزات معيشية ممتازة مقارنة بغيرهم⁸⁵، إلا أنه بقي يعاني من قلة أعداد المنتسبين إلى صفوفه، حتى بات يستعين بالذين يلتقطهم جهاز الحسبة في مخالفات كالتدخين وعدم الالتزام باللباس الشرعي أو عدم تسليم «جهاز الستلايت» إلى خطوط الجبهات في محيط مطار دير الزور العسكري ليقوموا بعمليات الحفر وبناء الدشم وغيرها من أعمال الخدمة والهندسة العسكرية الداعمة لمجهوده الحربي، وصولاً إلى فرضه التجنيد الإجباري في أغسطس \ آب عام 2017 أثناء مواجهته للحملتين العسكريتين لإنهائه⁸⁶، دافعاً أعداداً كبيرة من شباب المحافظة -وغيرها من المناطق السورية الخاضعة لسيطرته- إلى مغادرتها باتجاه الشمال السوري ومنه إلى تركيا وأوروبا.

أواخر العام 2017 شن التحالف الدولي حملته التي شكلت قوات سوريا الديمقراطية قواتها على الأرض للسيطرة على محافظة الرقة ومنطقة الجزيرة على الضفة اليسرى لنهر الفرات من محافظة دير الزور⁸⁷، بينما شنت القوات الروسية برفقة ميليشيات إيران وقوات جيش النظام حملتهم للسيطرة على بادية دير الزور ومنطقة الشامية على الضفة اليمنى لنهر الفرات من محافظة دير الزور، ليتمكنوا من ذلك بعد حملات من القصف العنيف خاصة في منطقة الشامية التي تم تهجير قاطنيها في مناطق سيطرة التنظيم عن بكرة أبيهم. وحافظ التنظيم على جيوب صغيرة له في البادية تعمل خفية، وعلى جيب في أقصى شرقي البلاد في منطقة الباغوز التي تحصن فيها ضد حملة التحالف الدولي وقوات سوريا الديمقراطية، والذي انتهت سيطرته عليه في مارس \ آذار عام 2019، لتنتهي بذلك آخر معقل التنظيم المعلنة، ويتحول مرة أخرى للعمل سراً، بينما باتت محافظة دير الزور مقسومة إلى منطقتي نفوذ يفصل بينهما نهر الفرات، وذلك بعد تدمير الحملتين للجسور التي كانت تربط الضفتين ببعضهما، ولتدخل المنطقة وأهلها واقعاً جديداً.

85 كان المبايعون للتنظيم يحصلون على الكهرباء لمنازلهم بأسعار رمزية، كما كان يتم غض النظر عنهم في الجبايات وبعض القوانين التي يفرضها التنظيم في مناطق سيطرته، حيث كان التنظيم يقسم الناس في مناطقه إلى مبايعين وعوام.

86 ”داعش يفرض التجنيد الإجباري على المدنيين بدير الزور“، أخبار الآن، 2017\8\27، شوهد في <https://cutt.us/zasCP 2021\1\12>

87 كان رأس الحربة لقوات سوريا الديمقراطية في مواجهتها لتنظيم الدولة في الهجوم على دير الزور هي قوات كانت تنتمي سابقاً إلى فصائل الجيش الحر من أبناء محافظة دير الزور، حيث انتقلت هذه المجموعات إلى الشرق السوري منضمة إلى قوات سوريا الديمقراطية قادمة من شمال سوريا، بعد أن كانت قد غادرت المحافظة سابقاً خفية كأفراد بعد سيطرة تنظيم الدولة عليها أواسط العام 2014، لتنضم في الشمال السوري إلى فصائل مختلفة مشكلة مجموعات صغيرة داخلها، حيث عادت للمشاركة في تحرير مناطقها من التنظيم بعد إعلان قوات سوريا الديمقراطية بدء المعركة.

فهم العوامل الاقتصادية - الاجتماعية للتطرف العنيف في شمال شرق سوريا

زكي محش

مراجعة: د. سامويل د. هينكن

منذ عام 2011، تشهد سوريا نزاع شديد التعقيد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، أدى إلى خسارة البلاد لملايين من مواطنيها بين قتل ومُهجر ولاجئ، إضافة إلى خسارة رأس مال مادي وثقافي واجتماعي استغرق المجتمع السوري سنوات طويلة في بنائه. ترافق هذا النزاع مع تغول استبداد النظام السوري وظهور العديد من القوى الاستبدادية الأخرى والتي قام بعضها على أساس التشدد الديني مثل جبهة النصرة وتنظيم داعش. وسيطرت هذه التشكيلات المتشددة على مساحات واسعة من سوريا وفرضت أفكارها المتطرفة على كافة فئات المجتمع وألغت بالعنف أي شخص أو فكر يعترض على حكمها أو يخالف قوانينها. حالياً، تقلصت قدرة هذه القوى في سوريا بشكل كبير من الناحية العسكرية، إلا أن هذا لا يعني توقف الديناميات والعوامل التي أدت إلى نشوئها وتوسعها، أي أنه يمكن لهذه القوى استعادة سيطرتها في أي لحظة تتغير فيها موازين القوى. لذلك من الضروري فهم العوامل التي تساهم في نشر الأيديولوجيا المتطرفة لتعطيلها بما يحقق نهاية مستدامة لفكر التطرف العنيف وممارساته.

تهدف هذه الورقة إلى تحليل العوامل الاقتصادية-الاجتماعية التي تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في انتشار الفكر المتطرف، وبناء عليه، تضع توصيات سياساتية تسعى إلى الحد من فعالية وقدرة هذه العوامل على نشر التطرف العنيف. تركز الدراسة على منطقة الريف الشرقي لمحافظة ديرالزور والتي تخضع حالياً إلى سلطة الإدارة الذاتية في سوريا. اعتمد البحث في تحديد العوامل المدروسة على أدبيات ودراسات التطرف العنيف وأسبابه وخاصة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية وذلك على مستوى المنطقة والعالم. بعد ذلك تم دراسة وتحليل كل عامل من العوامل المحددة في المنطقة المدروسة بناء على البيانات الثانوية المتوفرة عن الموضوع إضافة إلى المعلومات المستقاة من الخبراء المحليين من خلال مقابلات غير رسمية أو منظمة. سعت المقابلات غير الرسمية إلى توضيح وشرح المعلومات والبيانات الثانوية المتاحة، أما المقابلات المنظمة فاعتمدت على استبيان سريع حول أهمية عدد من الحوافز السلبية والإيجابية التي تدفع الأفراد إلى الانتماء لجماعات التطرف العنيف. وتدرس الورقة الأثر المباشر وغير المباشر للعوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تم تحليلها على انتشار التشدد العنيف بين الأفراد في المنطقة المدروسة.

وتقع الدراسة في أربعة فصول، يحتوي الفصل الأول على مراجعة عامة للأدبيات المتعلقة بالعوامل الاقتصادية-الاجتماعية للتطرف العنيف، ويؤطر الفصل الثاني منهجية الدراسة والتحليل، ويتطرق الفصل الثالث إلى فهم العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تساهم في انتشار التطرف العنيف في المنطقة، أما الفصل الرابع فيتضمن خلاصة المحاور السلبية من كل عامل والتي تساهم في انتشار التطرف العنيف في المنطقة، كما يخلص إلى توصيات سياساتية مبنية على التحليل والنتائج.

أولاً: مراجعة الأدبيات:

يمكن تعريف التطرف العنيف على أنه الترويج أو الدعم أو الانخراط بفكر وأيدلوجيا تبرر استخدام العنف لتحقيق أهداف اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية (USAID, 2011). إلا أن الكثير من الأدبيات تشير إلى صعوبة إيجاد مفهوم دقيق ومحدد للتطرف العنيف أو المفاهيم المرتبطة به مثل الراديكالية والإرهاب. ونوه Schmid إلى أن السنوات الأخيرة شهدت استخدام واسع لهذه المفاهيم بما يخدم مصالح السياسيين في إلقاء اللوم على الخصوم من أحزاب ودول مستهدفة، كما أن التعاريف المعتمدة كانت عامة تفتقد الدقة، وعليه فلا يوجد اتفاق أكاديمي أو دولي على تعريف محددة وواضحة لمفاهيم الإرهاب والتطرف العنيف (Schmid, 2012). إلا أن غياب الإجماع حول المفهوم لم يمنع من الاتفاق على أن التطرف العنيف هو نتاج مجموعة واسعة من العوامل التي تؤثر على الأفراد والمجتمعات المحلية والحكومات. ويشمل طيف العوامل تلك التي تقوم على المظلومية الاقتصادية والاجتماعية والتي يعتبرها بعض الباحثين المحرك الأساسي للتسلح والعنف والحروب الأهلية (Collier and Hoeffler, 2004). ويربط العديد من الاقتصاديين بين الفقر والإرهاب عند دراسة الديناميات الاقتصادية للنزاع، إذ يعتبر هؤلاء أن انتشار الفقر وتدهور الأوضاع الاقتصادية يزيدان من احتمال العنف وعدم الاستقرار السياسي (Alesina et al., 1996)، واستخدم الكثير من السياسيين هذا الربط بين التطرف العنيف والفقر وخاصة بعد أحداث 11 أيلول في الولايات المتحدة لتفسير سبب الهجمات الإرهابية. إلا أن الكثير من الباحثين أكدوا من خلال دراساتهم على عدم وجود علاقة مباشرة وذات دلالة بين الفقر والإرهاب (Abadie, 2004)، فعلى سبيل المثال، الأفراد المنتهين أو الذين يسعون إلى الإنتماء لمجموعات إسلامية متطرفة في الدول الغربية هم بشكل عام ليسوا فقراء ولا يعانون من أي شكل من أشكال الحرمان الاقتصادي الشديد (Veldhuis and Staun, 2009). وأوضح عدد من الأبحاث المبينة على دراسات ميدانية أن المظلومية الاقتصادية للأفراد تعتبر أقل تأثيراً في انتشار التطرف العنيف من العوامل المؤسسية والسياسية كوجود كيانات دينية وعقائدية منظمة قادرة على الوصول إلى المجتمعات المستهدفة (Groppi, 2017). كما أشار Gupta إلى ضعف العلاقة بين الحرمان الاقتصادي للأشخاص والإرهاب مقارنة مع الأثر الكبير على التطرف العنيف الذي تحدثه عوامل أخرى مثل القمع السياسي ونشر ثقافة الاحباط (Gupta, 2005)، وبالتالي فإن أولية المجتمع الدولي يجب أن تصب في محاصرة الاستبداد ورفع مظلومية القمع عن المجتمع. على الرغم من ضعف العلاقة المباشرة بين الفقر على المستوى الفردي والتطرف العنيف، فإن دراسات عدة أظهرت أن ازدياد الحرمان الاقتصادي على المستوى الكلي، أي تدني معدلات الإنتاج والنمو الاقتصادي وارتفاع معدلات الفقر في المنطقة، يزيد من احتمال انتشار التطرف العنيف بين الأفراد بغض النظر عن وضعهم الاقتصادي على المستوى الفردي (Blomberg et al., 2004). بمعنى آخر، الدول والمناطق التي تعاني من وضع اقتصادي سيء تشكل بيئة خصبة لإنتاج فكر وجماعات متطرفة تجذب الأفراد من مختلف الطبقات الاقتصادية والاجتماعية. وفي هذا السياق بينت دراسة ميدانية مع معتقلين بتهمة الإرهاب أنهم ينتمون على المستوى الفردي إلى مختلف الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية، ولكن يدون في الدول الفقيرة البيئة المناسبة لانتشار التطرف العنيف (Stern, 2017). وأظهرت دراسة أخرى أن الاحتمال الأكبر هو أن يكون متوسط المستوى الاقتصادي للأفراد المنضمين إلى جماعات متطرفة أفضل من متوسط المستوى الاقتصادي لأفراد المجتمعات التي ينتمون لها، وفي الوقت ذاته فإن الدول والمناطق الفقيرة، أي الفقر على المستوى الكلي، تشكل البيئة الحاضنة لأفراد وجماعات الإرهاب والتطرف العنيف (Keefer and Loayza, 2008).

وتشير الأدبيات أيضاً إلى عدم وضوح العلاقة والرابط بين توفر فرص عمل لائقة وانتماء الأفراد إلى فكر التطرف العنيف، إلا أن دراسات الحالة في عدد من الدول أظهرت الدور الذي يلعبه ارتفاع معدلات البطالة في زيادة ميل الأفراد إلى الجماعات المتطرفة (Burke and Matisek, 2020). ففي العراق مثلاً وبعد قرار حل الأجهزة العسكرية والأمنية والبعثية بشكل كامل ومفاجيء، وقع حوالي نصف مليون عراقي في فخ البطالة والحاجة إلى العمل إضافة إلى شعورهم بالظلم، الأمر الذي رأت فيه المجموعات المتطرفة البيئة الخصبة لجذب هؤلاء الشباب إلى دائرة نفوذها (Burke and Matisek, 2020). وفي سوريا، عانت أغلب مناطق الصراع من ارتفاع كبير في معدلات البطالة وانخفاض حاد في مستويات الدخل، الأمر الذي دفع الكثير من الشباب في عمر القتال إلى الانتماء للجماعات المتطرفة لتأمين الحد الأدنى من الدخل لهم ولأسرهم من خلال الرواتب والمنافع المادية التي تؤمنها لهم هذه الجماعات (Turkmani, 2015).

وتطرت الكثير من الأبحاث لفهم أثر الواقع الكمي والنوعي للخدمات العامة في البيئة المحيطة على انتشار التطرف العنيف (Mercy Corps, 2018). وتشمل الخدمات العامة توفر مياه شرب وكهرباء وشبكة صرف صحي وشروط مسكن ملائمة تترافق مع وجود مؤسسات للسلطة المحلية قادرة على تطبيق سيادة القانون وحماية المجتمع المحلي من انتشار الجريمة والخطف والسلوكيات الاجتماعية السلبية. وتدفع الخدمات العامة السيئة في منطقة معينة بعض أفراد هذه المنطقة إلى تبني التطرف العنيف وممارسته (Mercy Corps, 2018)، إذ يعتبر هؤلاء الأفراد أن سوء هذه الخدمات هو انعكاس لإهمال السلطات المسؤولة عن منطقتهم وبالتالي قد يكون ناتجاً عن ممارسة التمييز

ضدهم ومحاباة مناطق أخرى داعمة لهذه السلطات، كما يشعرون بالإساءة إلى كرامتهم الإنسانية وبالتالي يبحثون عن وسائل وقنوات للتعبير عن الغضب والانتقام من السلطات والمجتمع الخانع لهذه السلطات (USAID, 2009). يمكن للمجموعات المتطرفة أن تملأ غياب الحد الأدنى من الخدمات العامة من خلال توفير شبكة دعم اجتماعي لأفراد المنطقة، الأمر الذي يكسبهم شرعية شعبية على حساب شرعية الدولة وتقديم أنفسهم كبديل "عادل" عن السلطات الحالية يحق له التصرف بموارد المنطقة كونه يعمل لصالحها (Grynkewich, 2008).

يعتبر مستوى التعليم من العوامل المُختلف على دورها في موضوع التطرف العنيف، حيث أن الكثير من المتطرفين لديهم مستويات تعليمية مرتفعة وبالتالي لا يمكن افتراض علاقة عكسية ذات دلالة احصائية بين المستوى التعليمي للأفراد ودرجة انتشار التطرف العنيف بينهم (Daugaard-Nielsen, 2010). من جهة أخرى، يرى الكثير من الباحثين أن التعليم يزيد من قدرة الأفراد على المناقشة العلمية والموضوعية للوقائع وبالتالي قدرتهم على عدم التسليم بما يفرضه عليهم قادة التطرف العنيف من أفكار وأيديولوجيات، كما يعتبر التعليم وسيلة فعالة في منع انتشار الفكر المتطرف في حال تم تقديمه بشكل نوعي مع التركيز على مواضيع العدالة وعدم التمييز وحقوق المواطنة (Silva, 2017). ويجب أن تستهدف هذه المواضيع التعليمية كافة أبناء المجتمع دون أن تكون موجهة لفئة أو منطقة محددة فقط، حيث أثبتت الدورات التعليمية المخصصة لتنمية الوعي ضد التطرف العنيف والموجهة إلى فئة محددة من المجتمع عدم جدواها واستدامة فائدتها (Silva, 2017). يمكن أن تؤثر التركيبة والشبكات الاجتماعية للمنطقة على درجة انتشار التطرف العنيف بين أبنائها (Davis and Cragin, 2009). فالبنى القبلية مثلاً في منطقة ما قد تكون عامل إيجابي في عدم إقبال الشباب على الانتماء إلى الجماعات المتطرفة كون القبيلة تمنحهم الشعور بالانتماء والحماية (Winter et al., 2017)، لكن في الوقت نفسه قد تكون القبيلة عامل مساعد على الترويج للفكر المتطرف حيث أن انتماء أحد وجهاء القبيلة إلى جماعة متطرفة يدفع الكثير من أفرادها إلى التفكير والانتماء إلى هذه الجماعة نتيجة العلاقات العائلية المتينة والسلطة الهرمية في البنى القبلية (Winter et al., 2017).

ويبقى الاقصاء الاقتصادي والاجتماعي من أكثر العوامل التي يمكن أن تزيد من انتشار العنف المتطرف وفق العديد من الدراسات (US-AID, 2009)، ويمارس هذا الاقصاء من قبل أجهزة الدولة المركزية على منطقة معينة أو مجتمعات محلية بعينها أو يمكن أن يمارس من قبل السلطات المحلية على فئة أو طائفة أو اثنية معينة، ويتمثل هذا الاقصاء بحرمان مجموعة ما أو التمييز ضدها من حيث الخدمات العامة والتوظيف والتعليم والحق في المشاركة بالحكم المحلي، مما يمكن أن يدفع أبناء هذه المجموعة للانتماء إلى الجماعات المتطرفة كنوع من الاعتراض والرفض للاقصاء الممارس بحقها (Allan et al., 2015).

ثانياً: الإطار المنهجي والتحليلي:

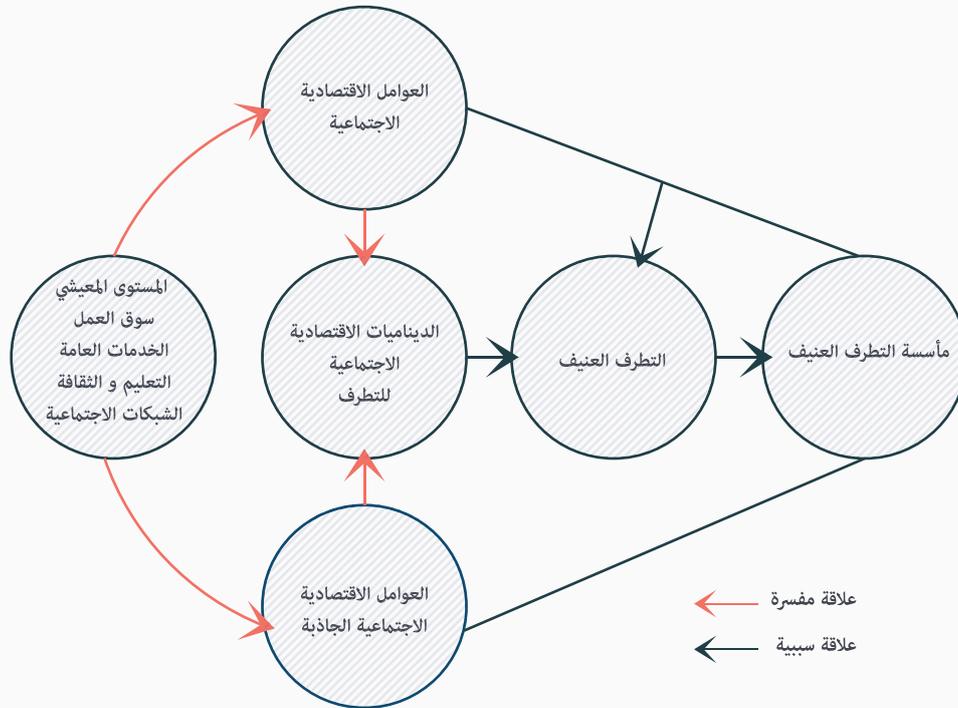
يتضح من الأدبيات المتعلقة بدور العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على التطرف العنيف أن تحليل أثر هذه العوامل على انتشار التطرف في المنطقة المدروسة متشابك يتطلب مقارنة شاملة تتضمن، بالإضافة إلى البُعد الاقتصادي والاجتماعي، العامل المؤسسية والحوكومي والنفسي والديني. إلا أن هذه الدراسة تركز على الجانب الاقتصادي-الاجتماعي فقط دون الخوض بشكل معمق بالجوانب الأخرى حيث تعتبر هذه الورقة جزء من مجموعة أبحاث تعمل على تغطية كافة أبعاد هذه المقاربة الشاملة.

ولأغراض التحليل تتبى الدراسة تعريفاً عملياً للتطرف العنيف على أنه الاستعداد لاستخدام أو دعم استخدام العنف لفرض وتطبيق معتقدات وايدولوجيات معينة لها أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية، ويسعى هذا التطرف إلى السيطرة على السلطة وإلغاء الاختلاف بالقوة من خلال استخدام العنف الجسدي وأعمال التخريب ضد المختلفين معه وممتلكاتهم سواء كانوا أفراد أو مجموعات أو سلطات محلية. ويعتبر التطرف الديني في المنطقة المدروسة الدافع الرئيسي (ظاهرياً على الأقل) لأعمال العنف والإرهاب في المنطقة. وتجدر الإشارة إلى أن ممارسة الإقصاء من قبل بعض السلطات المحلية في المنطقة ضد اثنيات معينة لا يندرج تحت مسمى التطرف العنيف إذ أنه لا يترافق مع إلغاء وتصفية جسدية لآخر، ولكنه بالتأكيد يعتبر من العوامل الأساسية التي تدفع بعض أفراد المجتمع المحلي إلى اللجوء لجماعات التطرف الديني العنيف.

تندرج الكثير من المؤشرات تحت مفهوم العوامل الاقتصادية والاجتماعية، ولا يمكن حصر كافة هذه المؤشرات في دراسة واحدة، إلا أن هذه الورقة تركز على العوامل الاقتصادية-الاجتماعية أي تلك التي لها بعد اجتماعي ولكنها تؤثر بشكل مباشر على المستوى الاقتصادي للفرد، وتتضمن هذه المؤشرات المستوى المعيشي وسوق العمل والتعليم والشبكات الاجتماعية إضافة إلى الخدمات العامة التي تعكس توفر البنية التحتية اللازمة لتوفير ظروف معيشية مناسبة للسكان. بالطبع، يمكن التوسع بالمؤشرات الاقتصادية-الاجتماعية لتشمل مثلاً المؤشرات المتعلقة بالصحة، إلا أن الدراسة اعتمدت في اختيار المؤشرات على ما طرحته الأدبيات حول العوامل التي تؤثر على انتشار التطرف العنيف. ويتطرق البحث إلى الإقصاء والتمييز كمواضيع عابرة للعوامل والمؤشرات الخمسة التي تم اعتمادها فمثلاً فهم المستوى المعيشي ودور الفقر المادي في انتشار التطرف في المنطقة المدروسة يتطلب تحليل الواقع الاقتصادي العام إضافة إلى التركيز على التوزيع العادل للدخل والفجوة المادية بين أفراد المجتمع.

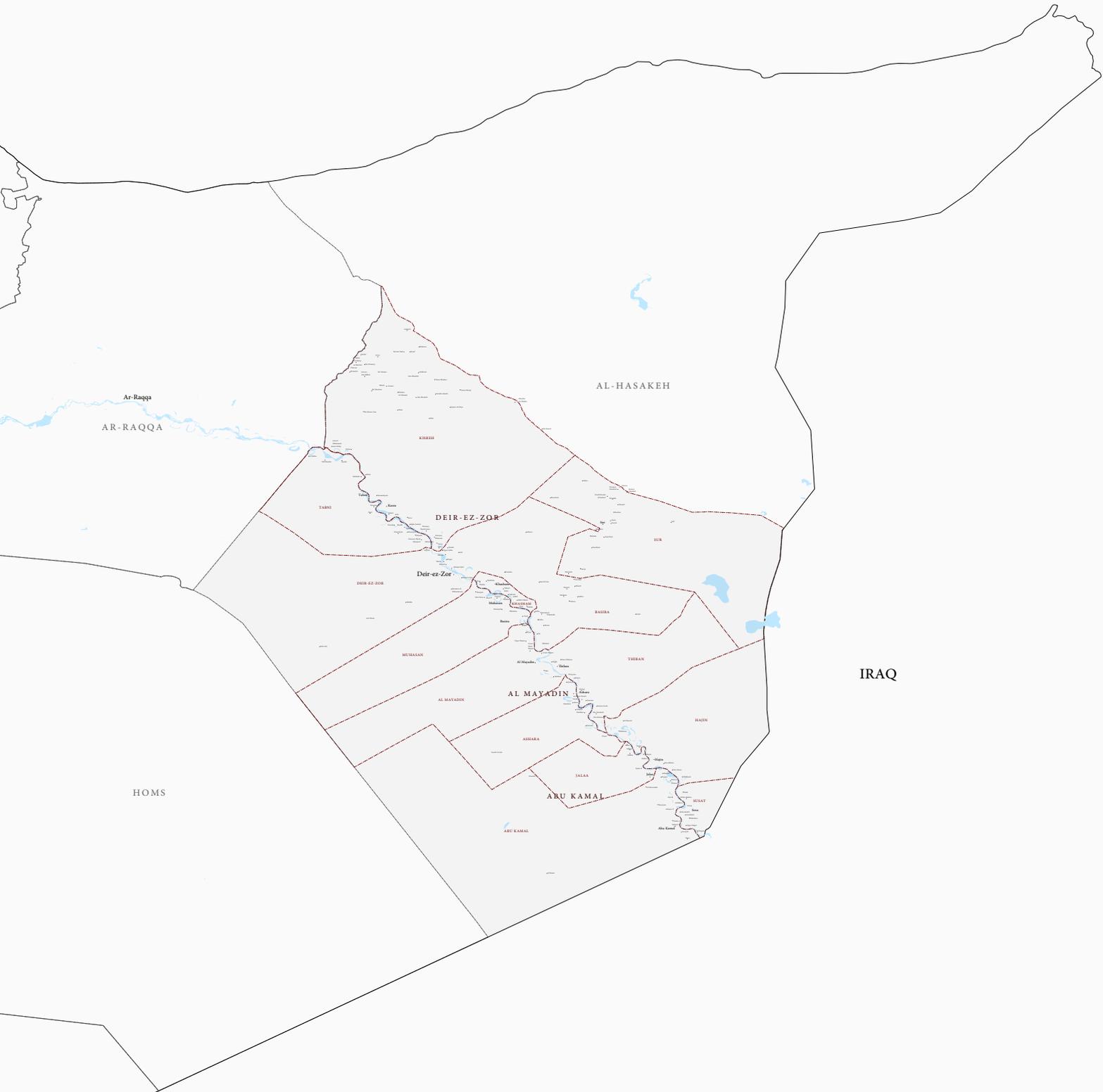
يهدف تحليل العوامل إلى فهم الواقع الاقتصادي-الاجتماعي على المستوى الكلي دون الخوض في تأثيرها على مستوى الأفراد، وذلك اعتماداً على نتائج الدراسات السابقة التي أظهرت وضوحاً أثر هذه العوامل في خلق بيئة جاذبة او طاردة لانتشار التطرف العنيف فكراً وجماعات. بمعنى آخر فإن الدراسة لا تستهدف فهم الحالة الاقتصادية-الاجتماعية للأفراد المنتمين إلى الجماعات المتطرفة بل تسعى إلى تحليل الواقع والخسائر الاقتصادية-الاجتماعية للمنطقة والتي قد تدفع الأفراد إلى الانتماء لهذه الجماعات أي العوامل الطاردة للأفراد للخروج من السياق الاجتماعي والمؤسسي السائد في المنطقة. ومن جهة أخرى، يحاول البحث فهم العوامل الجاذبة التي تقدمها الجماعات المتطرفة من عوائد اقتصادية-اجتماعية للأفراد المنتمين لها.

الشكل 1: الإطار التحليلي



ويُبين الشكل أعلاه الإطار التحليلي للدراسة من حيث دور العوامل الخمسة في إيجاد ديناميات تتفاعل فيها البيئة الطاردة للأفراد من سياقاتهم الحالية مع الفرص الجاذبة لهم للانتماء إلى فكر وجماعات التطرف العنيف، كما يشير الشكل إلى قدرة التطرف العنيف على مستوى الأفراد والجماعات إلى مأسسة نفسه مع استمرار وجود البيئة المحيية لهذا التطرف. الأمر الذي يفضي إلى الدخول في حلقة مغلقة تُوْجِّع التطرف العنيف، حيث تؤدي هذه المأسسة إلى ترسيخ البيئة الطاردة وزيادة الفرص الجاذبة للتطرف، كما تساعد على تنظيم أكثر صرامة للجماعات والأفراد المنتمين للفكر المتطرف، الذين يدعمون بدورهم ديناميات إنتاجهم.

تراجع الدراسة البيانات والمعلومات الثانوية المتوفرة عن كل عامل من العوامل الخمسة (المستوى المعيشي، سوق العمل، الخدمات العامة، التعليم والثقافة، والشبكات الاجتماعية) في ديرالزور، وتشمل البيانات الواقع الحالي إضافة إلى الواقع الذي كانت عليه المنطقة قبل الأزمة مما يسمح بفهم أثر الأزمة ومعرفة ما إذا كانت مظلومية أفراد المنطقة تراكمية أو مستجدة. وتتضمن مصادر البيانات، وخاصة لمرحلة ما قبل الأزمة، الإحصاءات المتوافرة من المكتب المركزي للإحصاء في سوريا على مستوى محافظة ديرالزور وريفها إضافة إلى مخرجات المراكز البحثية والمنظمات الدولية حول المنطقة مثل منظمات الأمم المتحدة والمركز السوري لبحوث السياسات. وتعتمد البيانات الثانوية على مسوحات مختلفة تمت بالتعاون بين منظمات دولية ومراكز بحثية مع المكتب المركزي للإحصاء كمسح دخل ونفقات الأسرة عام 2009 ومسح حالة السكان عام 2014، وتغطي النتائج المناطق السورية على مستوى الناحية بما في ذلك النواحي في ريف ديرالزور الشرقي.



كما يعتمد البحث على نتائج مسح سريع مع ناشطين مدنيين وأشخاص مفتاحيين في الريف الشرقي لدير الزور، وشمل الاستبيان 13 خيرة/ة محلية لمعرفة آرائهم وتقييمهم الموضوعي للعوائد والخسائر الاقتصادية-الاجتماعية التي تدفع الأفراد إلى سلوك التطرف العنيف والانتماء إلى الجماعات والتنظيمات المتطرفة وتحديداً في منطقة ريف دير الزور الشرقي. وتم اختيار الخبراء ضمن معايير محددة تتضمن المعرفة الواسعة بالمنطقة المدروسة، إضافة إلى القدرة والرغبة في المشاركة بالاستبيان. ونتيجة لعوائق الوصول إلى الخبراء والعادات الاجتماعية شارك في الاستبيان أربع نساء فقط. سبعة خبراء لديهم شهادة جامعية أما الستة الباقين حاصلين على الشهادة الثانوية. وتراوح أعمار الخبراء بين 20 و60 عاماً بوسطي قدره 38 سنة. ويتألف الاستبيان من مجموعتين من الأسئلة، تحتوي المجموعة الأولى 9 عوامل ممكن أن تجذب الأفراد إلى الجماعات المتطرفة، قام الخبراء بتقييم دورها بمقياس من 1 إلى 10 حيث 1 لا أثر لها و10 تعني أن العامل يلعب دور بالغ الأهمية، وبالاعتماد على ذات المقياس تحتوي المجموعة الثانية من الأسئلة على 8 عوامل ممكن أن تُخرج الأفراد من بيئتهم والسياق المؤسسي الذي يعيشون فيه. وتجدر الإشارة إلى أن نتائج الاستبيان تأشيرية لدعم التحليل فقط وليست مبنية على عينة تمثل المجتمع المدروس.

ثالثاً: العوامل الاقتصادية-الاجتماعية المؤثرة على التطرف العنيف:

١. المستوى المعيشي

يلعب الفقر والحرمان الاقتصادي دور غير مباشر في انتشار التطرف العنيف من خلال خلق بيئة طاردة تولد لدى أفرادها رغبة في تحسين مستوياتهم المعيشية بشتى الطرق بما فيها تبني التطرف العنيف كما تنمي فيهم الجفاء لمجتمعاتهم المحلية. وتعتبر محافظة ديرالزور من المحافظات السورية الغنية بإنتاجها الزراعي وخاصة القمح إضافة إلى مواردها من النفط والغاز، ومع ذلك يعاني سكانها من حرمان اقتصادي متراكم تفاقم خلال الأزمة المستمرة منذ عشر سنوات. فقبل عام 2011، بلغت نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر الأعلى في محافظة ديرالزور، كجزء من المناطق الشمالية الشرقية في سوريا، حوالي 36% وترتفع هذه النسبة لتصل إلى 42% في المناطق الريفية (Abu-Ismaïl et al., 2011). كما احتلت ديرالزور المرتبة الأخيرة بين المحافظات السورية فيما يتعلق بدليل الفقر متعدد الأبعاد الذي اعتمد على بيانات دخل ونفقات الأسرة لعام 2009 (CBS, 2014). وبالتالي يمكن القول أن المنطقة المدروسة عانت من حرمان اقتصادي شديد نتيجة إهمال مؤسسات الدولة وغياب استراتيجية تنمية فعالة خلال فترة ما قبل الأزمة.

فاقتم الأزمة بشكل كبير معدلات الفقر في كافة أنحاء البلاد وخاصة في المناطق التي عانت من عمليات عسكرية واسعة ومازالت غير مستقرة أمثالاً مثل الريف الشرقي لديرالزور. فقد الكثير من الأسر ممتلكاتهم ومصادر دخلهم نتيجة الانخفاض الكبير في النشاط الاقتصادي على المستويين الوطني والمحلي، وإغلاق طال عدد كبير من الأنشطة التجارية في المنطقة. وقد ارتفعت نسبة السكان في ديرالزور والذين يعيشون تحت خط الفقر الأعلى إلى 92% في عام 2019 من إجمالي عدد السكان، وهي نسبة أعلى من وسطي كافة المناطق السورية والذي بلغ حوالي 86% (SCPR, 2020). وبلغت نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر الغذائي في المحافظة أكثر من 60% وهي أعلى نسبة في سوريا (SCPR, 2020). وتجدر الإشارة إلى أن معدلات الفقر شهدت ارتفاعاً ملحوظاً خلال عام 2020 نتيجة الانخفاض الكبير في قيمة الليرة السورية، الأمر الذي أثر سلباً على القدرة الشرائية للسكان وخاصة في المناطق المحرومة أصلاً مثل ريف ديرالزور، فقد تضاعفت خلال النصف الأول فقط من عام 2020 أسعار كافة السلع بما في ذلك السلع الغذائية دون أن يترافق ذلك مع أي ارتفاع ملحوظ في الدخل (Mehchy, 2020).

أكد الخبراء المحليون أن كافة القطاعات الاقتصادية والزراعية والصناعية والخدمية شهدت انهيار حاد في الإنتاج متأثرة بضعف البنية التحتية، وغياب سيادة القانون، وعدم استقرار أسعار الصرف، وانتشار المحسوبية والفساد وضعف فاعلية المؤسسات الناظمة للعمل الاقتصادي. انعكس ذلك حرماناً اقتصادياً على أغلب أبناء المنطقة، إلا أن القلة من الأفراد استطاعوا الاستفادة من الديناميات الاقتصادية الجديدة التي فرضتها الأزمة وحققوا أموالاً طائلة. ويتوزع هؤلاء المستفيدون إلى ثلاثة مجموعات، الأولى هم العائلات التي سيطرت على بئر أو أكثر من النفط نتيجة ثقلها العددي والعشائري وعلاقاتها القوية مع السلطات المحلية، أما المجموعة الثانية فتضم العائلات التي سيطرت على معابر التهريب بين مناطق الإدارة الذاتية ومناطق سيطرة الحكومة السورية، ويتركز أغلب هذه المعابر في منطقة الشحيل، أما المجموعة الثالثة من المستفيدين فهم الأشخاص الذين يتسلمون مناصب رفيعة لدى السلطات المحلية ويستغلون مواقعهم لتحقيق منافع شخصية. ومع ازدياد الحرمان الاقتصادي لغالبية السكان تتوسع الفجوة بينهم وبين القلة المستفيدة في المنطقة ويظهر بشكل جلي غياب العدالة في توزيع الموارد مما يضاعف حالة الإحباط والغضب لدى الكثير من المحرومين.

وبينت نتائج الاستبيان أن كافة الخبراء دون استثناء يعتبرون أن المستوى المعيشي السيء والحرمان الاقتصادي من أهم الأسباب التي تؤدي إلى رغبة العديد من السكان وخاصة الشباب في الانتماء إلى الجماعات المتطرفة. ومن جهة أخرى، وفي مقابل حالة الإحباط من الوضع الاقتصادي الحالي، توحى الجماعات المتطرفة إلى منتسبيها بالأمل في الحصول على منافع اقتصادية كبيرة لهم وللمقربين منهم، وهذا ما أكدته أيضاً نتائج الاستبيان حيث أن أغلب الخبراء المحليين اعتبروا أن الأرباح المتأتية من عمليات السطو والاستيلاء وفرض الأتاوات تحت مسمى الزكاة الذي تمارسه هذه الجماعات يشكل حافزاً لدى الكثير من الشباب للانتماء إلى ممارسات وفكر التطرف العنيف. واعتبر المشاركون في الاستبيان من بعض المناطق مثل شحيل أن الحوافز الاقتصادية المقدمة من قبل الجماعات المتطرفة تلعب دوراً ولكن ليس بالغ الأهمية في جذب الشباب حيث أن قدرة هذه الجماعات على ممارسة أنشطتها من نهب واستيلاء تضعف نسبياً كنتيجة مباشرة للتشدد الأمني ضد هذه التنظيمات من قبل السلطات المحلية والتحالف الدولي لمحاربة داعش، إلا أن الاعتماد بشكل أساسي على القبضة الأمنية لا يشكل حل مستدام للحد من

قدرة هذه الجماعات التي مازالت قادرة على استغلال أي فرصة لاستعادة نشاطها في النهب وفرض الأتاوات. وبشكل عام، فإن استمرار تدني المستوى المعيشي وغياب العدالة الاقتصادية يدفعان الكثير من سكان المنطقة إلى حالة من اليأس والإحباط والغضب، الأمر الذي يشكل عاملاً مهماً في خلق البيئة المناسبة لانتشار التطرف العنيف. ويدعم هذا العامل في بعض الحالات توقع فرص اقتصادية يمكن الحصول عليها من الجماعات المتطرفة.

٢. سوق العمل

ارتبط ارتفاع معدلات البطالة وضعف المشاركة في سوق العمل في كثير من البلدان ومنها سوريا مع ارتفاع الميل لدى الكثير من الشباب لممارسة التطرف العنيف، وخاصة إذا كان لهذه الممارسة مقابل مادي يدفع بشكل دوري إضافة إلى حوافز اقتصادية أخرى أشرنا إليها في القسم السابق. ومنذ فترة ما قبل الأزمة، عانت منطقة الريف الشرقي لديرالزور من مؤشرات عمل ضعيفة بالمقارنة مع مناطق سورية أخرى، ففي عام 2010، بلغ معدل البطالة في المنطقة حوالي 17% بالمقارنة مع 8.6% في سوريا. وسجلت المنطقة في ذلك العام أقل نسبة مشاركة في قوة العمل في سوريا وخاصة للنساء، حيث وصل معدل المشاركة العام إلى 35% لينخفض إلى أقل من 9% بين النساء مقارنة مع وسطي معدل المشاركة العام في كافة المناطق السورية والذي بلغ 43% وبين النساء حوالي 13% (CBS, 2011).

قبل الأزمة، كان معظم المشاركين في سوق العمل منخرطين في النشاط الزراعي وبدرجة أقل في أنشطة خدمية بسيطة مع عدد محدود من الورشات الصناعية الصغيرة، كما اعتمد جزء كبير من شبابها على العمل الموسمي في لبنان وفي قطاعي البناء والزراعة بشكل أساسي، وخاصة بعد موجة الجفاف التي ضربت المنطقة الشمالية الشرقية في 2008 و2009.⁸⁸ ويمكن القول أن المنطقة وحتى في فترة ما قبل الأزمة كانت تعاني من تشوهات واضحة في سوق العمل تجلت في انخفاض معدلات المشاركة والارتفاع النسبي لمعدلات البطالة وضعف إنتاجية العامل إضافة إلى سعي غالبية الشباب إلى الهجرة من أجل العمل.

أثرت الأزمة بشكل كبير على سوق العمل في المنطقة، فقد أشار عدد من الخبراء أن التغيرات الديمغرافية التي أصابت المنطقة نتيجة الهجرة الواسعة للذكور بحثاً عن العمل أو نتيجة انخراطهم بالأعمال القتالية وإصابتهم أو مقتلهم خلالها، أجبر الكثير من النساء على الدخول إلى سوق العمل لإعالة أسرهم وانخراطهم في أنشطة قليلة الإنتاجية والربحية وذلك لغياب فرص العمل اللائق من جهة وعدم امتلاكهن للمؤهلات التي تتيح لهن مجالات عمل أوسع من جهة أخرى. ويُقدر الخبراء المحليون معدلات البطالة في المنطقة المدروسة حالياً بأكثر من 50%،⁸⁹ ومن المتوقع أن تزيد هذه المعدلات مع الأزمة الاقتصادية في لبنان وعودة الكثير من شباب المنطقة إليها بعد فقدان فرص عملهم هناك.

وشهدت المنطقة خلال الأزمة انخفاضاً شديداً في العائد على العمل، والذي كان أصلاً منخفض قبل الأزمة. ففي القطاع الزراعي وحسب رأي الخبراء قد لا تتجاوز ربحية العمل فيه بكثير من الأحيان 10% إجمالي التكاليف المدفوعة وذلك نتيجة دمار البنية التحتية وارتفاع أسعار المدخلات (بذور، سماد، ومازوت، وأدوية زراعية)، وعدم القدرة على تسويق المنتجات بشكل فعال، إضافة إلى غياب الدعم الزراعي والتدهور الكبير في سعر الصرف. وبالنسبة للمشتغلين في أنشطة خدمية أو صناعية صغيرة فإن متوسط الدخل الشهري يبلغ حوالي 130 دولار أميركي⁹⁰، القليل من الشباب تتاح لهم فرص عمل في منظمات محلية أو دولية برواتب شهرية مرتفعة نسبياً تبلغ وسطياً 400 دولار للعاملين في المنظمات المحلية وتصل لحوالي 2000 دولار بالنسبة للمنظمات الدولية.

إلا أن أهم ما شهدته سوق العمل في المنطقة المدروسة هو سيطرة الأنشطة المرتبطة بالنزاع التي يمكن تصنيفها في مجموعتين، الأولى هي الأنشطة التي لها طابع رسمي مثل التطوع في قوات سورية الديمقراطية الذي يُقدم عليه بعض الشباب كبديل عن غياب فرص العمل اللائق وللحصول على مقابل مادي (يبلغ حوالي 70 دولار أميركي)، بغض النظر عن درجة الاقتناع والاتفاق مع أهداف هذه القوات. إن مثل هذه الأنشطة، وعلى الرغم من ممارستها في الإطار القانوني الذي تحدده السلطات المحلية، فإنها تساهم في عسكريّة المجتمع وخاصة فئة الشباب،

88 Deutsche Welle العربية (2010): «الجفاف يجبر الآلاف على هجرة الجزيرة السورية والعيش في ظروف بائسة». متوفر على: <http://bit.ly/3rLhB0i>

89 كما ذُكر في الإطار المنهجي والتحليلي، فقد استعانت الدراسة برأي خبراء محليين لتقدير بعض المؤشرات في الوقت الحالي مع التأكيد على أن هذه الأرقام تأشيرية وليست دقيقة أو مبنية على مسوح لعينات ممثلة للمجتمع المدروس.

90 تم اعتماد أسعار صرف وسطي شهر شباب البالغ حوالي 3300 ليرة سورية لكل دولار أميركي

الأمر الذي يجعل من ممارسة الأعمال القتالية الخبرة الرئيسية التي يملكها هؤلاء الشباب والتي يمكن استثمارها من قبل المجموعات المتطرفة القادرة على استقطاب المقاتلين من خلال دفع رواتب أعلى من الرواتب التي يحصلون عليها.⁹¹ أما المجموعة الثانية من الأنشطة المرتبطة بالنزاع فهي الأعمال غير القانونية مثل التهريب والأتاوات وتكرار النفط بطرق غير نظامية، وبشكل عام فإن المنخرطين في هذه الممارسات يسهل توظيفهم في أعمال التطرف العنيف في حال عُرض عليهم الدافع المادي المناسب.

وبينت نتائج استبيان الخبراء حول عوامل انتشار التطرف العنيف أن الرواتب المغرية التي يمكن أن تدفعها المجموعات المتطرفة تشكل عامل مهم في جذب الأفراد لهم وخاصة مع بيئة سوق العمل الحالية التي تعاني من غياب فرص العمل اللائق، والعسكرة، وضعف مردودية العمل المنتج، وارتفاع معدلات البطالة، واستغلال العمال مع غياب الرقابة على أصحاب العمل، وانتشار الأنشطة غير القانونية والجريمة. وقد بلغ وسطي أهمية هذا العامل 8.6 على مقياس من 1 إلى 10 حيث 10 يعتبر عامل بالغ الأهمية، مع الإشارة إلى أن هذه النتيجة مبنية على افتراض توفر القدرة المادية للجماعات المتطرفة إضافة توفر اللوجستيات التي تؤمن لها التواصل وتوظيف العناصر من أبناء المنطقة. وقد نوه بعض الخبراء المحليين أنه من الصعب معرفة مستوى الرواتب المقدمة من هذه الجماعات بشكل دقيق كون المنتسبين إليها لا يمكنهم التصريح بذلك، لكن المصدر الرئيسي لتمويل هذه الجماعات وبالتالي دفع الرواتب لعناصرها يعتمد غالباً على الزكاة على الأموال التي يتم فرضها على أهالي المنطقة، والسرقة والاستيلاء، إضافة إلى دعم الخارجي.

3. الخدمات العامة

تلعب الخدمات العامة الضعيفة دور غير مباشر في خلق بيئة طاردة للأفراد والأعمال والاستثمارات، كما تزيد من كلفة أي مشروع خدمي أو إنتاجي وبالتالي تساهم في زيادة أسعار المبيع للمستهلك النهائي. وتشير الأدبيات أن ضعف الخدمات العامة من مياه وكهرباء وصرف صحي واتصالات ومواصلات يولد لدى المجتمعات المحلية شعور بإهمال السلطات لهم والتمييز ضدهم مما يخلق حالة من السخط على هذه السلطات. قبل الأزمة، كان ريف ديرالزور من أكثر المناطق السورية حرماناً من بعض الخدمات العامة مثل المياه الصالحة للشرب والصرف الصحي (CBS, 2014). ولكن بشكل عام كانت الحكومة السورية في تلك الفترة تحاول توفير الخدمات العامة بشكل عادل ومقبول لكافة المناطق، ويعبر ذلك عن شكل من أشكال المساومة التي كان يفرضها النظام على المجتمع والتي تتمثل في جزء منها بتوفير السلع والخدمات العامة بشكل جيد ومجاني مقابل قبول المجتمع بالغياب الكامل للحياة والممارسة السياسية، ويمارس هذا النوع من المساومة من قبل أغلب الأنظمة الاستبدادية.

شهدت أغلب مناطق ديرالزور أعمال قتالية عنيفة خلال عشر سنوات من الأزمة، ومازالت حالة عدم الاستقرار الأمني مسيطرة على أغلب المناطق في المحافظة بما في ذلك الريف الشرقي. ونتج عن ذلك دمار كبير في البنية التحتية انعكس سلباً على الخدمات العامة المقدمة للسكان. فقد تعرض ربع مباني المحافظة إلى دمار كلي أو جزئي بما في ذلك المباني العامة، كما دفع الخراب الكبير الذي لحق بشبكات مياه الشرب حوالي 30% من الأسر في المنطقة إلى شراء المياه من الصهاريج (EASO, 2020)، حيث تبلغ تكلفة صهرج الماء حوالي خمسة آلاف ليرة سورية (حوالي دولار ونصف) الأمر الذي يزيد من الأعباء المالية على هذه الأسر والتي تعاني أصلاً من فقدان مصادر دخلها. وأدى دمار ونهب محطات توليد الكهرباء والكابلات والتجهيزات الكهربائية الأخرى إلى انقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة حيث لا تحصل بعض مناطق الريف الشرقي على أكثر من ساعتين تغذية كهربائية في اليوم غير كافية لتغطية كافة الحاجات الرئيسية، مما يدفع الكثير من السكان إلى الاعتماد على المولدات الخاصة التي تفرض تكاليف إضافية على الأسر. وخلال الأزمة أيضاً تم تدمير ونهب البنية التحتية للخطوط الأرضية مما أدى إلى غياب شبه كامل لهذه الخدمة والاعتماد بشكل رئيسي على شبكات الموبايل التابعة للحكومة السورية (سيرياتل وأم تي أم)، كما أسفرت العمليات القتالية إلى تخريب جزء كبير من شبكة الطرق وتدمير وسرقة عدد كبير من وسائل المواصلات العامة والخاصة، مما زاد من تكاليف وصعوبة التنقل داخل المنطقة وبينها وبين المناطق الأخرى.

91 من الصعب الحصول على رقم دقيق للرواتب التي تدفعها التنظيمات الإرهابية حالياً في سوريا، ولكن في فترة سيطرة تنظيم داعش على المنطقة بلغ وسطي الراتب الشهري للمقاتلين المحليين حوالي 200 دولار أميركي.

يعتبر الكثير من الأسر في المنطقة أن استمرار ضعف الخدمات العامة لا يرتبط بعدم توافر الموارد المادية فقط بل أيضاً بتقصير السلطات المحلية الناتج عن الفساد والمحسوبية وضعف الكفاءة الإدارية وغياب الكادر المؤهل إضافة إلى إهمال هذه السلطات لهم والتميز ضدّهم. على سبيل المثال، تشير التقديرات أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أنفقت في عام 2020 حوالي 835 مليون دولار أميركي⁹² في المنطقة الشمالية الشرقية وذهب جزء كبير منها لإعادة تأهيل البنية التحتية، مع ذلك لم يشعر سكان المنطقة المدروسة بأي تحسن يذكر بما يتعلق بالخدمات العامة. يخلق هذا الواقع حالة من الغضب وعدم الرضا بين سكان المنطقة، الأمر الذي يمكن لكثير من الجماعات المتطرفة الاستثمار به لجذب عدد أكبر من المنتمين إليها.

وبينت نتائج الاستبيان الذي شمل 13 خبير محلي من المنطقة المدروسة حول عوامل انتشار التطرف العنيف أن ضعف الخدمات العامة من كهرباء ومياه ومواصلات تشكل عامل مهم في تعميق حالة الإحباط لدى السكان والتي أضحت تتراكم مع الغضب نتيجة تحميل السلطات المحلية مسؤولية هذا التقصير. وقد بلغ وسطي أهمية هذا العامل 9.2 على مقياس من 1 إلى 10 حيث 10 يعتبر عامل بالغ الأهمية، وبالتالي وحسب رأي الخبراء فإن غياب الخدمات العامة الفعالة تُعتبر من أهم الحوافز السلبية التي تدفع الأفراد باتجاه التطرف العنيف كرد فعل على الواقع الخدمي السيء والتحيز ضد مناطقهم، إضافة إلى أن ضعف الخدمات العامة وعدم وجود بؤر لتحسنها يزيد من صعوبة تأقلم الأفراد مع بيئتهم ويزيد من رغبتهم في الخروج من هذا الوضع ومحاربتة.

٤. التعليم والثقافة

يؤثر المستوى التعليمي وما يتلقاه الأفراد من معلومات بشكل كبير على قراراتهم في الاقتناع والانتماء إلى جماعات التطرف العنيف، ويظهر هذا الأثر في بُعدين، الأول هي دور التعليم النوعي في زيادة قدرة المُحاجة المنطقية للأفراد وبالتالي ميلهم إلى عدم قبول الأفكار والأيديولوجيات، التي يتم الترويج لها من قبل المتطرفين، بشكل سريع ودون تحليل مبني على الأدلة. البُعد الثاني الذي يظهر فيه علاقة التعليم مع التطرف العنيف هو طبيعة ونوع التعليم والمعلومات التي يتلقاها الأفراد، ففي كثير من الأحيان تُستخدم المناهج التعليمية للاستثمار في الهويات السياسية والاثنية والطائفية وتعزيزها مما يحقق مصالح المتطرفين من كل الخلفيات، وفي كثير من الأحيان يتلاقح هذا الاستثمار مع الثقافة السائدة في المنطقة. على سبيل المثال، في الريف الشرقي لديرالزور، تسيطر الثقافة العشائرية المبنية على الذكورية بشكل كبير وبالتالي فإن أي تعليم رسمي أو غير رسمي يتطرق ضد النساء ومشاركتهن في الحياة الاقتصادية والسياسية يلقي دعماً من أبناء هذه المنطقة. قبل بداية الأزمة، كان ريف ديرالزور من أضعف المناطق السورية من حيث التحصيل العلمي فقد بلغت نسبة الأميين من إجمالي سكان المنطقة عام 2010 حوالي 38% مقارنة مع 15.6% على مستوى سوريا (CBS, 2011)، أما نسبة الحاصلين على شهادة جامعية أو شهادة معهد متوسط فلم يتعدوا 3% من السكان بينما تجاوزت هذه النسبة 10% في سوريا (CBS, 2011). وتعرضت نساء المنطقة إلى حرمان شديد من التعليم، إذ بلغت نسبة الأمية بينهن حوالي 55% وقاربت نسبة المتحصلات على تعليم ما بعد الثانوي الـ 0% وذلك في عام 2010 (CBS, 2011). وقبل الأزمة أيضاً، احتلت محافظة ديرالزور وخاصة في مناطقها الريفية المرتبة الأخيرة بين المحافظات السورية من حيث معدل الالتحاق بالمدارس وسنوات التمدرس، أي متوسط عدد السنوات التي يقضيها الفرد في الدراسة، ويشير ذلك إلى الصعوبات الكبيرة التي عانى منها سكان ريف ديرالزور في ما يخص التعليم بما في ذلك الفقر المادي، والثقافة السائدة، وصعوبة الوصول إلى المرافق التعليمية (CBS, 2014). تعكس هذه المؤشرات الضعف الشديد في الواقع التعليمي والثقافي للمنطقة قبل الأزمة، الأمر الذي يجعلها أكثر عرضة لتقبل الأفكار غير المبنية على الأدلة ومنها الأفكار المتطرفة، كما يبقونها رهناً للسياسات الثقافية السائدة والمبنية أساساً على التعصب القبلي والنظام البطركي. أثرت الأزمة بشكل كبير ومستمر على التعليم وعلى الثقافة العامة السائدة في المنطقة. في أثناء سيطرة داعش، خرج حوالي 95% من مدارس ديرالزور العامة عن الخدمة نتيجة دمارهم بشكل جزئي أو كلي، أو إغلاقهم أو استخدامهم للعمليات العسكرية أو إشغالهم من قبل النازحين (EASO, 2020)، إضافة إلى ذلك فقد خسر قطاع التعليم الكثير من كوادره لأسباب متعددة منها الهجرة والنزوح والاعتقال والغياب القسري. أثر ذلك على معدلات التحاق الطلاب بالمدارس، الذي كان منخفضاً أصلاً، إذ تشير تقديرات الخبراء المحليين أن أكثر من 60% من الأطفال في عمر الدراسة غير ملتحقين بالمدارس، ومع تخطيط المؤسسات الرسمية طيلة سنوات الأزمة، تجذرت ثقافة المؤسسات غير الرسمية وعلى رأسها

الثقافة العشائرية التي لا تعير تعليم الإناث أي اهتمام بل على العكس تشجع تسربهن من المدارس، وبالفعل يشير التوزيع النسبي للطلاب حسب الجنس في المرحلة الابتدائية الأولى أن الإناث يشكلوا حوالي 40% من إجمالي الأطفال في هذه المرحلة (Chemonics, 2019)، إلا أن هذه النسبة تنخفض إلى أقل من 20% في مرحلة التعليم الثانوي، وفقاً لأحد الخبراء المحليين.

وتكمن أهم مشاكل التعليم للمنطقة المدروسة في طبيعة المناهج وتغيرها عدة مرات خلال الأزمة. تعتمد مدارس المنطقة حالياً على المنهاج الذي طوره اليونيسف، كما اعتمدت فترة على منهاج الحكومة السورية باستثناء بعض المواد، وقبلها وأثناء سيطرة داعش حُرمت الفتيات من المدارس وسيطرت المواد الدينية على المنهاج التعليمي. أثرت تعددية المناهج وتقطعها بشكل سلبي على استمرار الأطفال في التعلم، كما أدت إلى تشتت هويتهم الثقافية، إذ أن كل قوى سيطرت على المنطقة سعت بشكل أو بآخر من خلال العملية التعليمية إلى فرض أفكارها وأيديولوجيتها على أبناء المنطقة.

وقد أجمع كافة الخبراء الذين شملهم الاستبيان أن ضعف المستوى التعليمي والثقافي يعتبر من أهم العوامل التي تؤدي إلى انتشار التطرف العنيف في المنطقة حيث يؤثر هذا الضعف سلباً على الوعي الجمعي وخاصة وعي الشباب وقدرتهم على التفكير المنطقي المبني على الأدلة وبالتالي يزيد من درجة تقبلهم للأفكار المتطرفة وممارساتها. وتجدر الإشارة إلى أن استخدام التعليم من قبل بعض قوى الأمر الواقع، وخاصة داعش، لترسيخ أيديولوجيتها لدى الجيل الجديد والبناء على سلبيات الثقافة القبلية السائدة من ذكورية وتسلط، مازال له أثر كبير على إمكانية استمرار الفكر المتطرف العنيف بغض النظر عن وجود هياكل مؤسساتية له حيث يستطيع هذا الفكر من إعادة بناء مؤسساته في أي لحظة تسمح له الظروف بذلك. لذلك فإن الانتصار العسكري وإلغاء الوجود المادي للجماعات المتطرفة غير كاف على الإطلاق ما لم يترافق مع تحديث العملية التربوية لكافة الأعمار وبشكل تشاركي مع أبناء المنطقة، وعلى هذه العملية أن تبني على إيجابيات الثقافة المحلية مثل الكرم والإيثار وتدحض بشكل علمي سلبياتها مثل الذكورية الشديدة والسلطوية.

5. البنى والشبكات الاجتماعية

يرتبط غالبية السكان في المنطقة المدروسة، بشبكات وبنى اجتماعية معقدة، تقوم على علاقات قبلية وعشائرية متشابكة. وتعد قبيلة العكيدات أكبر القبائل في هذه المنطقة، وتتوزع العشائر المتفرعة عنها، على القرى والبلدات في الريف الشرقي، والشمال الشرقي لمحافظة دير الزور، مثل عشيرة البوكامل في بلدي الشحيل وذيبيان، وعشيرة البكير في مدينة البصرة وبلدي الصور وخشام، والشعيطات في بلدات أبو حمام والكشكية وغرانيج. خلال سنوات الأزمة، تبين أن علاقة العشائر مع القوى المتعاقبة التي سيطرت على المنطقة، متغيرة وتتأثر بالمصالح الخاصة والنفوذ الذي يمكن تحقيقه من خلال هذه العلاقة، كما بينت الأزمة أنه يمكن لأبناء العشيرة الواحدة أن يكون له إصالح وانتماءات ومن ثم علاقات مختلفة، وتنافسية في بعض الحالات مع القوى المسيطرة.

من حيث المبدأ، تشكل هذه الشبكات حماية لأفراد المنطقة من فكر التطرف العنيف كما يمكن أن تلعب دور كبير في محاربة هذا الفكر عسكرياً وفكرياً (Khan, 2007). لكن، ومن جهة أخرى، قد تساهم التشكيلات الاجتماعية القبلية في انتشار التطرف العنيف من خلال استثمار الجماعات المتطرفة للخلافات بين أبناء وزعامات القبيلة الواحدة وشراء الولاءات بالمناصب والمناقص المادية، علماً أن التركيبة السلطوية والهرمية في المجتمع العشائري تعطي دور كبير للزعماء والشيوخ في تحديد توجهات عدد كبير من أبناء المنطقة. بمعنى آخر فإن دعم أحد الشيوخ لجماعة متطرفة، سواء نتج هذا الدعم من تهديد أو رغبة في تحصيل منافع مادية أو قناعة أيديولوجية، يعني على الأغلب حصول الجماعة على دعم جزء كبير من أفراد الأسرة أو الفخذ أو العشيرة التي يتزعمها هذا الشيخ.

وتمثل العشيرة والقبيلة رأس مال اجتماعي على المستوى المحلي في الكثير من المناطق السورية وخاصة في الجزيرة بما في ذلك ريف ديرالزور. وعلى الرغم من رغبة النظام في سوريا قبل الأزمة أن يظهر كداعم لمؤسسات الدولة التي تتجاوز العشائرية والقبلية إلا أنه في واقع الأمر استثمر في البنى القبلية وقدم ميزات مادية ونفوذ للكثير من شيوخ العشائر مقابل استمرار ولائهم للنظام. وبالتالي استمرت العشيرة بلعب دور محوري في حياة الأفراد في ريف ديرالزور حتى خلال فترة الدولة الأمنية شديدة المركزية التي فرضها حكم الأسد لغاية عام 2011 (Dukhan, 2014). فكان الانتماء العشائري يحقق للأفراد الاطمئنان والتجانس ويضمن لهم في بعض الأحيان الوصول إلى مراكز القرار

والحصول على منافع ومكتسبات مادية. وأظهرت نتائج مسح حالة السكان عام 2014 أن رأس المال الاجتماعي في ريف ديرالزور بما يمثله من ثقة بين الأفراد وتعاون ودعم ومشاركة كان مرتفع في مرحلة ما قبل الأزمة مقارنة مع المناطق السورية الأخرى (SCPR, 2017)، وعكست هذه الحالة ارتفاع ما يطلق عليه اسم رأس المال الاجتماعي الترابي وهو يشير إلى العلاقات القوية بين مجموعات متجانسة من الأفراد ينعكس إيجاباً على واقعهم الاقتصادي (Putnam, 2000). والعشيرة هي مثال قوي عن هذه العلاقات وتظهر في ريف ديرالزور بشكل أكثر وضوحاً من أغلب المناطق السورية.

خلال الأزمة، تعرضت البنى الاجتماعية في المنطقة المدروسة إلى هزة كبيرة وانهار دليل رأس المال الاجتماعي إلى حوالي نصف ما كان عليه قبل الأزمة بما يعكس تدهور كبير في التعاون والمشاركة المجتمعية والثقة بين الأفراد والشعور بالأمان والاتفاق على قيم ورؤى مشتركة (SCPR, 2017). وتستمر مختلف القوى المتحاربة في سوريا، بما في ذلك القوى الخارجية، في الاستثمار بالخلافات داخل القبيلة والعشيرة الواحدة بهدف الحصول على الدعم العشائري واستخدامه كوسيلة في حربها ضد القوى الأخرى. وعلى الرغم من توحيد عشيرة الشيعيات في المعركة ضد تنظيم داعش وخاصة بعد المجزرة الرهيبة التي نفذتها الأخيرة عام 2014 في أبناء العشيرة، إلا أن التنظيم استطاع أن يجذب إلى صفوفه الكثير من أبناء العشائر من خلال تقديم منافع مادية أو تعزيز المناصب والنفوذ، مستفيداً من الخلافات والنزاعات داخل العشيرة الواحدة. وأشار أحد الأشخاص المفتاحيين في المنطقة إلى عشيرة البكير كمثال على استغلال القوى المتحاربة واستفادتها من الصراعات الداخلية في العشيرة، حيث أن أفخاذ عشيرة البكير متنازعين فيما بينهم نتيجة خلافات قديمة بخصوص ملكيات الأراضي وحدود نفوذ كل فخذ وعائلة ضمن العشيرة، ونتيجة لذلك ضعفت السلطة الهرمية داخل العشيرة وظهرت تيارات مختلفة فيها، منها من دعم تنظيم داعش مثل عامر الرفدان وأتباعه الذي كان قيادي سابق في التنظيم. وحالياً مازالت الشقاكات مستمرة، إذ أن جزء من أبناء عشيرة البكير وبدعم من النظام السوري يتهم أحمد الخبيل (أبو خولة) أمير العشيرة بالخيانة بسبب منصبه كقائد في مجلس ديرالزور العسكري التابع لقوات سوريا الديمقراطية. يوضح هذا المثال كيف يمكن للبنى العشائرية أن تنتقل من كونها حامية ومدافعة عن أفرادها من التطرف العنيف إلى أداة تستخدمها كافة القوى المتحاربة بما فيها الجماعات المتطرفة.

إن استمرار الأزمة وزيادة التصدعات داخل البنى القبلية نتيجة الصراع على المصالح أدى إلى ضعف القدرة التقليدية لهذه البنى على حماية أفرادها ومساعدتهم في حل مشاكلهم، وبالتالي أضعف الولاء العشائري لدى الأفراد وسهل عملية انتمائهم إلى مختلف الأطراف المتحاربة، بما في ذلك قوى التطرف العنيف، دون العودة إلى مرجعياتهم التقليدية. ولكن، من جهة أخرى، شهدت الأزمة البعض من مظاهر استغلال العلاقات القوية بين أبناء الأسرة أو الفخذ الواحدة بتأسيس جماعات مسلحة كبيرة عددياً ومتجانسة من حيث انتماءات أفرادها تختص بالأعمال غير القانونية وخاصة تهريب المواد وتحديداً النفط بين مناطق الإدارة الذاتية ومناطق الحكومة السورية، ولا تخضع تلك الجماعات لأوامر أو قرارات السلطات المحلية التي تتجنب بدورها الدخول بأي مواجهة قد تؤدي إلى تفجر نزاع واسع مع كافة أبناء العشيرة التي تنتمي لها هذه الجماعات.

تشكل البنى العشائرية حجر الأساس في العلاقات الاجتماعية داخل المنطقة المدروسة، وقد أدت الأزمة إلى تصدع هذه البنى واستغلالها من قبل كافة الأطراف المتحاربة بما فيها جماعات التطرف العنيف مثل تنظيم داعش. كما استطاعت هذه الجماعات توظيف شبكات التواصل الاجتماعي والاستفادة منها لاختراق البنى العشائرية والتأثير بشكل مباشر على الأفراد وخاصة الشباب منهم. إلا أن نتائج استبيان الخبراء أظهر ضعف الدور الذي تلعبه "الرغبة في إشباع الحاجة الفردية للانتماء إلى جماعة وفكر معين" في انتشار ممارسة التطرف العنيف، ويعود ذلك إلى أن الولاء العشائري والأسري مازال "يُشبع" حاجة أبناء المنطقة بأن يكونوا جزء من جماعة متجانسة تسعى إلى تحقيق هدف محدد. وبالتالي فإن البناء على إيجابيات البنى الاجتماعية التقليدية وتطويرها وتجاوز سلبياتها يشكل عاملاً مهماً في التصدي للتطرف العنيف فكرياً وممارسة.

رابعاً: الخلاصة وتوصيات سياساتية:

إن فهم ومواجهة عوامل انتشار التطرف العنيف يحتاج إلى مقارنة شاملة تشمل بالإضافة إلى الناحية الاقتصادية-الاجتماعية النواحي المؤسسية والأمنية والسياسية والنفسية والدينية، إلا أن هذه الورقة ركزت على البُعد الاقتصادي-الاجتماعي وبالتالي فإن التوصيات السياسية والبرامجية المطروحة مرتبطة بهذا البُعد ومبنية على النتائج التي توصل إليها التحليل حول كل عامل من العوامل الخمسة من حيث 1) درجة توفرها لبيئة عامة تدفع الأفراد للخروج عن سياقهم المؤسسي والمجتمعي (عوامل طاردة أو نابذة) و2) مدى استغلال الجماعات المتطرفة لها في توظيف الأفراد وادماجهم في فكر التطرف العنيف (عوامل جاذبة للتطرف). وتم طرح التوصيات قصيرة وطويلة الأجل بهدف الحد من الأثر السلبي لهذه العوامل وتعطيل دينامياتها، والعمل على تحقيق تغيير جذري في البيئة الاقتصادية-الاجتماعية المولدة للتطرف العنيف والانتقال من الاستقرار الهش الذي يعتمد على الحل الأمني والعسكري إلى سلام أكثر استدامة يعتمد على التنمية التضمينية.

١. المستوى المعيشي:

- المحاور السلبيه المتداخلة التي تدفع الأفراد للانتماء إلى الجماعات المتطرفة والمرتبطة بهذا العامل هي:
- خسارة الممتلكات الفردية والعائلية لعدة أسباب منها الأعمال الحربية، والسرقه والسطو، والاضطرار لبيع الممتلكات لشراء حاجات أساسية للأسرة.
- ارتفاع حاد في معدلات الفقر المادي العام مما يحرم الأسر من الحصول على سلع وخدمات أساسية مثل الصحة والتعليم بشكل كاف ونوعي.
- فقدان الأمن الغذائي لفئة كبيرة من السكان والناج عن عدم توفر بعض السلع الغذائية و/أو عدم القدرة المالية للأسر على شراء المواد الغذائية اللازمة.
- سيطرة القطاع الريعي مثل اعتماد بعض العائلات الكبيرة على النفط إضافة إلى توسع اقتصاد الجريمة بما في ذلك التهريب والسطو وفرض الأتاوات.
- غياب العدالة الاقتصادية والمساواة بين أسر المنطقة المدروسة وبينها وبين أسر المناطق الأخرى.

أما الآليات التي تعمل الجماعات المتطرفة على الاستفادة منها في سياق المستوى المعيشي المتدهور فهي جذب الأفراد لها من خلال ما يمكن أن يتحصلوا عليه من منافع اقتصادية نتيجة السطو وفرض الأتاوات وبالتالي رفع المستوى المعيشي لأسر المنتسبين إليها، وتستثمر هذه الجماعات في حالة الاحباط واليأس من الواقع المعيشي للأفراد إضافة إلى حالة غضبهم من غياب العدالة والمساواة الاقتصادية.

التوصيات:

- تعزيز أنشطة الأمن القائم على التشاركية بين السلطات والمجتمع المحلي مثل دوريات مشتركة بين شباب المنطقة والشرطة المحلية أو تدريب متطوعين لحراسة أحيائهم، ويساعد ذلك على حماية ما تبقى من ممتلكات للأسر في المنطقة كما يحد من اقتصاد الجريمة والسطو والسرقه وهم مصدر مالي مهم للجماعات المتطرفة وأحد أدوات جذبها للأفراد.
- الطلب من المنظمات الدولية وبالتنسيق مع السلطات المحلية والمبادرات والمنظمات المدنية تقديم الدعم المباشر اللازم لتأمين السلع والخدمات الأساسية وخاصة للأسر الأكثر فقراً بعد تحديد الاحتياجات والأولويات.
- العمل على تأمين تدفق السلع الغذائية إلى المنطقة بالتنسيق بين السلطات والقطاع الخاص وتقديم دعم أكبر لأسعار السلع الغذائية الأساسية وتشديد الرقابة على الأسواق وتشجيع المبادرات المدنية للقيام بهذه الرقابة.
- التنسيق مع المنظمات الدولية لتقديم دعم مباشر للأنشطة الاقتصادية الإنتاجية لتحل تدريجياً محل الاقتصاد الريعي واقتصاد الجريمة، فمثلاً يمكن دفع المنظمات الدولية إلى تقديم المساعدة المالية والفنية للمنطقة في ما يخص الري بالتنقيط ومكافحة تملح التربة والآفات الزراعية إضافة إلى دعم الصناعات والورشات الصغيرة المتواجدة في المنطقة. ويمكن للمنظمات المحلية في هذا الإطار أن تلعب دور في موضوع الدعم الفني وتحديد أولويات العمل الإنتاجي بناء على علاقاتهم ودراساتهم عن حاجات المجتمع المحلي.

- أما على المدى الطويل، يجب أن تعمل الإدارة الذاتية على بناء استراتيجية اقتصادية بشكل تشاركي مع المجتمع المحلي من كافة المناطق مما يحقق التكامل الاقتصادي بين المناطق وعدالة توزيع الموارد والفرص ضمن إطار سيادة القانون والرقابة المجتمعية الفعالة.

٢. سوق العمل:

- المحاور السلبية المتداخلة التي تدفع لانتشار التطرف العنيف والمرتبطة مع سوق العمل هي:
 - الاختلالات البنوية التي يعاني منها سوق العمل منذ فترة ما قبل الأزمة من حيث المشاركة المنخفضة في قوة العمل وخاصة بين النساء والإنتاجية الضعيفة للعاملين في مختلف القطاعات.
 - ارتفاع حاد في معدلات البطالة خلال الأزمة ترافق مع انخفاض حاد في المردود على العمل وخاصة في القطاعات الإنتاجية الزراعية والصناعية.
 - عدم العدالة في فرص العمل اللائق مع وجود أغلبية عاطلة عن العمل أو تعمل في ظروف صعبة وأقلية تعمل برواتب وشروط عمل جيدة.
 - انتقال الشباب من العمل في القطاعات الإنتاجية إلى العمل في أنشطة مرتبطة بالنزاع بما في ذلك التهريب والتكرير غير النظامي للنפט وعصابات السطو إضافة إلى الانتماء إلى الجماعات المتطرفة.
 - دخول العسكرة إلى سوق العمل كنشاط يدر على صاحبه دخل جيد نسبياً بغض النظر عن قناعاته بالجهة التي يحارب لصالحها.
- وتستفيد الجماعات المتطرفة من التدهور الحاد في سوق العمل المنتج والعسكرة والغياب شبه الكامل لفرص العمل اللائق من خلال الاستثمار في حالة الاحباط واليأس من الانخراط في عمل منتج وبالتالي زيادة قدرتها على استقطاب الشباب بعد تقديم بدل مادي لهم مقابل العمل خدمة لأنشطتها وأهدافها.

التوصيات:

- دعم المنظمات الدولية بالتنسيق مع السلطات المحلية الأنشطة الاقتصادية المنتجة من خلال تقديم قروض لمشاريع صغيرة ذات ربحية مرتفعة إضافة إلى تقديم الدعم الفني اللازم لتأهيل كوادر هذه المشاريع، ويمكن ربط تقديم القروض بشروط اجتماعية كضرورة التحاق أبناء طالب/ة القرض بالمدراس أو إعطاء الأولوية للمشاريع التي تقودها النساء، ويمكن للمنظمات المحلية لعب دور أساسي في مساعدة الجهات الدولية في تحديد الشروط الاجتماعية والمشاريع ذات الأولوية في المنطقة وذلك بناء على خبراتهم وعلاقاتهم مع المجتمع المحلي.
- تقديم حوافز ضريبية وتسهيلات إدارية لتنظيم العمل في المشاريع الصغيرة وبالتالي ضمان حقوق العاملين فيها، وتشجيع مبادرات مدنية ترصد حقوق العاملين في المنطقة وتهدف إلى حمايتها.
- التنسيق مع المنظمات الدولية لإقامة دورات تدريب مهني مرتبطة بشكل أساسي بحاجات سوق العمل ومبنية على دراسات للاقتصاد المحلي والأنشطة الممكنة.
- دراسة الحد من الانتساب والتطوع إلى المجموعات العسكرية الرسمية وإعادة النظر بموضوع التجنيد اللازمي للحد من ظاهرة عسكرة سوق العمل والتركيز على بناء خبرات الشباب المهنية وليس القتالية.
- إعادة النظر في الرواتب المرتفعة المقدمة من قبل المنظمات الدولية لتخفيف حدة التفاوت في الدخل بين أبناء المنطقة.
- التشدد الأمني والتضييق على الأنشطة المرتبطة بالنزاع بالتعاون مع أبناء المنطقة إضافة إلى ضرورة تجفيف المصادر المالية للجماعات المتطرفة والناجمة عن أنشطتها الإجرامية.
- أما على المدى الطويل، يجب تبني استراتيجية تشاركية تسعى إلى تطوير الكوادر المحلية وإدماجها بأنشطة اقتصادية منتجة في إطار اقتصاد منظم يؤمن فرص عمل لائقة للجميع ودون تمييز.

٣. الخدمات العامة:

- السلبات المتداخلة التي تدفع لانتشار التطرف العنيف بشكل غير مباشر والمرتبطة مع الخدمات العامة هي:
 - الدمار الكبير في البنية التحتية الذي أثر سلباً وبشكل كبير على الخدمات العامة المقدمة في المنطقة من كهرباء ومياه واتصالات وصرف صحي ومواصلات.
 - ضعف الحصول على الخدمات الأساسية وتحواله إلى عبء مالي إضافي على المجتمع المحلي، الذي يعاني أصلاً من ضائقة اقتصادية شديدة، حيث يضطر أبناء المنطقة لدفع مبالغ مرتفعة نسبياً للحصول مثلاً على المياه من الصهاريج والكهرباء من المولدات.
 - اعتبار جزء كبير من المجتمع المحلي في المنطقة أن ضعف الخدمات العامة حالياً مرده بشكل رئيسي إلى الفساد والمحسوبية وغياب الكفاءة إضافة إلى التمييز ضد الريف الشرقي لديرالزور لصالح مناطق أخرى في شمال شرق سوريا.
- لا تستطيع الجماعات المتطرفة تقديم حوافز إيجابية بشكل مباشر فيما يتعلق بالخدمات العامة إلا أن وضع الخدمات الحالي يشكل أداة جذب غير مباشرة لهذه الجماعات وخاصة لفئة الشباب حيث تستثمر في حالة الإحباط من الوضع الخدمي السيء وحالة الغضب من الفساد والمحسوبية والتمييز، وتقدم نفسها كبديل يمكن من خلاله التعبير عن الغضب وتجاوز الإحباط.

التوصيات:

- التعاون بين السلطات المحلية والمجتمع المحلي بتحديد الأولويات التي تحتاجها المنطقة من حيث الخدمات العامة على المدى القصير، وتطوير خطة عمل مشتركة تأخذ بعين الاعتبار الموارد المالية والفنية المتاحة.
- التنسيق مع المنظمات والجهات الدولية للمساهمة في إعادة تأهيل البنية التحتية بطريقة تشاركية تضم القطاع الخاص المحلي في المنطقة، وتجدر الإشارة إلى أن مساهمة القطاع الخاص في ذلك يساعد في خلق فرص عمل كثيرة الأمر الذي يعتبر عاملاً أساسياً في الحد من انتشار التطرف العنيف.
- توزيع الموارد ومشاريع إعادة التأهيل بشكل عادل بين مناطق شمال شرق سوريا، وفي هذا السياق تقوم التشاركية مع المجتمعات المحلية بدور أساسي في ضمان العدالة والشفافية في توزيع هذه المشاريع.
- توسيع المساحة للمبادرات المدنية والحقوقية في المنطقة لتأسيس نظام رصد وتقييم فعال يهدف إلى الحد من الفساد والمحسوبية والإهمال في المشاريع المتعلقة بالخدمات العامة.
- أما على المدى البعيد، فإن الخدمات العامة الموجودة في المنطقة يجب أن تكون جزءاً من خطة تنموية شاملة مبنية على أساس التكامل بين مختلف المناطق في سوريا وعلى حق الجميع دون استثناء في الحصول على خدمات عامة نوعية وبشكل مستدام.

٣. التعليم والثقافة:

- المحاور السلبية للتعليم والثقافة في المنطقة والتي تؤثر بشكل مباشر على انتشار التطرف العنيف هي:
 - ضعف مستويات التعليم في المنطقة من حيث معدلات الالتحاق ونسبة الحاصلين على تعليم ثانوي وما فوق، منذ فترة ما قبل الأزمة، وخاصة بين النساء.
 - الأثر السلبي الكبير للأزمة على البنية التحتية للتعليم تمثل في الدمار الهائل الذي لحق بالمدارس واستخدامها لأغراض غير تعليمية إضافة إلى الانخفاض الحاد في الكوادر التربوية كماً ونوعاً.
 - تسرب أكثر من نصف الأولاد في عمر التعليم من المدارس واتجاههم إلى مساعدة أهلهم مادياً من خلال الانخراط في سوق العمل بما في ذلك الأنشطة المرتبطة بالنزاع.
 - الانقطاعات الطويلة في العملية التعليمية إضافة إلى التغيير المستمر في المناهج لتتماشى مع رؤى وأهداف السلطات المختلفة التي سيطرت على المنطقة بما فيها تنظيم داعش.
 - تضخم المظاهر السلبية التي ترافق الثقافة والانتماء العشائري بما في ذلك التطرف للعشيرة والاستقطاب وتعزيز الفكر الذكوري وإبعاد المرأة عن أي نشاط ثقافي أو اجتماعي أو اقتصادي.

يستطيع الأفراد والجماعات المتطرفة استغلال المستوى التعليمي الضعيف والتسرب المدرسي والثقافة الذكورية بين أبناء المنطقة في نشر أفكار التطرف العنيف وممارساته بشكل سهل نسبياً لغياب أو ضعف المرونة المعرفية في مواجهة هذه الأفكار، كما يبني هؤلاء الأفراد والجماعات على ما تم تلقيه للأطفال والشباب من تعاليم متشددة أثناء سيطرة تنظيم داعش على المنطقة.

التوصيات:

- الاستمرار بتأهيل المدارس بالتعاون والتنسيق بين المنظمات الدولية والسلطات المحلية وبشكل يأخذ بعين الاعتبار حاجات ومتطلبات التعليم الحديث (تأمين حواسيب وإنترنت..الخ) مما يجعل العملية التعليمية جذابة لأبناء وبنات المنطقة.
- العمل على تطوير المناهج التعليمية بشكل مستمر بالتعاون مع المؤسسات العالمية المختصة بما يعزز قيم الانفتاح والحوار والمشاركة وتقبل الآخر.
- تأمين الدعم المالي والفني من قبل المنظمات الأممية والمجتمع الدولي لبرامج تأهيل وتدريب مكثفة للكوادر التعليمية، ودراسة تقديم حوافز من قبل السلطات للمعلمين (قروض ميسرة، سلع وخدمات مدعومة، رواتب إضافية) لجذب المؤهلين والحفاظ على الكوادر الموجودة.
- تنفيذ برامج تدريب وتعليم مجاني خارج الإطار المدرسي وموجهة للأطفال المتسربين بهدف تعويضهم ما فقدوه من دروس وجذبهم للالتحاق بالمدارس مرة أخرى.
- تقديم حوافز إيجابية وسلبية لأسر المنطقة كي تُلحق أطفالها بالمدارس، ومن الحوافز الإيجابية تقديم قروض ميسرة لمشاريع صغيرة بشرط تسجيل كافة الأطفال بالمدارس وتغطية تكاليف القرطاسية للأطفال، أما السلبية يمكن أن تتضمن مخالفات مالية للأسر غير الملتزمة بتسجيل أطفالها ذكوراً وإناثاً في المدارس.
- تسهيل عمل منظمات ومبادرات المجتمع المدني الثقافية والتعليمية بما يتيح مساحة حوار بين مختلف أبناء المنطقة، مع التركيز على المبادرات التي تقودها النساء وتهدف إلى تمكين المرأة وبالتالي الحد من الثقافة الذكورية السلبية.

٤. البنى والشبكات الاجتماعية:

المحاور السلبية المرتبطة بهذا العامل والتي تؤثر على انتشار التطرف العنيف هي:

- غلبة الأعراف والتقاليد والسلطة العشائرية والقبلية في المنطقة على العلاقات القائمة على المواطنة وسيادة القانون، وذلك في فترة ما قبل الأزمة، مما أعطى الشيوخ والنافذين سلطة واسعة على المنطقة بغض النظر عن مدى عدالة هذه السلطة.
- تدهور كبير في مستويات الثقة والتعاون والمشاركة بين أفراد العشيرة الواحدة خلال فترة الأزمة إضافة إلى الشقاق بين زعمائها، ومن أسباب ذلك سعي كل فاعل من الأطراف المتحاربة للسيطرة على العشائر من خلال التنسيق مع زعمائها.
- فقدان جزء كبير من دور شبكة الحماية الاجتماعية والاقتصادية الذي كانت تلعبه العشيرة بالنسبة لأفرادها وذلك لعدة أسباب منها تدهور الوضع الاقتصادي، وتشتت ولاءات أفراد العشيرة وزعمائها بين القوى المختلفة.
- استغلال البعض لمكانة العشيرة ومواردها البشرية في حماية الأنشطة غير القانونية مثل التهريب بحجة تقديم المنفعة المادية لشريحة واحدة من أبناء العشيرة.

يستثمر التطرف العنيف في تدهور الدور الإيجابي للبنى العشائرية وتراجع قدرتها على تقديم الحماية والوعون لأفرادها وزيادة الشقاق في داخلها بين الزعامات، وتستغل الجماعات المتشددة هذه الاختلالات للوصول إلى أكبر شريحة من أبناء العشائر، وتقدم نفسها كبديل عن البنى التقليدية وكجهة قادرة على تأمين نوع من الحماية الاقتصادية والاجتماعية لأفراد المنطقة مع تعزيز و"تصحيح" انتمائهم الديني.

التوصيات:

- إعطاء مساحة الحرية الكافية لتأسيس مبادرات مدنية تستطيع الحصول على الدعم الفني والمادي من المنظمات الدولية تهدف إلى فتح قنوات الحوار المجتمعي المبني على الأدلة حول قضايا تهم المنطقة بغض النظر عن خلفيات المشاركين العشائرية، الأمر الذي يعزز من العلاقات الاجتماعية العابرة للعشائرية والقبلية.
- تشجيع التعاون بين المجتمع المحلي والقطاع الخاص لتشكيل جمعيات من أفراد تنتمي لمختلف العشائر والأسر تهدف إلى تكوين صندوق مالي دوار تُستخدم عائداته (من رسوم رمزية) من قبل الأسر المشاركة عند الحاجة، مما يساعد على تجديد البنى والشبكات الاجتماعية بشكل تكون قادرة على دعم وحماية أفرادها.
- على المدى البعيد، يجب العمل على استيراثية تنمية تهدف إلى الانتقال من العلاقات الاجتماعية المبنية على الانتماء المناطقي والولاء العشائري إلى العلاقات القائمة على المواطنة واحترام سيادة القانون، إضافة إلى التأسيس لشبكات حماية اجتماعية رسمية ومستدامة (مثل تعويض البطالة، الرواتب التقاعدية، التأمين الصحي) قادرة على حماية الأفراد وضمان مستقبلهم.

إن التوصيات المقترحة لكل عامل من العوامل الاقتصادية-الاجتماعية الخمسة التي تم دراستها تتشابه مع بعضها وتتكامل فيما بينها بدرجة كبيرة، مما يتطلب تبني خطة شاملة تأخذ كافة هذه العوامل بعين الاعتبار لمواجهة التطرف العنيف، وأن تكون هذه الخطة مبنية بشكل تشاركي مع المجتمع المحلي والخبراء والفاعلين المهتمين في المنطقة، كما يجب أن تكون جزء من استراتيجية تتضمن أيضاً الجوانب السياسية والأمنية والحوكومية والنفسية.

- ABADIE, A. 2004. Poverty, Political Freedom, and the Roots of Terrorism. NBER Working Paper Series, 10859.
- ABU-ISMAIL, K., ABDEL-GADIR, A. & EL-LAITHY, H. 2011. Poverty and Inequality in Syria (1997-2007). Background paper for Arab Development Challenges Report, UNDP.
- ALESINA, A., OZLER, S., ROUBINI, N. & SWAGEL, P. 1996. Political Instability and Economic Growth. *Journal of Economic Growth*, 1, 189-211.
- ALLAN, H., GLAZZARD, A., JESPERSON, S., REDDY-TUMU, S. & WINTERBOTHAM, E. 2015. Drivers of Violent Extremism: Hypotheses and Literature Review. Royal United Services Institute.
- BLOMBERG, S. B., HESS, G. D. & WEERAPANA, A. 2004. Economic conditions and terrorism. *European Journal of Political Economy*, 20, 463-478.
- BURKE, R. & MATISEK, J. 2020. The Illogical Logic of American Entanglement in the Middle East. *Journal of Strategic Security*, 13, 1-25.
- CBS 2011. Labor Force Survey. Central Bureau of Statistics - Syria.
- CBS 2014. Multi-dimensional Poverty in Syria (2001-2009). Central Bureau of Statistics in cooperation with Unicef - Syria.
- CHEMONICS 2019. Snapshot of School Management and Effectiveness (SSME) Survey in Deir Ezzor, Syria.
- COLLIER, P. & HOFFLER, A. 2004. Greed and Grievance in Civil War. *Oxford Economic Papers*, 56, 563-595.
- DALGAARD-NIELSEN, A. 2010. Violent Radicalization in Europe: What We Know and What We Do Not Know. *Studies in Conflict & Terrorism*, 33, 797-814.
- DAVIS, P. K. & CRAGIN, K. 2009. Social Science for Counterterrorism. RAND-National Defense Research Institute.
- DUKHAN, H. 2014. Tribes and Tribalism in the Syrian Uprising. *Syria Studies*, the Centre for Syrian Studies at the University of St. Andrews, 6, 1-28.
- EASO 2020. Syria: Security Situation - Country of Origin Information Report. European Asylum Support Office.
- GROPPI, M. 2017. An Empirical Analysis of Causes of Islamist Radicalisation: Italian Case Study. *Perspectives on Terrorism*, 11, 68-76.
- GRYNKEWICH, A. G. 2008. Welfare as warfare: How violent non-state groups use social services to attack the state. *Studies in Conflict & Terrorism*, 31, 350-370.
- GUPTA, D. 2005. Exploring Roots of Terrorism. In: Bjorgo, T. (ed.): *The Root Causes of Terrorism: Myths, Reality and Ways Forward*, Routledge, 16-32.
- KEEFER, P. & LOAYZA, N. 2008. (eds) *Terrorism, Economic Development, and Political Openness*. Cambridge.
- KHAN, J. 2007. The Iraqi Tribal Structure. *Perspectives on Terrorism*, 1.
- MEHCHY, Z. 2020. On the Edge of Starvation: New Alarming Consumer Price Index Estimates for Syria. Conflict Research Programme, LSE.
- MERCY CORPS 2018. Vulnerability and Resilience Assessment Initiative to Counter Violent Extremism. Final

Synthesis Report.

- PUTNAM, R. D. 2000. *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community*, New York, Simon & Schuster.
- SCHMID, A. P. 2012. The Revised Academic Consensus Definition of Terrorism. *Perspectives on Terrorism*, 6.
- SCPR 2017. *Social Degradation: The Conflict Impact on Social Capital*. Syrian Center for Policy Research.
- SCPR 2020. *Justice to Transcend Conflict: Impact of Syrian Conflict Report*. Syrian Center for Policy Research.
- SILVA, S. D. 2017. *Role of Education in the Prevention of Violent Extremism*. A background paper for the joint World Bank-UN report “Can Development Interventions Help Prevent Conflict and Violence?”.
- STERN, J. 2017. *ISIL and the Goal of Organizational Survival*. in Hilary Matfess and Michael Miklaucic, eds. *Beyond Convergence: World Without Order*.
- TURKMANI, R. 2015. *ISIL, JAN and the war economy in Syria*. LSE.
- USAID 2009. *Guide to the Drivers of Violent Extremism*.
- USAID 2011. *The Development Response to Violent Extremism and Insurgency: Putting Principles Into Practice*. USAID Policy, 2.
- VELDHUIS, T. & STAUN, J. 2009. *Islamist Radicalization: A Root Cause Model*. Netherlands Institute of International Relations Clingendael.
- WINTER, D. A., MUHANNA-MATAR, A., SALEM, M. H., MUSBAH, M. & TOHAMY, A. 2017. *The Role of the Sub-National Authorities from the Mediterranean Region in Addressing Radicalisation and Violent Extremism of Young People*. European Committee of the Regions.

مقاربة التنظيمات المتطرفة للهيكل الاجتماعي

حسام جزماتي
مراجعة: د. حيان دخان

عادة ما تنشط الحركات الجهادية في المناطق الريفية البعيدة عن سلطة الدولة. وهذه المناطق في الغالب ذات طبيعة عشائرية مما يؤدي إلى نوع من التفاعل بين الحركات الجهادية والعشائر. تستفيد الحركات الجهادية أحياناً من نقمة المجتمعات العشائرية على السلطة المركزية بسبب سوء توزيع الثروات إذا غالباً ما يكون الوضع الاقتصادي في المناطق الريفية التي تقطنها العشائر متدنياً مقارنة بالمدن الكبرى. هذا يمنح الحركات الجهادية بعض التعاطف من قبل بعض أبناء العشائر. صعود القاعدة في المناطق القبلية في باكستان مثال جيد في هذا السياق، حيث حصل أعضاء تنظيم القاعدة على الحماية من قبائل وزير ومحسود في منطقة وزيرستان القبلية في باكستان. بعد الغزو الأميركي للعراق نشط تنظيم القاعدة في منطقة الأنبار في غرب العراق والتي تعد محافظة ذات تركيب عشائري. حاول تنظيم القاعدة الذي تحول لاحقاً لدولة العراق الإسلامية بناء علاقات مع عدد من قبائل وعشائر الأنبار واستخدامهم في قيادة تمرد مسلح ضد الوجود الأميركي في العراق⁹³.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الهجرة الجهادية المعاكسة عبر الحدود، من العراق إلى سورية بعد اندلاع ثورتها في 2011، عبر "جبهة النصرة" ثم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش). ويعني تحديداً بمنطقة الريف الشرقي لمحافظة دير الزور، الذي كان حاضنة معقولة للتيارات الجهادية، محاولاً تبيان دور البنى الأهلية؛ القبيلة والعشيرة والبنى القرابية التي دونها، في دعم أو عدم دعم نشاط داعش، على الخصوص، في هذه المنطقة، منذ نشأتها وحتى الآن.

عبر فترات متفاوتة للتفكك تعرضت البنية العشائرية في دير الزور، كما في غيرها، للتفكك بسبب عوامل كالهجرة والتعليم والتمدن وسياسات الأنظمة الحاكمة التي تعاقبت على حكم سوريا. ظهر هذا التفكك والانقسام بشكل واضح منذ الثورة وتعمق بسبب تنافس القوى المحلية والاقليمية على محافظة دير الزور ومحاولتهم استخدام الروابط العشائرية لتحقيق أهدافهم. ويمكن القول بأن داعش استغلت هذه الانقسامات العشائرية لخلق وجود لها في محافظة دير الزور. الآن، وبعد هزيمة داعش ووقوع جزء كبير من المحافظة تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية، يمكن القول بأن الانقسامات العشائرية وتنافس الفاعلين فيها لن تسهم في استقرار المحافظة على المدى القريب. كما أن خلايا داعش النائمة وبقايا فلول التنظيم تعتمد على شبكات قرابية أو عشائرية يشيع فيها التدمير ضد قسد بسبب إحساسها بالتهميش في ظل السلطة الحالية، لخلق حالة من التوتر وعدم الاستقرار في محافظة دير الزور وتوسيع الهوة بين أجهزة الحكم والسكان.

.....
:Haian Dukhan and Sinan Hawat, The Islamic State and the Arab Tribes in Eastern Syria, E-International Relations, Dec 31 2014 93

/https://www.e-ir.info/2014/12/31/the-islamic-state-and-the-arab-tribes-in-eastern-syria

تاريخ العشائرية في دير الزور:

اختلف الباحثون في العلوم الاجتماعية على تعريف العشيرة، ولكن هذه الورقة لن تخوض في هذه الجدالات وستعتمد هذا التعريف المبسط لها بوصفها الجماعة التي تنتسب إلى جد واحد، أما القبيلة فهي تجمّع عشائر من جذر واحد أو من أصول مختلفة.⁹⁴ والفخذ بنية قرابية تحت رتبة العشيرة وفوق العائلة.

في كتابه "عشائر الشام" يقول أحمد وصفي زكريا إن العكيدات (العقيدات) جاءوا من نجد إلى وادي الفرات. وقيل إن العكيدات الأصليين هم أعقاب ثلاثة إخوة. كما قيل إنهم عشائر مختلفة المنابت سموا جميعاً بالعكيدات بحكم قسم أقسموه على التعاقد والتناصر.⁹⁵

رئاسة العكيدات في بيت الهفل، لكن القبيلة تتسم منذ زمن بفقدان القيادة الموحدة، وعدم قبول البارزين منها بانفراد آل الهفل بتمثيل القبيلة كلها وحدهم، ولو أنهم يجلبون قدرهم لاتصال نسبهم بمؤسسها الأول. ولا شك أن سكنى القبيلة على ضفتي الفرات، الجزيرة والشامية وفق التعبير المحلي، واتساع المنطقة التي يقطنونها في كلا الطرفين، دور في فقدان القيادة الموحدة واتخاذ كل فرقة "خطة خاصة بها، تتلاءم مع صالحها، ومن ثم نشأ رؤساء مستقلون كل الاستقلال في تصرفاتهم عن بيت الرئاسة الأول".⁹⁶

في دير الزور، تعد العكيدات القبيلة الرئيسية، ومن ضمنها عشائر البوجامل والشويط والشعيطات والبكتر والبوجمال والمشاهدة والبو خابور والكرعان (القرعان) والبو حسن. وتنقسم بعض هذه العشائر من قبيلة العكيدات إلى عشائر فرعية مهمة، تعمل بوصفها عشائر مستقلة لتحقيق مقاصدها وأغراضها وتسيطر في قراها داخل المحافظة. تتضمن عشائر الحسون والبو مرّج والدّميم من البوجمال، والبو عز الدين من البوجامل، والخنفور من الشعيطات، والمشرف من البكتر.⁹⁷

وإضافة إلى قبيلة العكيدات، توجد قبائل أخرى في دير الزور، وأهمها قبائل البقارة (البقارة) والعبيد والكلعين (القلعين) والبو سرايا. ومن هذه القبائل الأخرى، تعد قبيلة البقارة الأكثر تعداداً.⁹⁸ وهي، من الناحية النظرية، أكثر تماسكاً من العكيدات، لكن نفوذ شيخها، نواف راغب البشير، الذي انتقل من صفوف المعارضة ليقاوم مع النظام، يبدو مقيداً بما يستطيع تأمينه من موارد.

إن القبائل الأخرى الأكثر تعداداً في مناطق أخرى من سورية، من مثل محافظة الحسكة، أو في العراق وفي شبه الجزيرة العربية، ولا سيما شمّر وطى والجبور والزبيد والرفاعي والدليم، توجد أيضاً في دير الزور وتقطن في بعض القرى في المحافظة. إن العشيرة التابعة لقبيلة شمّر في دير الزور هي البو ليل، والعشيرة التابعة لقبيلة طي في دير الزور هي البو عيسى، والعشيرة التابعة لقبيلة الجبور في دير الزور هي الجغافية، والعشيرة التابعة لقبيلة الزبيد في دير الزور هي الجحيش، والعشيرة التابعة لقبيلة الرفاعي في دير الزور هي الشيخ عيسى. وهناك قبائل صغيرة أخرى مختلطة بالعموم مع العشائر من القبائل الأكبر.⁹⁹

عبر التاريخ كانت العشائر بنى اجتماعية متماسكة ولكن جذور التصدع بدأت بالظهور في القرن التاسع عشر. ويمكن رد إضعاف البنية القبليّة إلى الإصلاح العثماني الشهير مدحت باشا أثناء ولايته على العراق منذ عام 1869. وخلافاً لأسلافه الذين تراوح تعاملهم مع العشائر بين قطبي الاسترضاء المفرط والقمع الشديد؛ وضع سياسة جديدة هدفت إلى تعديل الأساس التقليدي لسلطة الشيخ عبر ثلاثة محاور؛ يهدف الأولان، وهما التوطين والعثمنة، إلى إضعاف التلاحم بين الشيخ وعشيرته وزيادة اعتماده على الحكومة المركزية، بينما تُستخدم ضده إجراءات تأديبية قاسية، في المحور الثالث، إذا لم يلتزم بالدور المطلوب. ولذلك قرر مدحت باشا أن يُسكن أكثر ما يمكن من العشائر في ديارهم، لأنه أدرك أن التملك والمصلحة الدائمة تدفع رجال العشائر إلى التخلي عن نمط حياتهم، وأنه تمكن السيطرة على العشائر المستقرة بصورة فعالة، وفرض الضريبة عليها وتجنيدها. وبمرور الوقت سيشعر الشيوخ المالكون للأرض بارتباط وثيق بالحكومة.¹⁰⁰

وإذا كانت العقود الأخيرة من حياة الإمبراطورية العثمانية قد تميزت بجهود حكومية تهدف إلى استمالة زعماء العشائر وأبنائهم أو رشوتهم لأداء مهمات عسكرية وأمنية للدولة؛ فإن سلطات الانتداب الفرنسية بين الحربين العالميتين اعتبرت العشائر والعشائرية نوعاً من "التخلف"،

94 عبد الناصر العابد، الجهاديون والقبائل السورية: الهيمنة العابرة والمعضلة المزمّنة، مبادرة الإصلاح العربي، تشرين الثاني 2014، ص 2.

95 أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، جزءان بترقيم واحد، دمشق: دار الفكر، 2، 1983، ص 569-568.

96 المرجع السابق، ص 569.

97 دير الزور: مشروع رسم تفصيلي للعشائر، نيكولاس أهيراس؛ بسام باربندي؛ نضال بيطار، ترجمة مروان زكريا، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 30 كانون الثاني 2018، ص 8.

98 المرجع السابق، ص 8.

99 المرجع السابق، ص 9.

100 جون فريديريك وليمسن، قبيلة شمّر العربية: مكانتها وتأريخها السياسي 1800-1958، ترجمة: مير بصري، لندن: دار الحكمة، 1999، ص 164-161.

وأضفت في الوقت ذاته على تلك الأشكال من الروابط طابعاً شاعرياً وشرقياً بحيث يمكن استخدامها لتحقيق أهدافها الاستعمارية.¹⁰¹

وفي السنوات الأولى من الانتداب، بدءاً من سنة 1920، منحت السياسة الفرنسية البدو وضعاً خاصاً واحتاجت إلى التعاون معهم، لأنه لم يكن في وسعها أولاً ترك ثلثي أراضي الانتداب التي حصلوا عليها مؤخراً (البادية) خارج نطاق سيطرتهم، وكانوا بحاجة إلى ضمان ممر دائم وآمن عبر المنطقة للتجارة والسفر.¹⁰²

قسّم الفرنسيون عشائر سورية إلى بدو رحّل وأشباه رحّل. وحتى عام 1934 كان هذا التمييز يعني أنه يحق لرجال العشائر الرحّل حمل السلاح، دون أن يدخلوا به "المعمورة"، في حين أنه يتعين على شبه الرحّل، رعاة الأغنام، الحصول على رخصة حكومية لحمله، مع إمكان محاكمتهم بموجب قانون الدولة. رفض الكثير من رجال العشائر الانصياع فغادروا البلاد، فيما مُنح المتبقون الراضون تمثيلاً تلقائياً في البرلمان فخصّصت تسعة مقاعد لأقوى العشائر في محاولة لمواجهة الكتلة الوطنية في البرلمان السوري.¹⁰³ قام الفرنسيين بتسجيل مساحات واسعة من الأراضي تحت أسماء شيوخ العشائر في محاولة لكسب ودهم واستخدامهم ضد الوطنيين في البرلمان السوري. هذه التسجيلات خلقت انقساماً عشائرياً بين شيوخ العشائر الذين تحولوا لملك أراضي وبين أبناء العشائر الذين أصبحوا يعملون كفلاحين عند شيوخ العشائر في نموذج يشبه علاقة الاقطاعي بأتباعه. هذه العملية خلقت شرحاً عميقاً في البنية العشائرية خصوصاً فيما يتعلق بعلاقة الشيخ مع أفراد العشيرة.

وبعد الاستقلال عام 1946 حاولت الحكومة السورية الجديدة القضاء على سيطرة شيوخ العشائر الذين اعتبرتهم أدوات بأيدي السلطات الاستعمارية التي غادرت البلاد. وقد ألغي في 1953 قانون العشائر الذي أصدرته سلطات الانتداب الفرنسي واستبدل به قانون عشائر جديد حوّل وزير الداخلية بشطب العشائر من قائمة البدو الرحّل وتصنيفهم كعشائر مستقرة إن رأى ذلك مناسباً، دون السماح بالعودة إلى حياة البدو. كما تقلصت حصة العشائر من البرلمان إلى ستة. وفي 1958 ألغى جمال عبد الناصر، بوصفه رئيس دولة الوحدة التي ضمت سورية، قانون العشائر، معلناً أنه لن تكون لهم هوية قانونية مستقلة.¹⁰⁴

بعد تولي حزب البعث السلطة في سورية، عام 1963، اعتبر قادته العشائرية جزءاً من النظام القديم وأخذ يجرد زعماء البدو من أراضيهم الشاسعة بالتأميم ويوزعها على فلاحين معدمين أو أسر بدوية بقصد توطينها. أدت هذه العملية مع انتشار واسع لسلطة الدولة في المناطق الريفية لاستقرار عدد كبير من القبائل وعملها في الزراعة وبدء انتهاء نمط الحياة البدوي المعتمد على الترحال.

وعندما وصل حافظ الأسد إلى الحكم، بانقلاب بعثي داخلي عام 1970، عمد إلى توسيع قاعدة دعم سلطته، فأصبحت العلاقة مع العشائر أكثر ليناً، وسمح لها بحل نزاعاتها عملياً وفق مبادئ القانون العرفي، في مواصلة لإدارة نظام بديل للسلطة والقوة، ولكن حليف للدولة. وخوفاً من خروج زعماء العشائر عن السيطرة أقام الأسد علاقات مع عدة شيوخ ثانويين في العشيرة تمهيداً لاستخدامهم كبدائل إن اقتضت الحاجة مما أدى إلى المزيد من التفكك في البنية العشائرية. وتطورت علاقات العمل بين الشيوخ الرئيسيين والثانويين من جهة، والأجهزة الرئاسية والحكومية والأمنية والسياسية من جهة أخرى.¹⁰⁵ وحاز عدد منهم عضوية "مجلس الشعب" الذي حل محل البرلمان، ومن موقعهم هذا استطاعوا تحصيل مكاسب شخصية وتعزيز شبكة محسوبيات زبائنية داخل عشائرهم في مواجهة منافسين محتملين على المشيخة والوجاهة، مما كان تهديداً سلطوياً مرفوعاً في وجوههم باستمرار لضمان استمرار ولائهم. وخلال العقود الثلاثة التي حكمها حافظ الأسد، ثم العقد الأول من حكم ابنه بشار، شهدت العشيرة تحولات تدريجية هامة، سُلبت فيها، إلى حد كبير، عوامل قوتها أمام النظام. وتحول شيوخها من قادة اجتماعيين إلى مجرد أتباع مرتفعي الشأن له.¹⁰⁶

101 داود تشاتي، «القبائل والقبلية والهوية السياسية في سورية المعاصرة»، بحث منشور في مجلة «عمران»، بيروت، المجلد الرابع، العدد 15، شتاء 2016، ص 82.

102 المرجع السابق، ص 87.

103 المرجع السابق، ص 88.

104 المرجع السابق، ص 90.

105 المرجع السابق، ص 90-93.

106 زياد عواد، دير الزور بعد داعش: بين الإدارة الذاتية الكردية والنظام السوري، برنامج مسارات الشرق الأوسط للبحوث المتعددة التخصصات، 22 آذار 2018، ص 8.

من الثورة إلى داعش:

تسببت الأوضاع الاجتماعية والسياسية بعد انطلاق الاحتجاجات السورية في 2011، في صعوبات حالت دون فرض كثير من قادة العشائر في دير الزور سلطتهم على الشبان من عشيرتهم. وزاد انشقاق ضباط في الجيش ليصبحوا قادة في المعارضة المسلحة في المحافظة، والتعبئة اللاحقة لشبان العشائر المحلية؛ من زعزعة سلطة قادة العشائر. وفي حين أن الهوية العشائرية بقيت مهمة وأن سكان المحافظة يعترفون بأن انتماءهم العشائري ما يزال مصدراً مهماً لهويتهم، إلا أن سلطة زعماء العشائر في دير الزور تزعزعت كثيراً¹⁰⁷.

منذ عام 2011 اضطرت العشيرة وتعرضت لاختبارات تفوق قدراتها. ففشلت على العموم باتخاذ موقف واحد. ورغم هذا الفشل العام، ظهرت حالات أوحى جزئياً بالوحدة في البداية لعبت القيم العشائرية كالتضامن والنخوة ورابطة القرى دوراً في توحيد صفوف المتظاهرين. ولكن بعد أن تحولت الثورة إلى العمل المسلح بدأت الانقسامات بالظهور.

وبعد سيطرتها على الريف وعلى معظم أحياء مدينة دير الزور في صيف عام 2012 وخريفه، فشلت فصائل الجيش الحر¹⁰⁸ ببناء مؤسسة عسكرية ذات سلطة ردع محلي فعال، رغم انتمائها إلى مظلة عسكرية اسمية جامعة.

في البدء اتسم الحراك المسلح بتواري الشعارات العشائرية على الرغم من بعض التشكيلات والتحركات التي اتخذت أسماء قبلية أولاً، لكنها سرعان ما تحولت إلى مسميات جغرافية أو دينية أو تاريخية. فكمنت العشائرية خلف عناوين جغرافية في أغلب الحالات، كأن يقال تشكيل أحرار القرية الفلانية أو فصيل ثوار بلدة كذا، لكن ذلك يحيل إلى انتماء محدد، فكل عشيرة تسكن في ناحية أو قرية خاصة بها¹⁰⁹. فأصبحت بعض الفصائل ميليشيات عشائرية أو عائلية لحماية حدودها ومصالحها. وأصبحت هذه الفصائل ذات الطابع العشائري تبحث عن مصالحها الخاصة.¹¹⁰ وقامت مجموعات عائلية أو عشائرية بتفجير أنابيب النفط المارة في أراضيها بغاية الضغط على النظام وإجباره على تقديم مكاسب مالية شهرية كانت تدفع تحت اسم "عقود الحماية"، أو تمرير التيار الكهربائي وتسهيل وصول المحروقات، أو إطلاق سراح المعتقلين من أبناء هذه العشائر.¹¹¹

وخلال الربع الأخير من 2012، وبالتزامن مع ظهور الحركات البدائية لتكرير النفط، ظهر نوع جديد من الهجمات على الأنابيب تمثل في قيام عائلات بثقب الأنابيب لسحب كميات من النفط المار فيها إلى حفر كبيرة تُنشأ بجوار الثقوب، وتستعمل كخزانات مكشوفة حتى بيع النفط الخام للتجار المعنيين. وفي 2013 توقف خروج النفط من المحافظة عبر الأنابيب بعدما استكملت المجموعات العشائرية الخالصة، أو المختلطة بتشكيلات فعلية أو اسمية للجيش الحر، سيطرتها جميع حقول وآبار ومنشآت النفط في المحافظة.¹¹²

وقد انطلقت معظم المكونات العشائرية من مصالحها الخاصة في تعاملها مع الثروات النفطية، وبحسب ما يتيح التموضع الجغرافي لها. إذ سعت كل مجموعة عشائرية أو فخذ إلى الاستيلاء على الآبار القريبة من محلات إقامتها في ريف دير الزور، تحت مزاعم وقوع هذه الآبار في أراضيها أو في امتداد هذه الأراضي نحو البراري المفتوحة. ونجحت العشيرة في أن تكون المستفيدة الأولى من النفط، سواء أكانت بصورة كتيبة من الجيش الحر، تتكون من أبناء هذه العشيرة في معظم أفرادها، أم بصورتها المباشرة كأفخاذ وأجزاء من أفخاذ، تتناوب على استثمار البئر وفق تفاهات تقاسم الحصص بينها. وكانت معظم تفاهات المحاصصة العشائرية تلك قلقه وهشة بتأثير المطامع والتنافسات ونزعات الاستحواذ والسيطرة التي أدت إلى صراعات سقط فيها قتلى وجرحى في بعض الحالات.¹¹³

في ظروف من التشطي والعسكرة المحلية، أدت هذه الخلافات، إلى تمهيد الأرض لداعش التي بدت كسلطة مركزية حازمة، وفي الوقت ذاته إلى تمكن داعش من الاستفراد بهذه الفصائل المناطقيّة.

وبدت العشيرة بنية سهلة الاختراق أمام تيارات القوة الوافدة من خارجها، وانكشفت هشاشتها خصوصاً أمام الحركات السلفية الجهادية. ولعبت إحدى الخلايا المؤلفة من بضعة شبان من أبناء عشيرة البوجامل في بلدة الشحيل دوراً خاصاً، حين وفرت خلال أشهر من صيف

107 دير الزور: مشروع رسم تفصيلي للعشائر، مرجع سابق، ص 10.

108 الجيش الحر تسمية عامة للكتائب غير الإسلامية التي قاومت السلطة في سورية بعد 2011، دون أن يكون بينها تنظيم كاف وهرمية واضحة غالباً.

109 عبد الناصر العايد، مرجع سابق، ص 4.

110 نفط دير الزور: من الثورة حتى تنظيم «الدولة الإسلامية»، إصدار خاص عن مجلة عين المدينة، آب 2015، ص 6، حاشية 2.

111 المرجع السابق، ص 6.

112 المرجع السابق، ص 7.

113 المرجع السابق، ص 10.

وخريف العام 2011 ملاذاً آمناً للفريق الذي أرسله أمير "الدولة الإسلامية في العراق" أبو بكر البغدادي، لتأسيس فصيل عسكري جهادي أعلن عنه في كانون الثاني 2012 باسم "جبهة النصر لأهل الشام". وعقب إعلان "الدولة الإسلامية في العراق والشام" في نيسان 2013، رفضت جبهة النصر الاعلان مما أدى إلى بروز تنظيمين جهاديين في دير الزور: جبهة النصر ودولة العراق والشام الإسلامية (داعش). إذ استقطبت داعش الكتلة الأهم من المهاجرين ومن الخبرات الحركية، ما ترك شواغر قيادية احتلها مبايعون محليون كان أبرزهم شباناً من الشحيل. سيتك هذا انطباعاً أن البوچامل نفوذاً خاصاً في جبهة النصر. وكان هذا أحد العوامل المنفرة لعشائر أخرى منها، فكان التهاون أمامها يعني تهواً أمام البوچامل وليس أمام شرع وتنظيم كما كان الخطاب الأيديولوجي لجبهة النصر يقول. وكان هذا أيضاً أحد عوامل الضعف الرئيسية التي استغلتها داعش في تأليب العشائر ضد النصر¹¹⁴. وقد ظهر هذا بوضوح داخل قبيلة العكيدات التي يبلغ عددها نحو 500 ألف نسمة. وقد شاركت في العمل المسلح بكثافة في موطنها في الريف الشرقي لدير الزور.¹¹⁵

نتيجة الشقاق بين جبهة النصر وبين "الدولة الإسلامية في العراق والشام" الوليدة. والذي استقر، في دير الزور، بقي أكثر العناصر المحليين في الجبهة، وانتقل عامر الرفدان، القائد المحلي البارز، إلى "الدولة" ومعه كتلة وازنة من المهاجرين وعشرات من أبناء المحافظة، فضلاً عن محطة الغاز المنزلي التي كان الرفدان يديرها وأصبحت من "ممتلكات" الكيان الوليد.¹¹⁶

في أيلول 2013 توسعت الهيئة الشرعية التي أسستها جبهة النصر مع فصائل أخرى بانضمام فصائل جديدة، وأصبح اسمها "الهيئة الشرعية المركزية"، وأصدرت ميثاقاً جديداً حثت فيه العشائر "العربية المسلمة في حوض الفرات لكي تقوم بدورها التاريخي". وهو غزل لن يثمر كثيراً في محاولاتها السيطرة على نفط المحافظة، وهو أحد أهم الدوافع وراء تشكيلها الجديد.¹¹⁷

ورغم اهتمامها المبكر بشؤون النفط، ومحاولاتها المتكررة إقناع المجموعات المسيطرة على الآبار بتسليمها لها، أو مشاركتها بجزء من الواردات؛ لم تستخدم الهيئة الشرعية المركزية القوة للاستيلاء على آبار النفط إلا بعد احتدام المنافسة بين النصر وتنظيم الدولة في دير الزور، وتنامي المخاوف من سيطرة التنظيم على النفط. وقد وجدت الهيئة الشرعية في السلوكات الطائشة للمجموعات العشائرية المسلحة التي كانت تسيطر على معمل غاز كونيكو ومرفقاته النفطية في منطقة خشام دافعاً معززاً يضاف إلى دوافعها للسيطرة على المعمل. فأصدرت بياناً بهذا الخصوص، في منتصف تشرين الثاني 2013، أعلنت فيه نيتها السيطرة على المعمل وترد "للصوص وسارقي الأموال العامة". وهو الأمر الذي لم يستغرق سوى يوم واحد¹¹⁸. تظهر الرواية التالية كيف استخدم تنظيم داعش الحساسيات العشائرية مع جبهة النصر لتعزيز نفوذه في محافظة دير الزور في بداية نشاطه في المحافظة.

كانت معظم المجموعات المطرودة تنتمي إلى فخذ "العنابزة"، وهو أحد فروع عشيرة البكيّر، المتفرعة بدورها، تفرعاً مستقلاً ومنافساً إلى حد كبير، عن عشيرة البوچامل، إحدى الفروع الرئيسية الثلاثة لقبيلة العكيدات. بينما بقي الجسم الرئيسي للبوچامل يتصرف ككتلة واحدة من معقله الرئيسي في مدينة الشحيل الريفية، التي كانت حاضنة جبهة النصر وإليها ينتمي كثير من قادتها وجزء من مقاتليها. ورغم أن الهيئة الشرعية حاولت مراعاة الحساسيات العشائرية بتأكيد أنها المستهدفة ليس "العنابزة" بل "القلة من عشائر خشام" التي كانت تستأثر بالمعمل؛ إلا أن ذلك لم يقلل من الشعور بالإهانة الذي عم بلدة خشام و"العنابزة" الذين قرأوا ما حدث بصيغة عشائرية بحتة. وهنا جاء دور عامر الرفدان، أمير تنظيم الدولة في دير الزور. وهو ينتمي إلى فخذ "المشرف" المتحدّر من البكيّر كذلك، ويمت بصلة قري إلى "العنابزة"، ويقطن، وفخذه، في قرية جديد عكيدات المجاورة لخشام. فاستغل الاحتقان وصلات القرى ليظهر بمظهر المدافع عن عشيرته من البكيّر في وجه الهيئة الشرعية التي تسيطر عليها جبهة النصر التي يقودها أبناء الشحيل من البوچامل. وهكذا تركّب الصراع بين جبهة النصر وتنظيم الدولة على الشقاق بين هاتين العشيرتين من قبيلة العكيدات.¹¹⁹

أثناء الصراع بين جبهة النصر وتنظيم الدولة تمكنت الجبهة من التقدم إلى معقل عامر الرفدان، وهو قريته جديد عكيدات، وهدمت منزله

114 زياد عواد، مرجع سابق، ص 9.

115 عبد الناصر العايد، مرجع سابق، ص 4.

116 المرجع السابق، ص 12.

117 المرجع السابق، ص 12.

118 المرجع السابق، ص 13.

119 المرجع السابق، ص 14.

ومنازل بعض أفراد عشيرته. لكن بعد الانتصارات التي حققتها داعش في العراق في حزيران 2014 عاد الرفدان بقوة كبيرة باحثاً عن الانتقام¹²⁰. فحاصرت داعش مدينة الشحيل من ثلاث جهات واشتدت المعارك فاضطر المقاتلون داخلها إلى الاستسلام. وفرضت داعش عليها ثلاثة شروط؛ أولها توبة الأهالي، وثانيها تسليم كل أنواع الأسلحة، وثالثها تهجير جميع الأهالي إلى الريف القريب لمدة 10 أيام حتى تشعر داعش بالأمان وتسمح لهم بالعودة. وفي 3 تموز 2014 بدأ تنفيذ الشروط ونزح ما لا يقل عن ثلاثين ألفاً من السكان ونصبوا خياماً في البادية في ظروف غاية في الصعوبة، مع حرارة تجاوزت الـ44 درجة مئوية ونقص في الأغذية والمياه.¹²¹ أدى هذا الهجوم إلى انهيار نفوذ جبهة النصرة في دير الزور التي انسحبت بشكل كامل من محافظة دير الزور مما مهد لداعش للسيطرة الكاملة على أغلب المحافظة باستثناء بعض أحياء مدينة دير الزور ومطار دير الزور العسكري التي بقيت تحت سيطرة داعش.

عندما استتب الأمر لداعش حاولت تلافي الحساسيات العشائرية المتنامية بين عشائر العقيدات فبدلت الرموز العشائرية السابقة، ونقلت عامر الرفدان، مثلاً، إلى مركز قيادة التنظيم في العراق، وأوكلت أمر القيادة المحلية لمقاتلين أجانب¹²² وتقلص نفوذ أبو دجانة الزر وأبناء عمومته في المنطقة.

سعت داعش لإدماج العشائر في نظامها، ولتمييز القادة الأصغر سناً الذين حاربوا إلى جانب التنظيم، أو دعموه، ضد أسر الشيوخ البارزة التي تمثل قاعدة السلطة العشائرية¹²³. وحاولت سلطة داعش إلغاء الهوية العشائرية مع المحافظة ولكنها حرصت على إمكانية الاستفادة من شبكة العلاقات التي توفرها¹²⁴. أما العشيرة فحمت أبناءها المبايعين للتنظيم في أوقات الخطر مرات كثيرة، بدافع من العصبية العشائرية. لكن سرعان ما لفظت تلك الفروع وداعشها الذين حمتهم في وقت سابق، بعد أن أطلق التنظيم العنان لتوحشه واضطهاده للجميع حين أحكم السيطرة على دير الزور، وبعد أن بدد بالتدريج مراكز القوة العشائرية في صفوفه التي نشأت حول شخصيات من مبايعيه المحليين الأوائل، وبعد استفاد قدرة تلك الشخصيات على جلب المزيد من المبايعين¹²⁵.

وهنا يجب أن نشير إلى الرض العميق في ذاكرة داعش من تجربة "الصحوات" في العراق. وهي قوات شبه عسكرية شكّلت تحت إشراف القوات الأمريكية والحكومية العراقية، من أبناء العشائر السنية، لقتال تنظيم القاعدة ودولة العراق الإسلامية¹²⁶ التي ما إن أخذت تستعيد تماسكها حتى أصدرت، في عام 2010 وثيقة أساسية بعنوان "خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية" اعتبرت أن التنظيم تأخر في قتال الصحوات بحجة الحاضنة الاجتماعية، واتهمت فصائل المقاومة الوطنية العراقية بأنها صارت مرتعاً "لتفريخ الصحوات"¹²⁷. أما في سورية فقد جاءت داعش مسكونة بهاجس "الصحوات"، وهذا أحد أهم أسباب قتالها الاستباقي للجيش الحر واغتيالها قياداته قبل أن يشتد عودهم، ثم قتالها لجبهة النصرة. ولعل هذا أحد أسباب وأد فكرة إنشاء صحوات سورية على النمط الذي جرى في العراق.

بالإضافة لاستخدامها للعنف مع العشائر يُلاحظ أن داعش سعت لبناء قاعدة قوتها الخاصة في سورية عبر تقديم حوافز اقتصادية إلى القرى الأفقر، وتوفير الخدمات البلدية في المدن، وإنشاء نظام للقانون والأمن حل محل الصراعات بين العشائر والفصائل التي انتشرت قبل صيف 2014.¹²⁸ وبالتالي يمكن القول أن داعش استخدمت سياسة العصا والجزرة بغرض منع أي محاولة لخلق صحوات بين أبناء العشائر لمقاومتها. من الجدير بالذكر أن القوى الغربية أجرت عدة اجتماعات مع بعض قادة العشائر السوريين في تركيا وسويسرا في عام 2014 بغرض حشد عشائري وخلق قوى مشابهة للصحوات إلا أن التشظي العشائري وفقدان سلطة شيوخ العشائر على أبناء عشائرتهم حال دون حدوث ذلك وهذا ما أدى إلى لجوء الولايات المتحدة والقوى الغربية للاعتماد على حزب العمال الكردستاني ليكون رأس حربة في حربهم ضد داعش في سورية والذي أوكل إليه مهمة تجنيد أبناء العشائر العربية تحت تدريبه وإشرافه فيما سمي لاحقاً قوات سوريا الديمقراطية.

120 عبد الناصر العايد، مرجع سابق، ص 5.

121 تنظيم دولة العراق والشام يهجر مدن وبلدات ريف دير الزور الشرقي، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 8 تموز 2014.

122 عبد الناصر العايد، مرجع سابق، ص 5.

123 دير الزور: مشروع رسم تفصيلي للعشائر، مرجع سابق، ص 12.

124 عبد الناصر العايد، مرجع سابق، ص 5.

125 زياد عواد، مرجع سابق، ص 10.

126 حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، عمان: مؤسسة فريدرش إيبتر، 2015، ص 47 حاشية 50.

127 المرجع السابق، ص 114.

128 دير الزور: مشروع رسم تفصيلي للعشائر، مرجع سابق، ص 11.

تحت سلطة الإدارة الذاتية:

في أيلول 2017 أطلقت قوات سوريا الديمقراطية (قسد) عملية "عاصفة الجزيرة" العسكرية، بدعم من التحالف الدولي ضد داعش، في الجانب الأيسر من الفرات. وانتهت هذه العملية في نيسان 2019 تقريباً. وبالتزامن مع ذلك كانت قوات الحكومة السورية، مدعومة بحلفائها الروس والإيرانيين، تتقدم على جانبه الأيمن. وخلال عمليات القضاء على التنظيم صارت دير الزور الوجهة الرئيسية لمعظم عناصره بعد انسحابهم من الرقة السورية والموصل العراقية.

وفي كانون الأول من 2016 شكّلت قسد مجلس دير الزور العسكري، ولم يتجاوز عدد المنتسبين إليه آنذاك 300 مقاتل، تولى قيادتهم أحمد حامد الخبيل الملقب (أبو خولة)¹²⁹. وفي أيلول 2017 أنشئ مجلس دير الزور المدني، بعد مؤتمر تأسيسي حضرته شخصيات محلية بارزة، مثل زعماء القبائل وقادة المجتمعات المحلية ورجال الأعمال والتكنوقراط كالأطباء والمحامين، وغيرهم. ومنذ ذلك الوقت شهد تغييرات عدة من انتقال وتوسع وإعادة هيكلة مع ازدياد عدد البلدات والقرى المسيطر عليها بعد انسحاب داعش¹³⁰.

ورغم أن الأسماء التي تصدرت المشهد لم تحظ بدعم واسع شعبياً وعشائرياً، وتساعد اتهامها بالفساد¹³¹، لكن سلطاتها أخذت بالتوسع مع تقدم العمليات العسكرية وانتصارها. فضم المجلس العسكري نسبة كبيرة من أبناء عشائر الجانب الأيسر للفرات الواقعة في النطاق الجغرافي لعمليات قسد مقارنة مع الأيمن. كذلك تبدو نسبة أبناء عشائر البكّير والبقارة والشعيطات أكبر من غيرها من عشائر الجانب الأيسر. إذ ساهم انتماء قادة في المجلس إلى البكّير، ومنهم الخبيل الذي يرجع إلى فخذ "الغبصة"، في زيادة أعداد أبناء هذه العشيرة في صفوف المجلس، والحال ذاته لدى البقارة. بينما لعبت النوازع الثأرية لدى الشعيطات ضد تنظيم داعش دورها في حشدتهم في صفوف قسد¹³².

سيطرت الإدارة الذاتية في دير الزور على حقل العمر الذي ينتج الخام الخفيف، وحقل التنك الذي ينتج الخام الخفيف كذلك، والذي يعد ثاني أهم حقل نفطي في دير الزور بعد العمر، وحقل الجفرة، وحقل كونيكو¹³³. لا تعمل هذه الحقول بطاقتها العليا نتيجة ظروف تقنية مختلفة، وبعضها متوقف. تذهب إيرادات النفط للميزانية الاتحادية، وثمة اهتمام محلي كبير بها، وهناك تصورات عامة حول وارداته بأنها أكبر من القدر المكشوف عنه. أدى الوضع الجديد إلى فقدان جهات عشائرية سيطرتها على النفط التي انتقلت إلى سيطرة قسد والتحالف الدولي وداعش. وبالتالي فقدت بعض الشخصيات العشائرية النافذة مصدر تمويل مهم¹³⁴. خلق الوضع الجديد بعض التوتر في دير الزور إذ يرى بعض أبناء عشائر دير الزور أن قسد تستأثر بالموارد النفطية في محافظة دير الزور دون أن تعير اهتماماً كافياً لحاجات المواطنين الأساسية في المحافظة.

من الناحية المدنية للمديرية المحلية قدرة على تصميم مشاريعها وبرامجها على أساس الطلب بالتشاور مع ممثلين أدنى، لكن قدرتها على تنفيذها مرهونة بموافقة الجهات العليا وتمويلها. إذ تعتمد الإدارة المدنية الديمقراطية في دير الزور على مخصصات التمويل التي تتلقاها من الإدارة الذاتية، لكتلتي الرواتب والمشاريع التي تقترحها الأولى وتوافق عليها الثانية¹³⁵. وقد أتاحت الاجتماعات العامة قدرّاً من المشاورات المجتمعية بين الشخصيات القبلية المحلية أو وجهاء المجتمعات المحلية، مما أسهم في تيسير إبلاغ الاحتياجات إلى أصحاب السلطة المعنيين. لكن هذه الاجتماعات تبدو، في معظمها، جهوداً مخصصة للاستجابة لمسألة محددة ولا توفر حيزاً مناسباً لمشاورات شاملة أو نقاش بشأن

129 محمد شامان، على من اعتمدت «قسد» محلياً: نموذجان من دير الزور، مجلة «عين المدينة»، 31 تشرين الأول 2017. <https://2u.pw/aPh0g>

130 نماذج الحوكمة المحلية في سوريا: دراسة مرجعية، الأمم المتحدة: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، 2020، ص 35.

131 باراك بارفي، إدارة شركاء واشنطن الفاسدين في شرق سوريا، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 17 تشرين الأول 2017.

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/adart-shrka-washntn-alfasdyn-fy-shrq-swrya>

132 زياد عواد، مرجع سابق، ص 11.

133 سنان حتاحت، الاقتصاد السياسي للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، 31 كانون الثاني 2020، ص 10.

134 التوتر في ريف دير الزور، IMPACT، ص 2.

135 نماذج الحوكمة المحلية في سوريا، مرجع سابق، ص 39.

السياسات¹³⁶. إذ يركز الوجيهاء على مناقشة المسائل المتعلقة بالخدمات¹³⁷. ويرون أن القضايا الأهم هي في يد شبكة الكوادر (المستشارين الأكراد النافذين) غير الرسمية. فقد تحدث موظف محلي في الإدارة الذاتية فقال: خلال مدة ترؤسي لإحدى المؤسسات الخدمية كنا نعقد اجتماعات دورية ويتم التشديد بشكل مستمر أن لا نتخذ قرارات دون الاستماع للكوادر. وقال آخر: اتخذت قراراً وفق صلاحيتي إلا أن أحد الكوادر عارض القرار وتم تنفيذ ما قرره الكادر¹³⁸.

يشعر عموم السكان بعدم الرضى عن الخدمات القائمة. ففي دراسة أجريت في تشرين الثاني 2020 قال 12% من المجيبين في الريف الشرقي بعدم توافر الكهرباء في مناطقهم، فيما قالت أغلبية من لديهم كهرباء إنهم يحصلون عليها باشتراكهم في المولدات الأهلية بتكاليف مرتفعة¹³⁹. وقال 41% بعدم توافر المياه في مناطقهم، أما الذين عندهم مياه فيحصلون عليها من الشبكة الحكومية، فيما يعتمد النازحون على هذه الشبكة وعلى مياه الصهاريج التي تحوي شوائب¹⁴⁰. وقال 78% في الريف الشرقي بعدم توافر الإنارة في الشوارع والطرق، وحين توجد تقتصر على الشوارع الرئيسية وتحتاج إلى صيانة ولا تتوافر بشكل مستمر ويعتمد تمديدها يعتمد على المحسوبيات والواسطة¹⁴¹. ويتحدثون عن توافر المحروقات على العموم ولكن بأسعار مرتفعة بسبب تهريب النفط ومشتقاته إلى مناطق النظام. كما قالوا إن المدارس موجودة ولكن هناك ضعفاً في تأهيل المعلمين ونقصاً في الكتب. وبين الاستبيان توافر المشافي والمراكز الصحية في الريف الشرقي بنسبة 81%، بدرجة تختلف من قرية إلى أخرى¹⁴². لكن بعض التخصصات غير موجودة، وكذلك بعض الأدوية، وتتسم الخدمات الطبية بالغلاء¹⁴³.

ويعود عدم رضى السكان، حسب قول إحدى الشخصيات، إلى "الفساد الإداري المستشري وإهمال المجال الإنساني وسرقة مخصصات النازحين الإغاثية ومستحقات النازحين والمقيمين من المحروقات المخصصة للتدفئة، إضافة إلى تسلط عدد محدود من الأشخاص على القرار"¹⁴⁴. ولذلك تحفل الصفحات المحلية على وسائل التواصل الاجتماعي بأخبار الاحتجاجات، التي غالباً ما تسلك المناطق فيها سلوكاً يعتمد على وحدتها الجغرافية ويكون محورها طلبات خدمية¹⁴⁵. وتستثنى من هذا حالات قليلة كإضراب المعلمين على شملهم بالتجنيد الإجباري، وللمطالبة برفع رواتب الموظفين ودعم قطاع التعليم، إذ يتم فيها التنسيق بين جميع المناطق¹⁴⁶. وعلى العموم يحظى تجنيد أبناء العشائر بالرفض، في حين يطالب بعض الوجهاء براتب شهري مناسب للمجندين على الأقل بمعدل 100 دولار أميركي، في حين عرض ممثلو الإدارة مدة الخدمة الإلزامية بستة أشهر براتب شهري مقداره 50 ألف ليرة سورية، أي ما يعادل 20 دولاراً¹⁴⁷.

يمكن القول بشكل عام إن القبيلة، في سياق تعاطيها مع قسد، لا تتصرف كجسد متماسك. وهذا يعيدنا لفكرة التشظي والانقسام. مرات نادرة هي التي حاولت فيها القبيلة، العكيدات، التحرك بشكل كامل. وهي مرة تشير إلى أسباب تخلق توتر بين قسد والعشائر في دير الزور، منها اتهام قسد مثلاً بعدم توفير الأمن لشيوخ العشائر من خلايا داعش النائمة. مثلاً عندما جرت محاولة اغتيال الشيخ إبراهيم خليل الهفل، زعيمها الفعلي المكلف من قبل أخيه مصعب، أميرها الرسمي المقيم في قطر. أصيب إبراهيم في المحاولة وقتل الشيخ مطشّر الهفل، أحد أبناء العمومة

136 المرجع السابق، ص 38.

137 المرجع السابق، ص 39.

138 المشاركة المعيبة المشاركة المجتمعية في الإدارة المحلية لشمال شرق سورية - دير الزور نموذجاً، منظمة العدالة من أجل الحياة، 17 شباط 2020، ص 18.

139 واقع الخدمات في دير الزور شمال شرق سورية، منظمة ماري للتنمية، كانون الثاني 2021، ص 7.

140 المرجع السابق، ص 7.

141 المرجع السابق، ص 8.

142 المرجع السابق، ص 23-24.

143 المرجع السابق، ص 25.

144 المشاركة المعيبة، مرجع سابق، ص 12.

145 منشور على صفحة «أخبار الشحيل» على فيسبوك، 31 آب 2020، <https://www.facebook.com/akhbarshahil/posts/309171687087692>.

146 منشور على صفحة «مركز الطيانة الإعلامي» على فيسبوك، 21 شباط 2021، <https://www.facebook.com/atayyana990/posts/642331333185948>.

147 منشور على صفحة «مركز الطيانة الإعلامي» على فيسبوك، 9 تشرين الثاني 2020، <https://www.facebook.com/atayyana990/posts/587482325337516>.

من عائلة المشيخة، في 2 آب 2020. برز بعض التوتر ضد قسد التي اتهمت بالمسؤولية عن الفلتان الأمني في المحافظة. وإثر ذلك اجتمع في منزل الشيخ إبراهيم الهفل في بلدة ذيبان عدد من وجهاء وشيوخ قبائل وعشائر دير الزور بهدف تشكيل لجنة لتمثل المنطقة الواقعة تحت سيطرة قوات التحالف الدولي. ومن مهامها متابعة قضايا الاغتيال التي طالت مؤخراً أبناء المنطقة عموماً وشيوخ من العكيدات والبقارة. ومن أولوياتها كذلك المطالبة بكافة حقوق ومستحقات أهالي المنطقة من توفير للأمن وخدمات عامة وتسخير خيرات المنطقة لتحسين الواقع المعيشي لأهالي دير الزور عموماً¹⁴⁸. وكان الشيخ إبراهيم قد أصدر قبل ذلك بياناً حمل فيه التحالف الدولي مسؤولية ما يجري لأنه يمثل القوة الفاعلة على الأرض. مطالباً بتشكيل لجنة تحقيق في الاغتيال من مختصين يشارك فيها محققون من القبيلة، وكذلك بتسليم "إدارة مناطقنا لأصحابها، على أن يأخذ المكون العربي دوره الكامل"، وبالدفن باتجاه الحل السياسي الذي يضمن حقوق جميع السوريين¹⁴⁹.

وقد أصدرت الولايات المتحدة الأميركية بياناً أدان الهجوم على وجهاء قبيلة العكيدات، وقدمت تعازيها للعشيرة ولعائلة الشيخ مطشر وتمنت الشفاء العاجل للشيخ إبراهيم وتقديم الجناة للعدالة¹⁵⁰. فيما التقى مظلوم عبدي، القائد العام لقوات قسد، بوفد وجهاء عشائريين من المنطقة، مما منع تطور الاحتجاجات العشائرية¹⁵¹.

إن الاعتقاد السائد حول الانسحاب المتوقع للتحالف الدولي والجيش الأميركي، وبالتالي انسحاب قسد من مناطق دير الزور، يضاعف من تعقيد المشكلات ويخلق حالة من القلق والتوتر وانعدام الثقة. وعليه فلا اهتمام جدياً للاستثمار بالعمل معهم. بل إن أطرافاً عشائرية تسعى إلى إقامة تحالفات مبكرة مع النظام وروسيا مبنية على فكرة الانسحاب الأميركي المتوقع، خصوصاً وأن القبيلة الواحدة منقسمة إلى عدة توجهات¹⁵². وهناك دعوات موجهة إلى التحالف الدولي، من وجهاء عشائريين، كي يحلوا محل قسد¹⁵³. وفي المقابل فقد لاحظ باحثون أن مجمل المؤسسات والأجهزة الإدارية والتنفيذية في إدارة شرق الفرات تنصرف على أساس أنها أجهزة تسيير أعمال، لا سلطة تمتاز بالديمومة والقدرة على التنمية وتطوير بنيتها وآليات عملها ونخبها ومؤسساتها. ويرى هؤلاء المراقبون أن مجموع الأجهزة تعتقد، بشكل ما في باطن وعيها، أن تجربتها الحالية مؤقتة وستتم الإطاحة بها¹⁵⁴. ولعل هذا في مناطق ريف دير الزور أوضح من غيرها، إذ تتعثر الإدارة هناك نتيجة حداثة عهدها وقلة الخبرة لدى عدد ملحوظ من طواقمها واضطراب الوضع الأمني بسبب عمليات داعش وعدم القدرة على السيطرة الكاملة على الريف الشرقي، بالمقارنة مع الريف الغربي والرقعة.

148 منشور من صفحة «قبيلة العكيدات - الموقع الرسمي» على فيسبوك، 29 آب 2020، <https://www.facebook.com/Alaqidat/posts/1983164901826170>

149 الشيخ إبراهيم الهفل: العشائر في شرقي الفرات جاهزة لأي سيناريو، موقع «تلفزيون سوريا»، 11 أيلول 2020، <https://cutt.ly/qvHENRt>

150 منشور على صفحة «السفارة الأميركية في دمشق» على فيسبوك، 3 آب 2020،

<https://www.facebook.com/syria.usembassy/posts/10158457283237649>

151 التوتر في ريف دير الزور، مرجع سابق، ص 3.

152 التوتر في ريف دير الزور، مرجع سابق، ص 1.

153 المرجع السابق، ص 2.

154 مقدمة حول مسار الحوكمة في منطقة شرق الفرات، EastWest INSITUTE؛ IMPACT، شباط 2020، ص 7.

النشاط المستمر لداعش في دير الزور:

حتى بعد هزيمة داعش في الباغوز يمكن القول إن خلايا تنظيم داعش لا تزال نشيطة ضمن المجتمعات العشائرية، وهي تحاول بشكل مستمر خلق حالة من عدم الاستقرار والفوضى وخلق هوة بين أبناء العشائر وقسد. تحت داعش السكان على التوبة من العمل مع مؤسسات الإدارة الذاتية أو التطوع في قوات قسد، لتوسيع الهوة التي تفصلهم عن سلطة الحكم القائم. ويُستخدم مفهوم الاستتابة الديني كوسيلة تعبئة أيديولوجية وسياسية لحرف الولاءات المحلية لصالح التنظيم. وحتى بداية صيف 2019 كانت ممارسات الاستتابة تتم بحذر، فقد كان المستهدفون يُدعون فرادى غالباً للقاء أحد نشطاء التنظيم، أو يتوبون في الجوامع المحلية وقت صلاة الجمعة. وفي تموز 2019 اتسع نطاق ممارسة الاستتابة لتصبح ممارسة جماعية. ففي قرية أبو حردوب في شرق دير الزور، نُشرت قائمة بأسماء موظفي القرية مرفقة بدعوة لهم إلى التوبة العلنية وعدم العمل في المؤسسات المحلية. أدى ذلك إلى انهيار مؤسسات الإدارة الذاتية، إذ لم يتابع العمل فيها إلا بعض المعلمين في المدارس. لكن مثال أبو حردوب لم يتكرر، إذ أصبح التنظيم يفضل، كما يبدو، سياسة اختراق المؤسسات والتدخل في عملها. ويتضح ذلك منذ أيلول 2019 من تزايد اعتقال أشخاص يشغلون مناصب مهمة في الإدارة ويحافظون في الوقت نفسه على علاقات مع داعش. على سبيل المثال، تم توقيف رئيس المجلس المحلي لقرية سويدان جزيرة بتهمة جباية الأموال لصالح داعش. كذلك هدد التنظيم معظم مسؤولي الإدارة الذاتية، واستهدف عدداً منهم بالفعل، ما وضع أولئك الذين لم تطلبهم يد التنظيم في دائرة الشك بالتواطؤ معه. اتسعت دائرة الشبهات حتى امتنع مخبرون سابقون عن التعاون مع الأجهزة الأمنية لخشيتهم من تعاون من يتواصلون معهم مع داعش¹⁵⁵.

بالإضافة إلى التوصل إلى تسويات غير معلنة مع وجهاء وقادة محليين. يتمثل الهدف الرئيسي من سياسات داعش على حيازة الموارد بفرض الإتاوات. حيث يُستهدف مشغلو القطاع النفطي في القسم الشرقي الصحراوي من دير الزور بشكل خاص، إذ يدفع بعضهم للتنظيم عشرات آلاف الدولارات شهرياً. كما يفرض التنظيم الإتاوات على المهريين والعبّارات في الفرات ومسؤولي الإدارة الذاتية. ويواجه المتخلفون عن الدفع التهديدات، ويعاقبون بهجمات وقنابل صوتية على منازلهم. وعلاوة على ذلك، ترمي جهود التنظيم إلى إضعاف المنظومة الأمنية التابعة للإدارة الذاتية، ما يدفعها إلى التصرف كقوة احتلال تنفذ مدهامات وعمليات أمنية متكررة ضاغطة. بعبارة أخرى، لا يسعى التنظيم الآن إلى انهيار المؤسسات أو استعادة السيطرة على الأراضي، بقدر ما يسعى إلى خلق بيئة ملائمة لجمع الموارد المالية¹⁵⁶.

ورغم سرية عمل التنظيم إلا أنه بالإمكان رصد خطط عمله الحالية عبر مستويات أربعة من المصادر؛ أولها حوار أجرته صحيفته الرسمية "النبا" مع من أسمته "الشيخ أبو منصور الأنصاري" ووصفته بأنه "أمير المفارز الأمنية بالخير بولاية الشام"، أي المنطقة المعنية ببحثنا من دير الزور وفق تسمية التنظيم، وثانيها مقابلات فريدة غير منشورة سابقاً أجراها أحد الباحثين مع أشخاص مطلعين ومقربين من التنظيم في ريف دير الزور الشرقي، وثالثها تحليل لاعترافات شبكة من المتورطين في عمليات اغتيال وتفجير، بثها جهاز الأمن العام في إقليم دير الزور، ورابعها رصد أنواع متكررة من عملياته العسكرية ضد أهداف متشابهة.

ومن مجمل هذه المصادر تمكنا ملاحظة ان داعش تستثمر في سخط السكان على الإدارة، ومن حالة البطالة وضعف الموارد الشخصية، وأن خلاياها قد تعتمد على شبكات قرابية أو عشائرية أو مناطقية حيث يشيع التدمير أكثر من سواها بسبب إحساسها بالتهميش من قبل مجموعات بشرية قريبة من قسد أو كثيفة الانخراط فيها.

155 باتريك هابني وأرتور كويسناي، النجاة بعد اختفاء الدولة الإسلامية: استراتيجية صمود الحركة الكردية السورية، مشروع «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا»، 17 شباط 2020، ص 15.

156 المرجع السابق، ص 16.

كيف ترى داعش العلاقة بين أبناء العشائر في دير الزور والادارة الذاتية؟:

في عددها الصادر في 19 تشرين الثاني 2020 نشرت صحيفة "النبا"، التي تصدر عن "ديوان الإعلام المركزي" في داعش، حواراً هاماً مع من أسمته "الشيخ أبو منصور الأنصاري"، بمعنى أنه سوري وفق تعبيرات التنظيم، ووصفته بأنه "أمير المفارز الأمنية بالخير". وقد تضمن الحوار أسئلة مركزية حول المنطقة موضوع البحث، ومقارنة الأجوبة مع مجمل المعطيات الأخرى والروايات المحلية يمكن الجزم بدقتها في التعبير عن رؤية داعش للمنطقة وعملها فيها.

في السؤال الأول عن حال المنطقة في ظل سيطرة "مرتدي PKK عليها"، وفق تعبير الصحيفة، يجيب الأنصاري أن حالها "يرث له من جميع النواحي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالدين قد ضاع بفرض المرتدين لأحكامهم الجاهلية عليها، وسعيهم الحثيث لإفساد عقائد الناس وإدخالهم في دين الإلحاد الذي يدينون به، وذلك عن طريق الإعلام والتعليم وغيرها من الوسائل... ومن يقارن حالها بما كانت عليه حين سيطرة جنود الدولة الإسلامية عليها يصيبه العجب من تغير حالها بسرعة"¹⁵⁷. وبالتالي يمكن القول بأذن داعش لا تزال تحاول استخدام اداتها الاعلامية لتشويه صورة قسد والاستفادة من حالة التوتر والاحتقان ضمن أبناء المجتمع المحلي لتظهر بأن الوضع الحالي أسوأ من ما كان عليه تحت سيطرة داعش.

وعن طبيعة العلاقة بين السكان وسلطات قسد يقول: "العلاقة بين الطرفين لا تسودها المودة، كما ظهر للناس من خلال الاحتجاجات الأخيرة التي شهدتها المنطقة". أما نظرة داعش إلى الأهالي فهو يبين أنهم قسمن؛ "فمنهم المسلمون الذين يتعبدون الله تعالى ببغض الصليبيين والمرتدين وبغض حكمهم الكفري"، ومنهم "المرتدون الذين باعوا دينهم من أجل دنياهم، فلما وجدوا أنهم لم ينالوا من دنيا الملاحدة والصليبيين شيئاً نقموا عليهم"، لأن المكاسب كانت من نصيب "قلة قليلة من كبار العملاء والجواسيس الذين جعلهم الملاحدة واجهة لحكمهم"، أما عموم المنتوعين في قوات قسد أو موظفي الإدارة الذاتية المحليين فهم "عبيد أذلاء ليس لهم إلا الفتات". وبهذا يرى التنظيم أن معظم السكان ناقمون على السلطة القائمة، إما لأسباب مبدئية أو لاستئثارها بالمال. ودوره أن يسعى "لزيادة العداوة الموجهة ضد الصليبيين والملاحدة بشتى الوسائل، عن طريق إرهاب أولياء الملاحدة، وقتل من يعينونهم في المجالس المحلية على خداع الأهالي وتسكين العداوة معهم"¹⁵⁸.

وعن تغير وتيرة أعمال التنظيم ارتفاعاً وانخفاضاً، وبين مكان وآخر، وبخلاف الشائع يقول الأنصاري إن "المجاهدين" يعملون "في ظروف صعبة للغاية، فالمرتدون متمكنون من الأرض، وقد نشروا فيها أعداداً كبيرة من عناصرهم في المنطقة... كما أعانهم على ذلك الكثير من المرتدين الذين صاروا لهم عيوناً وجواسيس... والصليبيون يسيطرون على الأجواء من خلال طيران الاستطلاع الذي يراقب المنطقة، والمروحيات والمقاتلات التي تقدم الغطاء الجوي للتحركات الأرضية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم"¹⁵⁹.

ولذلك فإن الحملات في المنطقة تكاد لا تتوقف، في سعي "لرصد المجاهدين وتعقبهم بالقتل أو الأسر من أجل إيقاف جهادهم"، أو، على الأقل "جعلهم في موقف مطاردة يعيق تفرغهم للتخطيط لعمليات هجومية". ولذلك "يقرون أحياناً تنشيط العمل في مكان ما أو على نوع معين من الأهداف لأسباب يرونها، ويرون في أوقات أخرى تجميد العمل في منطقة ما لفترة". لكنهم لا يلبثون "أن يستعيدوا نشاطهم بعد كل حملة ويعودون لاستهداف المرتدين وإلزامهم بحالة الدفاع لفترة من الزمن"، حتى تضطر "قيادة المرتدين لحشد قوات كبيرة من مختلف المناطق للقيام بحملة على المجاهدين برفقة الجيش الأمريكي الصليبي وطيرانه الكثيف، فيتجنب الإخوة الصدام معهم، ثم تعود الأمور لسالف عهدها بعد حين"¹⁶⁰. ورغم ذلك يزعم الأنصاري أن نتائج الحملات لم تؤثر على قوة التنظيم وتُصب عناصره. فالمعتقلون بنتيجتها، حسب قوله، هم من السكان الأبرياء أو حتى من عناصر استخبارات الإدارة والموالين لها. وذلك لأن "المجاهدين" ينسحبون من المنطقة ويتحاشون الصدام لأنه "ليس في صالحنا"، خاصة وأن التنظيم يشعر أن زمام المبادرة في يده، فهو من يقرر "متى نشعل منطقة ما تحت أقدامهم ناراً، ومتى ننقل النار إلى منطقة أخرى يحسبون أنفسهم آمنين فيها فنقض مضاجعهم، ونحن من نحدد الوقت المناسب لعملياتنا وأسلوب القتال ضدهم". وهذا كله خاضع "لتقديرات الإخوة من أمراء المجاهدين"، في تأكيد على اللامركزية¹⁶¹.

تظهر المقابلة بشكل عام أن نشاط داعش ضمن المجتمعات المحلية بالعمل بشكل سري أو خفي لا يزال مستمراً والهدف منه خلق حالة من عدم الاستقرار بشكل عام ومحاولة تأليب المجتمعات المحلية ضد حكم الإدارة الذاتية.

157 حوار مع الشيخ أبو منصور الأنصاري حفظه الله؛ أمير المفارز الأمنية بالخير بولاية الشام، صحيفة «النبا»، العدد 261، 4 ربيع الثاني 1442 هـ ص 10.

158 المرجع السابق، ص 10.

159 المرجع السابق، ص 10-11.

160 المرجع السابق، ص 11.

161 المرجع السابق، ص 11.

نشاط التنظيم ضمن المجتمع المحلي:

تظهر المعلومات المدونة أدناه، والمأخوذة من شهادات مصادر محلية مقربة من التنظيم، أن نشاط داعش المادي لا يزال مرتبطاً بشكل وثيق بالمجتمع المحلي. إذ أن مصادره المالية الرئيسية تأتي من عمليات الجباية من أبناء هذا المجتمع وفرض الإتاوات على تجار النفط. يعد هذا النشاط المادي من العوامل المؤدية إلى استمرار نشاط التنظيم المزعزع للاستقرار ضمن عشائر دير الزور.

لقد بدأ التنظيم بالتحضير لهذه المرحلة منذ اتضح له أن دولته آيلة إلى السقوط، فخرج عدد من أمرائه إلى مناطق سيطرة قسد وإلى البداية تحضيراً للعمل الأمني القادم. أغلب قيادات العمل في ريف دير الزور الشرقي عراقيون. ويقطن معظم القادة في الشامية. هناك عبور متواتر بين الشامية والجزيرة، رغم أن عمل الضفة الشامية ضد النظام منفصل عن عمل الضفة الجزيرة ضد قسد. وهناك عبور أقل من الحدود مع العراق.

الهاجس الأكبر لدى التنظيم هو اعتقال القادة، فالعناصر والخلايا أقل أهمية بكثير، ولذلك هناك عدد كبير من القادة نائمون أو يكتفون بتقديم المشورة والنصيحة. معظم العناصر العاملة الآن جديدة تم تجنيدها عبر عناصر قديمة في التنظيم. وليس من الضروري أن يكون العنصر القديم مقيماً في المنطقة، فأحياناً يكون في الشمال ويشبك بين شخصين في المنطقة عبر وسائل التواصل. لا توجد استراتيجية لعمل التنظيم سوى القتال حتى "يقوم الدين"، لكن الأولوية الآن للقتال من يؤذيهم، وخاصة "الرصاد" (الاستخبارات والمخبرين). وبحسب تعبير نقله حرفياً: "قتل الراصد الذي يعمل لصالح قسد أهم من قتل مظلوم عبدي".

يقتمر التنظيم الآن، من بنيته الإدارية السابقة، على: الركاك (النفط) والأمن والشرعيين والزكاة. هناك خشية كبيرة من الاختراق، ولا سيما من العناصر التي يتم تجنيدهم حديثاً، ولذلك تكثرت التحقيقات الداخلية التي تؤدي أحياناً إلى إصدار أحكام بالإعدام أو عمليات اغتيال ربما طالت بعض الأمراء للاشتباه. كما يعيق الخوف من الاختراق العمل. هناك اختراق متبادل لكن العملاء المزدوجون قلة وأعمارهم قصيرة.

ضغط قسد الأمني هائل. والتنظيم يتشردم نتيجة هذا الضغط الذي يقطع التواصل بين الأمراء المركزيين وقادة الصف الثاني. وضع التنظيم المادي سيئ جداً. وهو يقوم بالجباية لتلبية احتياجاته الضخمة، فهو يتكفل بمقاتليه السجناء وبعائلاتهم وينفق أموالاً طائلة في محاولة لإخراج معتقليه. كما أنه يستغل هذه المنطقة من دير الزور لتمويل مناطق أخرى كالشامية. وأكثر ما يحصله التنظيم مالياً يأتي من تجار النفط، لكن مدخول النفط يتراجع باستمرار. وهناك ركاك يُجبي عبر "الأمن الاقتصادي" الذي له خلاياه المستقلة عن الخلايا العسكرية.

ما زال التنظيم يعتمد التواصل الورقي والأختام. ولتحريك الأموال يتعامل مع مكاتب تحويل. تقوم بعض خلاياه بجباية الزكاة لصالحها الخاص، كما تحصل حالات سرقة بهروب المسؤول عن كتلة مالية أحياناً. من يشك من الناس أن الذين حاولوا تحصيل المال منه ليسوا من التنظيم يتواصل مع عناصر منه ويبلغهم بما حصل معه، وهكذا تصبح المعلومات والرقم عندهم فيعاقبون الدواعش المزيفين بالقتل.

هناك فوضى بسبب اللامركزية المفرطة، مثل أن تقتل مجموعة شخصاً كان قد حصل من مجموعة أخرى على اتفاق يسمح له باستمرار العمل مع قسد، أو مثل وجود مجموعة عاملة في منطقة دون علم أمير القاطع. لكنهم يرون أن هذا نتيجة طبيعية لصلاحيات كل أمير وظروف العمل والضغط الأمني. السبب الرئيسي في استمرار عمليات التنظيم حتى الآن، رغم التخطيط الهائل داخله، هو خشية الناس منه وعدم تعاطفهم مع السلطات القائمة. يعرف عناصر التنظيم أن خوف الناس عامل أساسي جداً، فلذلك لو لاحظوا معالم جرأة عليهم في منطقة ما يستमितون لتنفيذ عملية فيها بهدف استعادة الهيبة¹⁶².

162 مقابلات شخصية غير منشورة أجراها الباحث أحمد مهدي مع ثلاثة أشخاص مقربين من داعش في ريف دير الزور الشرقي بين نيسان وحزيران 2021.

تحليل شبكة للتنظيم:

للأسف، تغيب نتائج التحقيقات التي تجريها القوات الأمنية المرتبطة بالإدارة الذاتية مع المعتقلين من خلايا التنظيم، وكذلك نظيرتها التي يجريها التحالف الدولي، مما يخلّف ثغرة يصعب ملؤها في تصور المشهد. ولتعويض ذلك بشكل جزئي قمنا بتحليل المعطيات الواردة في شريط اعترافات مدته ربع ساعة، بثه جهاز الأمن العام في إقليم دير الزور¹⁶³، وظهر فيه ثلاثة شبان.

الملاحظة الأولى، في سياق بحثنا، هي أن الثلاثة ينتسبون إلى عشائر مختلفة ولا تشتهر بارتباطها بالتنظيم. فالأول؛ بشار أحمد عبد الوهاب، من عشيرة البوعواد في مدينة القورية. والثاني؛ شادي سالم الحسين، من عشيرة الججاج في ذبيان. وقد بايعت أعداد كبيرة من هاتين العشيرتين تنظيم داعش أثناء سيطرته. أما الثالث؛ ياسر محمد الركاظ، فمن عشيرة الكرعان في القورية أيضاً. وباستعراض الأسماء التي يذكرونها في اعترافاتهم، وهي تتجاوز العشرين شخصاً تتراوح مكانتهم التنظيمية بين أمير قاطع ومنتزعم خلية وعنصر عادي، وفي حدود المعلومات القليلة المتاحة في التسجيل؛ لعبت علاقات أبناء العمومة دورها في التجنيد مرة واحدة، وكذلك القرابة غير المحددة بوضوح مرة، والانتماء إلى المنطقة الجغرافية ذاتها مرة واحدة على الأقل.

ومن جهة أخرى فقد اعترف اثنان من الشبان الثلاثة أنهم بايعوا التنظيم إبان سيطرته على محافظة دير الزور، وهربوا حين انهيارها وتنقلوا في بلدات وقرى عديدة كنازحين عاديين دون خلفية، حتى أعادت بعض العلاقات القديمة ربطهم بخلايا العمليات السرية التي تراوحت، حسبما ورد في الاعترافات، بين استهداف سيارة لقوات قسد أو أحد حواجزها أو اغتيال مجند في صفوفها أو منتم لجهاز الاستخبارات أو قوات الأسايش، أو زرع عبوة داخل مجلس مدني. بالإضافة إلى قتل عسكريين اثنين من قوات النظام كانا في إجازة لدى ذويهما في المنطقة، وقتل امرأة لأنه «تمارس السحر»، وهو ما يدخل فيه التصوف والرقى مما يكفره التنظيم.

لكن اللافت هو قيام إحدى المجموعات، بأمرٍ من قائد أعلى منها، بقتل عنصرين من التنظيم لأنهما كانا يجيبان المال لأنفسهما بحجة جمع الزكاة المفروض تسديدها «للدولة». ثم تعرّض أمير المجموعة التي قامت بالاغتيال هذه للتهديد من قائد أشرس اتهمه أيضاً بجباية الأموال باسم التنظيم، متوعداً إياه بالقتل. ونتيجة السمعة التي حصلها مُطلق التهديد من أنه لا يتحدث من فراغ، ومن قتله أمير مجموعة سابقة من داعش، فقد اضطرَّ من هُدّد إلى الفرار. مما يدل على مدى التخبط والصراعات الداخلية.

من الناحية المادية لا يبدو أن لدى التنظيم وفرة تتيح له تجهيز خلاياه بأكثر من الدراجات النارية والبنادق والعبوات، بكميات لا تبدو وفيرة، بانتظار ما قد يغنموه بقتل بعض عناصر قوات قسد والاستيلاء على أسلحتهم. ومن استعراض العمليات المذكورة في الاعترافات، وعددها يقرب العشرين كذلك، يتضح ان بعضها يحدث بعد تحديد الهدف ودراسته ورصده، وبعضها الآخر يحصل بما يشبه الصدفة، حين يلاحظ المنفذون إمكانية استهداف سيارة عسكرية منفردة أو عنصر في السوق. كما يبدو من تركيز عملياتهم في الريف الغربي لدير الزور بعد التشديد الأمني في ريفها الشرقي. وأخيراً نلاحظ أن تكرار العمليات في منطقة معينة لا يحيل بالضرورة إلى أنها حاضنة للتنظيم، أو أن المنفذين يقيمون فيها أصلاً، بقدر ما يحيل إلى سهولة التنفيذ فيها والفرار إثر ذلك. ومن عدد التنقلات السكنية التي ترد في الاعترافات يصعب تحديد بيئة حاضنة سوى البادية التي تتيح للخلايا الخروج إليها والاجتماع للتخطيط ثم العودة إلى مساكنهم أو للتنفيذ. وأخيراً، يبدو أن أعمار أمراء الخلايا هي أوائل العشرينات، وهي حال الشبان الثلاثة في الاعترافات. ويمكن توقع أن أعمار عناصرها المنظمين حديثاً أصغر قليلاً، بينما ترتفع أعمار الطبقة الأعلى من أمراء القواطع.

163 فيديو منشور على صفحة «عاصفة الجزيرة QSD» على فيسبوك، 18 تموز 2021.

https://www.facebook.com/jazirastormcampaign/videos/436213444801158 وقد رَجَّح مراقبون محلليون مطلعون صحة المعلومات الواردة فيه.

عمليات داعش المستمرة ضد المتعاونين والعاملين مع الإدارة الذاتية:

ظن البعض أن تنظيم داعش فقد قدرته على تنفيذ أي هجمات ضد قسد بعد انتهاء العمليات العسكرية في الباغوز. تظهر الأرقام والاحصاءات الواردة في هذا القسم أن داعش لا تزال تقود ما تمكن تسميته تمرداً خفياً ضد قسد تحاول من خلاله ترهيب السكان المحليين ومنعهم من العمل ضمن الإدارة الذاتية.

يروى العدد 175 من صحيفة "النبا"، الصادر في 28 آذار 2019، عملية نموذجية يفضلها التنظيم. وهي خطف وذبح عقاب حامد العلي (20 عاماً، من بلدة صبيخان)، المقاتل السابق في التنظيم والحالي في قسد. ومع صورة مدمّاة تقول الصحيفة إن العلي عاش "في ظل الخلافة خلال سنوات التمكين"، وخضع لدورات شرعية، وانخرط لمدة 6 أشهر في صفوف "الدولة"، ثم تركها عندما "اشتد البلاء" عليها والتحق بصفوف "الPKK المرتدين". تفاخر مرات عديدة بالوقوف على جثث "الشهداء" منها، موثقاً ذلك بالصور، واعتدى على من اعتقل منهم. حتى جاء "وقت القصاص" فخطفته سرية من جنود "الدولة"، رغم استطاعتها اغتياله، لكنها فضّلت أسرته وتصويره وذبحه "ليكون عبرة لغيره". وحذر المصدر الذي تنقل عنه الصحيفة الخبر عناصر قسد من مصير مشابه، مؤكداً أن "جنود الخلافة يرصدون العديد من المرتدين ويُعدّون القوائم بأسماء المستهدفين"¹⁶⁴.

وفي عملية متكررة أخرى نقل العدد 203 من صحيفة "النبا"، الصادر في 10 تشرين الأول 2019، من حصيلة الأسبوع الفائت استهداف منزل المختار رشيد الحسين في بلدة السوسة، بريف دير الزور الشرقي، بقنابل يدوية وبإطلاق الرصاص، مما أدى إلى حرق سيارته وأضرار مادية في المنزل. وبعد أيام أدى استهداف المختار محمود المزيوز بالرشاشات إلى مقتله أثناء خروجه من صالة إنترنت في مدينة البصرة¹⁶⁵. وفي العدد 185، الصادر في 6 تموز 2019، ظهرت حصيلة عمليات ولايات "الدولة" تحت اسم "غزوة الاستنزاف"¹⁶⁶. وهو ما سنتنّز له مقالة لاحقة بعنوان "الاستنفار المجهد هدف للمجاهدين أيضاً"¹⁶⁷. وعن قتل من يتهمهم التنظيم بأنهم "جواسيس للPKK" ينقل العدد 226 من "النبا"، الصادر في 19 آذار 2020، أن "جنود الخلافة" في "الخير" (دير الزور) أسروا "جاسوساً" في بلدة الطحيكي، يدعى سليمان ناصر. وبعد التحقيق معه قتلوه بطلقات مسدس بعدما ثبت لديهم أنه "تورط سابقاً بتسليم مسلمين إلى الPKK". وبعد أيام أسروا "جاسوساً" ثانياً في بلدة الحوايج، يدعى محمد عليوي الدغيم، وقتلوه بالطريقة نفسها. وفي اليوم التالي أسروا ثالثاً في بلدة درنج، يدعى محمود الحويجة، وقتلوه وأحرقوا آليته بالتهمة السابقة ذاتها¹⁶⁸.

وفي إطار "الحرب الاقتصادية" قالت "النبا" أن "المجاهدين" فجروا، في 27 حزيران 2020، "عبوة ناسفة على صهريج ينقل النفط للنظام النصيري، تعود ملكيته للمرتد "القاطرجي" على طريق حقل العمر بمنطقة البصرة، ما أدى لإعطابه"¹⁶⁹. وقال العدد 247، الصادر في 13 آب 2020، إن الأسبوع الفائت شهد تصاعداً ملموساً في العمليات، فقد "أوقع المجاهدون نحو 36 قتيلاً وجريحاً من الPKK بينهم أحد رؤوس الردة ومحقق وسجان". وربما كان المقصود شعبان المعاط، الذي شغل منصب "قائد فوج" في قسد في بلدة هجين، وقتل بسلاح كاتم للصوت¹⁷⁰. فيما يرصد العدد 250، الصادر في 3 أيلول 2020، أن "جنود الخلافة" داهموا قريتي درنج وسويدان ودخلوا منازل عدد من المطلوبين لديهم وقتلوا أحدهم بالرصاص، ثم جمعوا "عوام المسلمين في المنطقة وقاموا بتذكيرهم بالله تعالى، وواجههم تجاه نصرته دينهم وإخوانهم"¹⁷¹. أما مركز جسور للدراسات فقد أصدر ثلاثة تقارير رصدت عمليات الحركات المتشددة. ووفق التقرير الأول فإنه بين 65 عملية نفذها التنظيم

164 أسروه وذبحوه.. عقاباً على رده عن الدين وحربه للمسلمين ليكون عبرة لإخوانه من المرتدين، صحيفة «النبا»، العدد 175، 21 رجب 1440 هـ ص 4.

165 قتلوا مختار قرية واستهدفوا منزل آخر بالأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية؛ جنود الخلافة يدمرون آليتين رباعيتي الدفع للجيش النصيري ويعطون ثلاثة للPKK ويقتلون ويصيرون من كان على متنها، صحيفة «النبا»، العدد 203، 11 صفر 1441 هـ ص 6.

166 غزوة الاستنزاف، صحيفة «النبا»، العدد 185، 3 شوال 1440 هـ ص 12.

167 صحيفة «النبا»، العدد 213، 22 ربيع الثاني 1441 هـ ص 10.

168 أسر 3 جواسيس وقتل عنصر من الPKK وإحراق آليتين وتفجير منزل (قيادي) بعمليات أمنية في الخير، صحيفة «النبا»، العدد 226، 24 رجب 1441 هـ ص 7.

169 9 قتلى وجرحى من الPKK وإعطاب آلية لهم وصهريج ل(القاطرجي) بتفجير وهجمات مسلحة في الخير، صحيفة «النبا»، العدد 241، 11 ذي القعدة 1441 هـ ص 7.

170 اغتيال قائد فوج من الPKK وإعطاب آليتين لهم بعمليات في الخير، صحيفة «النبا»، العدد 247، 23 ذي الحجة 1441 هـ ص 7.

171 بينهم (مختار).. 6 قتلى وجرحى من الPKK وإعطاب آليتين لهم بهجمات جديدة في الخير، صحيفة «النبا»، العدد 250، 15 محرم 1442 هـ ص 10.

في سورية في كانون الثاني 2020 كانت 49 في محافظة دير الزور¹⁷²، وخاصة في ريفها الشرقي¹⁷³. وأكثر الأساليب المتبعة هي العبوات الناسفة، ثم الهجوم والاستهداف المباشر، ثم الاغتيالات¹⁷⁴. ويلاحظ أن استهداف قوات قسد يحل في الدرجة الأولى لعمليات التنظيم في سورية. ويلفت الانتباه في هذا السياق تركيزه على عناصر انشقوا عنه وانضموا لقسد¹⁷⁵. وفي الشهر التالي شباط نفذ التنظيم 66 عملية على الأراضي السورية، 51 منها في دير الزور، معظمها في الريف الشرقي لهذه المحافظة، خاصة في ذيبان ثم البصيرة ثم خشام¹⁷⁶. وكذلك كانت قوات قسد المستهدف الرئيسي بهذه العمليات، بنسبة 75%، ثم قوات النظام¹⁷⁷. وفي آذار اللاحق نفذ التنظيم 44 عملية في سورية، كانت حصة دير الزور منها 37¹⁷⁸، وحصة قسد 40¹⁷⁹ راح ضحيتها 40 شخصاً على الأقل، يشكلون 86% من الذين لقوا مصرعهم على يد التنظيم خلال هذا الشهر، بينهم خمسة مدنيين تمت تصفيتهم بتهمة التعاون مع قسد، إضافة إلى اغتيال مسؤولين في المجالس المحلية في ريف دير الزور الشرقي¹⁸⁰. وحل استخدام العبوات الناسفة على رأس قائمة الأساليب المستخدمة، ثم الاغتيالات، ثم تصفية الأسرى¹⁸¹. وقد اقتحمت خلية من التنظيم مباراة كرة قدم في بلدة الحوايج فاعتقلت شاباً وقتلته وأحرقت جثته أمام نحو 200 من الحضور، بتهمة أنه "يسلم الإخوة" للتحالف وقسد¹⁸².

172 المشهد الجهادي في كانون الثاني/يناير 2020، مركز جسور للدراسات: وحدة الحركات الدينية، 2020، ص 7.

173 المرجع السابق، ص 16.

174 المرجع السابق، ص 8.

175 المرجع السابق، ص 16.

176 المشهد الجهادي في شباط/فبراير 2020، مركز جسور للدراسات: وحدة الحركات الدينية، 2020، ص 9.

177 المرجع السابق، ص 10.

178 المشهد الجهادي في شهر آذار/مارس 2020، مركز جسور للدراسات: وحدة الحركات الدينية، 2020، ص 10.

179 المرجع السابق، ص 11.

180 المرجع السابق، ص 12.

181 المرجع السابق، ص 11.

182 المرجع السابق، ص 12.

تقييم وضع العشائر وداعش واحتياجات السكان في شرق دير الزور:

لقد أثرت موجات متلاحقة من التحديث في إضعاف متانة الروابط العشائرية، أدى توطين العشائر وحيازتها الملكيات الزراعية إلى تعدد بؤر النفوذ داخل العشيرة الواحدة وتوزع رأسمالها الفعلي والرمزي على مراكز قوى، أي عدد من الوجهاء والشيوخ الثانويين. وبالنسبة للمنطقة مدار البحث، في الجزيرة شرقي دير الزور، فإن القبيلة الأكبر تعاقدية (العكيدات) مما أسهم في امتلاك عشائرها وأفخاذها وعائلاتها أهميات متزايدة خاصة أصلاً، ولا سيما مع عدد أفراد القبيلة الكبير وتوزعها الواسع جغرافياً.

ونتيجة الأسباب السابقة يُلاحظ أن فعالية الروابط الأهلية الآن صارت تقف، في غالب الحالات، عند الجيل الرابع أو الخامس من سلالة متحدرة من جد واحد. فتحت سقف هذه الشجيرة تبدو الروابط قوية. ولا تعلق العصبية الفاعلة عن هذه الدرجة إلا في حالات قليلة تتطلب تماسك سوية أعلى هي الفخذ أو حتى العشيرة.

وإن نظام الولاء القبلي نظام معقد، ولذلك يجب النظر إلى المواقف العلنية التي يتخذها شيخ القبيلة أو شيخ العشيرة ببعض الحذر. الاتجاه العام هو أن السلطة القبليّة التقليدية تميل، علنياً على الأقل، إلى الوقوف بجانب الطرف الأقوى آنياً، بهدف تجنب القبيلة العنف أو القمع الجماعي¹⁸³.

وقد تعاملت السلطات المتعاقبة حديثاً من الإمبراطورية العثمانية في عصر التنظيمات حتى داعش، مع العشيرة بمعايير مزدوجة، فهي تهدف إلى إضعافها بوصفها سلطة منافسة لها، وإلى الاستفادة منها بوصفها تنظيمياً اجتماعياً جاهزاً يسهل التعاطي مع الرعية عبر الشيوخ الذين تهرسوا في تمثيل عشائرتهم ومجتمعاتهم.

ولدى كل من أطراف الصراع في المحافظة اليوم أنصار من كل عشيرة، وإن تفاوتت نسبتهم لصالح طرف على آخر. وفي الحالة السورية لا يعبر تعدد الولاءات داخل العشيرة، ومن ثم داخل المجتمعات المحلية، عن غنى فكري أو تنوع بناءً، بل يكشف عن انقسام جاء حصيلة متراكمة للتخاصم السياسي والحرب المستمرة والنزوح، فضلاً عن تناقض المصالح داخل كل عشيرة وبين عشيرة وأخرى¹⁸⁴. ولذلك فإن وجهاء العشائر لا يمثلون العشائر بالضرورة. وبعد هذا، في معظمه، إرثاً لحقبة سيطرة النظام عندما أدت التغييرات الحاصلة ضمن العشائر والحوكمة من قبل دمشق إلى وجود قيادات متعددة لعشائر محددة. حاول تنظيم الدولة الإسلامية لاحقاً استخدام العشائر، واعتمدت قوات سوريا الديمقراطية على العشائر أيضاً. وقد أدى كل ذلك إلى وضع وجد فيه عدة رؤساء لعشائر محددة لم يكن أحد منهم ممثلاً فعلياً للعشيرة¹⁸⁵.

وبسبب تاريخها العراقي، استطاعت داعش فهم سكان مناطق العشائر السورية بسهولة، وقدمت لسكانها نموذجاً بسيطاً عن "الدولة" يتناسب مع قلة ألفتهم بالسلطات المركزية تاريخياً. وحين هُزمت داعش في دير الزور لم يتحسّر الكثيرون على زوال دولتها، على الرغم من أن المناطق الريفية (الجزيرة) لم تتعرض منها لما عانتها الحواضر الأهم في (الشامية) من تسلط وتنكيل ووحشية.

ورغم الحساسية العربية الكردية إلا أن سكان شرقي دير الزور وعوا أنهم بين خيارين عمليين فقط بعد تفكك سيطرة داعش؛ هما الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية (قسد) بشراكة التحالف الدولي، وقوات الحكومة السورية وأصدقائها من الروس والإيرانيين. فاختر السكان قسد باعتبار أن حكم أنفسهم برعاية التحالف الدولي، وهو خيارهم المفضل، غير متاح نتيجة ضعفهم وتشرذمهم. لكن الإدارة الذاتية لم تشكل من قيادة كردية فقط، بل قدمت نموذجاً يتناقض بشكل شبه كلي مع أعراف المنطقة، وخاصة في قضايا المرأة التي تصر الإدارة على شراكتها الكاملة في حين اكتفت داعش باستخدامها في "الحسبة النسائية" كدور في الحياة العامة. وكذلك عندما طُرحت المناهج الدراسية التي أثارت غضب مجتمع دير الزور قبل سحبها. وهذه بعض أسباب الهوة بين الحكم الحالي وبين السكان، بالإضافة إلى ضعف الخدمات العامة وانتشار البطالة وحملات التجنيد الإلزامي.

رغم ذلك، ونتيجة تفككها وانقسامها وتنافس الفاعلين فيها، يبدو أنه من غير المرجح أن تسهم المجتمعات المحلية في دير الزور بأي استقرار. لكن، في المقابل، لن تكون هذه المجتمعات، ونتيجة عجزها الحالي وبعد إنهاك متواصل لسنوات، قادرة ولا رغبة في المدى القصير بزعة

183 فيلكس لغراند، استراتيجية داعش الاستعمارية في سوريا، مبادرة الإصلاح العربي، تموز 2014، ص 6.

184 زياد عواد، مرجع سابق، ص 8.

185 خضر خضور، تحديات السلام في سوريا من دون إدماج شرق الفرات، IMPACT، أيلول 2020، ص 8.

السلطة المحلية التي فرضت عليها¹⁸⁶. إذ لا يرغب الكثيرون بخوض تجربة نزوح جديدة بعد سنوات الحرب التي أجبرت مئات الآلاف من أبناء المحافظة على أكثر من نزوح، ورغم قول بعض المستبئين في أحد الأبحاث التي أجريت على المنطقة إن اللجوء إلى العنف خيار وارد¹⁸⁷، إلا أن 80% منهم رأوا أن التظاهر السلمي هو الوسيلة المثلى للاحتجاج¹⁸⁸. وقالت الأغلبية إن الوجهاء المحليين أو العشائريين هم الأقدر على التعبير عنها، ولا سيما إن اجتمع هؤلاء في لجان محلية. أما الناشطون المدنيون المستقلون فقد حازوا ثقة حوالي 23% من المستبئين، وحازت منظمات المجتمع المدني على ثقة 12% منهم فقط¹⁸⁹.

بالنسبة لداعش، التي تبقى حوالي عشرة آلاف من مقاتليها في المنطقة الحدودية يتنقلون بسهولة نسبية بين سورية والعراق بحسب تقديرات الأمين العام للأمم المتحدة¹⁹⁰، فإن تنظيم بعض صفوفها والبدء باستهداف قوات قسد وسواها أمر متاح و"طبيعي" ويجب ألا يُقدَّر بأكثر من حجمه في سياق انحلال تنظيم عنيد. إن استراتيجية داعش الآن هي البقاء أولاً، واستنزاف خصومها ثانياً، واستعادة "التمكين" في الوقت المناسب، إن أتيح لها ذلك، ثالثاً. وبخلاف المتوقع تبدو خزانة التنظيم فارغة، وأنه يحتاج إلى الجبايات التي يفرضها هنا وهناك. كما أنه يجند العناصر الجدد دون شروط أيديولوجية قوية، وخاصة في الريف الشرقي لدير الزور الذي يهتم فيه بتشكيل خلايا مسلحة أكثر من التدين وتطبيق الشريعة.

نتيجة أسباب عديدة، منها الضعف المالي ونقص الكفاءات وقلة الاهتمام، اتسمت سلطة قسد في المنطقة بالفساد والفسل وخلفت حالة عامة من السخط. وبالمقابل كانت داعش تحاول إيهام الجمهور بتناسكها وحفاظها على تنظيمها، وعمدت إلى تنفيذ عمليات عسكرية هدفت إلى تحطيم الجسور بين سلطة الإدارة الذاتية والسكان. واعتمدت على إثارة الرعب في نفوس من انقلبوا عليها وحاربوها، وجعلت استهدافهم أولوية كما رأينا عندما حللنا خطاب داعش وسلوكها. وقد نجحت خطة إرهاب السكان نجاحاً كبيراً، فانسحب الكثيرون من مؤسسات الإدارة وقوات قسد، رغم البطالة والفقر، مما أضعفها بالتدريج. يخشى الناس من إبلاغ القوات الأمنية بتحركات عناصر التنظيم. ورغم أن عدد المؤمنین بمشروع داعش قليل في المنطقة، لكن الغالبية يتغاضون عن عملياتها بسبب الخوف، أو الشماتة في سلطة الإدارة الذاتية. لمعالجة هذا الموقف اللامبالي، وربما المتواطئ مع داعش، يحتاج الأمر إلى إصلاحات شاملة وجادة في الإدارة. وأي حل لا يأخذ هذا في الاعتبار هو مضيعة للوقت.

لا يمكن إطلاق حكم موحد عن علاقة شيوخ عشائر ريف دير الزور الشرقي بالإدارة الذاتية، إذ يختلف هذا حسب درجة انخراط أبناء هذه العشيرة أو تلك في قوات قسد، أو استفادة شيخ بعينه من علاقاته بالسلطة الحالية ليقوّي تمثيله في وجه منافسيه ويحوز نوعاً من التمثيل الرسمي الذي يتيح له القيام ببعض الوساطات التي تشتهر منها كفالة بعض العائلات من المنطقة لإخراجهم من مخيم الهول وعودتهم إلى بيئاتهم. ومن جهة أخرى لا تشير الخريطة الاجتماعية إلى بروز فاعلين مدنيين أو مثقفين بشكل يحلّون فيه محل زعماء العشائر ووجهائها. ورغم تراجع سلطة هؤلاء بالتدريج إلا أنهم ما يزالون المدخل الأنسب لمجتمعاتهم، على أن ينصب الجهد والموارد على تحسين شروط عيش هذه المجتمعات لا على تعزيز مكانة ونفوذ الشيوخ بشكل خاص. هكذا فقط يمكن تخفيف بيئة المظلومية التي تستثمرها داعش.

186 زياد عواد، مرجع سابق، ص 18.

187 المشاركة المعيبة، مرجع سابق، ص 21.

188 المرجع السابق، ص 22.

189 المرجع السابق، ص 26.

190 التقرير الحادي عشر للأمين العام عن التهديد الذي يُشكّله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)... الأمم المتحدة: مجلس الأمن، 3 آب 2020، ص 4.

ملحق الهوامش

I- أهم حقول النفط ومعامل الغاز في محافظة دير الزور:

- 1- حقل العمر النفطي (شركة الفرات النفطية) يقع 15 كم شرقي بلدة البصرة
- 2- حقل التنك في بادية الشعيطات بريف دير الزور الشرقي
- 3- حقل الورد يقع بالقرب من قرية الدوير بريف دير الزور الشرقي
- 4- حقل التيم 10 كم بالقرب من مدينة موحسن جنوب مدينة دير الزور
- 5- حقل الجفرة 25 كم شرق مدينة دير الزور
- 6- معمل غاز كونيكو 20 كم شرق مدينة دير الزور
- 7- محطة نفط الخراطة 20 كم جنوب غرب مدينة دير الزور
- 8- محطة نفط ديرو 40 كم شمال غرب مدينة دير الزور
- 9- محطة التي تو T2 وهي محطة تقع على خط النفط العراقي السوري

”سلاح النفط في سوريا“، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 17\9\2014، شوهد في <https://cutt.us/WQup5> 2020\12\21

II- تقع قرية حطلة ضمن منطقة دير الزور في المحافظة، وذلك على الضفة اليسرى لنهر الفرات (منطقة الجزيرة) قبالة حويجة صكر، ويقطن القرية فخذ البوبدران من قبيلة البكارا، ودخل التشيع إلى القرية عن طريق «عمر الحمادي» الذي كان رقيباً أولاً ضمن الجيش السوري تحول إلى التشيع عام 1979 أثناء خدمته في محافظة درعا، وذلك بجهود جمعية المرتضى، ثم قام بإقناع ابن عمه وصهره «ياسين معيوف» بالتشيع، حيث بقيا المتشيعين الوحيدين في القرية حتى عام 1982 عندما أقامت جمعية المرتضى وجهاء وشيوخ القبائل والعشائر السورية إلى فرعها في القرداحة، وتم آنذاك تعيين «معيوف» رئيساً لفرعها في قرية حطلة، والتي تمكن فيها معيوف بفضل الدعم السخي للجمعية من تشييع عدد من أبنائها، تمكن معيوف بفضل علاقات الجمعية من الحصول على منحة دراسية في إيران، والتي عاد منها مطلع التسعينيات إلى قريته التي كان عدد المتشيعين فيها قد تزايد وبات الأذان في مسجدهم هو الأذان على المذهب الشيعي. استمر معيوف في جهود الدعوة إلى المذهب الشيعي في القرية مستثمراً أموالاً كانت تأتيه من أثرياء خليجيين شيعة ومن حوزة السيدة زينب في دمشق وأيضاً من المستشارية الإيرانية في دمشق، حيث يذكر شهود أن المتشيع آنذاك كان يحصل على منحة شهرية بقيمة 5000 ليرة سورية، وهو ما يعادل راتب موظف في المؤسسات الحكومية آنذاك. مع بداية الثورة السورية كان ما يقارب 10% من سكان حطلة التي يقارب تعدادها 30 ألف نسمة قد تحولوا إلى المذهب الشيعي.

حسام السعد وطلال مصطفى، «خريطة التشيع في المدن السورية»، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ص 33-34-35، يونيو \ حزيران 2018، <https://cutt.us/i9mpc>

III- تضم مدينة دير الزور 5 كنائس تتوزع بين الأرمن والسرمان بشقيهم الكاثوليك والأرثوذكس، إضافة إلى عشرات العائلات المسيحية التي تنتمي لمختلف الطوائف (أكثر من 50 بالمئة منهم ينتمون إلى السرمان الأرثوذكس)، ولا يوجد إحصاء رسمي لأعداد المسيحيين في المدينة التي تضم عشرات العوائل المسيحية.

”مسيحيو دير الزور في هجرة جديدة، وليل الغربة يلف المدينة“، عنب بلدي، 3\8\2014، شوهد في 15\2\2021

<https://cutt.us/GkFQE>

IV- ترتبط محافظة دير الزور ثقافياً بالعراق ربما أكثر من ارتباطها بسوريا، حيث تشكل المنطقة الممتدة من البادية السورية إلى بغداد امتداداً متجانساً اجتماعياً يضم العشائر العربية السنية، والتي تشترك فضلاً عن صلات القرابة باللهجة والتراث والعادات والتقاليد

المشتركة، كما شكل كون الرئيس العراقي السابق (صدام حسين) ينتمي إلى هذا الامتداد نفسه نوعاً من حالة التمجيد له كرئيس منهم على خلاف عائلة الأسد من الطائفة العلوية في سوريا، خاصة مع حالة التهميش التي كانت تعيشها المحافظات الشرقية في سوريا من قبل الدولة، لهذه الأسباب إضافة إلى أسباب أخرى كثيرة كان ينظر إلى الهجوم على العراق في المنطقة كهجوم عليها، وهو ما دفع أعداداً كبيرة من أبنائها للدخول إلى العراق أثناء الغزو الأمريكي لمواجهته. وربما يدل بشكل أكبر على هذه الفكرة انتشار بيوت العزاء في المنطقة يوم الإعلان عن إعدام الرئيس العراقي الأسبق «صدام حسين» نهاية العام 2006.

-v- تشكلت في محافظة دير الزور عدد من المجموعات التابعة تنظيمياً للقاعدة، حيث اقتضت مهامها على تأمين حركة بعض أفرادها وعوائلهم إضافة إلى مهام لوجستية أخرى، مع التأكيد على الابتعاد عن أي مواجهة مع النظام السوري، وكان من هذه المجموعات مجموعة نشطة في ريف منطقة الميادين على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وأخرى في مدينة البوكمال. أبو الحسن، (مقاتل سابق ضمن صفوف جبهة النصرة في دير الزور)، مقابلة مع الباحث عبر اتصال هاتفي، اسطنبول، 2020\12\25

-vi- في مدينة الميادين على سبيل المثال كانت هناك مجموعة شبابية تضم 15-20 شاباً يرتدون اللباس الأفغاني ويطيلون شعورهم ولحاهم ويدعون في أوساطهم القريبية لمنهج السلفية الجهادية عقدياً، مع تبنيهم فكرة الجهاد العالمي، لكن دون أي نشاط جهادي في المنطقة، وكان مما ساعد هؤلاء وغيرهم طبيعة المنطقة العشائرية حيث كانوا ينتمون لعشائر متفرقة، كما ساعدهم توافق خطابهم مع خطاب النظام بالعداء لأمريكا وغيرها، إلا أن ذلك لم يكن يعفيهم من المراقبة الأمنية والاعتقال، وهذه المجموعة كان على رأسها «قاسم السعران» الذي انضم إلى صفوف جبهة النصرة لاحقاً في الميادين، وعمل ضمن الهيئة الشرعية المركزية التي تشكلت فيها بعد تحريرها خلال الثورة السورية.

-vii- في مدينة دير الزور كان معاذ الركاض أول شهيد بإطلاق رصاص مباشر من قبل قوات الأمن على المتظاهرين، وذلك ضمن مظاهرات حي الجورة بتاريخ 2011\6\3، حيث شكل استشهاده نقطة فارقة في حراك المدينة، بعد خروج عشرات الآلاف في تشييعه. في مدينة البوكمال فقد كان حيان محسن البحر أول شهيد بتاريخ 2011\7\16، وذلك برصاص عناصر الأمن العسكري في ما عرف بأحداث السبت الدامي، ليدفع استشهاده إلى أول معركة حقيقية في المدينة، انخرط فيها بعض أبنائها بسلاحهم الخفيف ضد قوات الأمن والتعزيزات العسكرية التي أرسلها جيش النظام، حيث تمكن الثوار من اقتحام عدد من المفززات العسكرية والشرطية في المدينة، كما انشقت عن صفوف التعزيزات العسكرية التي أرسلها النظام ثلاثة دبابات تمكن الثوار من أسر طواقمها بعد رفض قائدها برتبة ملازم أول اطلاق النار على الأهالي، وأسفرت المعركة عن استشهاد 5 من أبناء المدينة، كما قامت قوات النظام بإطباق حصارها على المدينة وإرسال الوفود للتفاوض مع الوجهاء لتسليم الدبابات وقطع السلاح التي سيطر عليها الثوار من المفارز حتى لا يقوموا باجتياعها، ورغم تسليم الثوار للطواقم والأسلحة إلا أن قوات الجيش اقتحمت المدينة على أية حال في شهر أغسطس \ آب.

-viii- بدأت معركة تحرير الميادين بعد استشهاد «لؤي البطاح» أحد أبناء المدينة وذلك في 2012\7\26، بعد إطلاق عناصر الأمن العسكري للنظام النار على مظاهرة خرجت في شارع الجيش في المدينة، لتبدأ بعدها مجموعات المدينة التي كانت تتمركز في أريافها وبشكل سري في أحيائها معارك تحريرها بمهاجمة حواجز النظام ومفارزه فيها، فتمت السيطرة على مقر أمن الدولة في 2012\8\1 ثم تلاه مقر الأمن السياسي في 2012\8\4، ثم مقر الأمن العسكري في 2012\8\7، وخرجت المدينة عن سيطرة قوات النظام في 2012\8\24 بعد سيطرة مجموعات الجيش الحر على آخر معاقله فيها وهي كتيبة الهجانة. «ميادين الفرات الرحبة (2 من 2)»، مصدر سابق

-ix- تمكنت مجموعات الجيش الحر من السيطرة على معبر القائم الحدودي قرب البوكمال في 2012\7\19 بالتزامن مع بدء القصف المدفعي بالهاون على مدينة البوكمال من قبل قوات النظام المتمركزة في مطار الحمدان، لتبدأ بعدها سلسلة من المعارك للسيطرة على عدد من المخافر الحدودية وأهمها (الخرش - بعاجات - المحطة الثانية - الوعر)،

ثم تم تحرير ثكنة الهجانة ومن ثم كتيبة الدفاع الجوي مطلع سبتمبر \ أيلول، وقسمت مدينة البوكمال إلى شطرين فرضتها الحالة الأمنية داخلها منذ 2012\8\20 وهو تاريخ بدء قوات النظام استخدام الطيران الحربي لاستهداف المدينة. أما معركة تحرير المنطقة فبدأت في 2012\11\9 عندما اقتحمت مجموعات الجيش الحر المربع الأمني وحاجز الجسر في مدينة البوكمال من محورين هما (محور الفرن الآلي ومحور حي الجمعيات)، حيث تمكنوا من السيطرة عليهما بعدها بأسبوع في 2012\11\15 بعد تدمير عدد من الآليات والسيطرة على أخرى، بينما تحصنت قوات النظام المتبقية في موقع الحمدان العسكري، والذي هاجمته مجموعات الثوار بشراسة متمكنين من السيطرة عليه مجبرين قوات النظام على الانسحاب إلى بادية البوكمال التي طاردهم فيها الثوار متمكنين من تحرير منطقة الثلاثات في 2012\11\17، ليتم لهم بذلك تحرير منطقة البوكمال بشكل كامل. وقد شارك في المعركة إلى جانب مجموعات الجيش الحر مجموعة تابعة لجبهة النصرة. مقابلة أجراها الباحث سابقاً مع المؤرخ أ. راعب الحماد من أبناء مدينة البوكمال، أثناء العمل على كتاب خمس مدن في الثورة السورية، الصادر عن دار هوز للأبحاث والنشر، في مدينة الباب مارس \ آذار عام 2020

X- بعد تحرير مدينة الميادين باتت الثكنة العسكرية الوحيدة المتبقية لقوات النظام في منطقة الميادين هي كتيبة المدفعية المجاورة لقلعة الرحبة، وهي عبارة عن مستودعات كبيرة لمؤسستي الأعلاف والكهرباء، تحصنت فيها قوات النظام مع قطع مدفعية ثقيلة باتت تُمطر مدينة الميادين وريفها بالقذائف. بدأت مجموعات الجيش الحر من أبناء مدينة الميادين وبمشاركة واسعة من أبناء ريفها معركة تحرير الكتيبة مطلع نوفمبر \ تشرين الثاني، حيث استمرت المعركة 20 يوماً تقريباً تمكنت فيها المجموعات من تحريرها في 2012\11\22، لتصبح منطقة الميادين محررة بشكل كامل. "ميادين الفرات الرحبة (2 من 2)"، مصدر سابق

XI- بدأت أحداث المجزرة يوم 25 من أيلول 2012، واستمرت لثلاثة أيام، حين اقتحمت مجموعات من "الحرس الجمهوري" بقيادة العقيد علي خزام، وإشراف مباشر من رئيس فرع الأمن العسكري اللواء جامع جامع، حي الجورة الذي كان، لتبدأ تلك المجموعات باعتقال المدنيين والتنكيل بهم، في صباح اليوم الأول للمجزرة اجتاح قائد كتائب المهام الخاصة في "الحرس الجمهوري"، علي خزام، حي الجورة من ثلاثة محاور، وطوقه بالكامل، ومن ثم داهم المنازل واعتقل عدداً كبيراً من المدنيين. ونشر ناشطون إعلاميون على مواقع التواصل الاجتماعي حينها تسجيلات مصورة تظهر إعدام أكثر من 100 رجل وسط حي الجورة، كما تواردت أنباء، في ذلك الوقت، عن عمليات إعدام وتصفية لعائلات بأكملها في حي القصور المجاور، بينهم نساء وأطفال. وظلت أخبار المجازر التي ترتكبها قوات النظام السوري على مدار ثلاثة أيام في حيي الجورة والقصور طي الكتمان ويلفها الغموض، حتى عُثر على عشرات الجثث من قبل الأهالي في أقبية أحد المنازل في حي القصور، إضافة إلى عشرات الجثث المتفحمة في منطقة النوامير. واستمرت سيطرة النظام السوري على حيي الجورة والقصور منذ حملة "الحرس الجمهوري"، بالرغم من تمكن فصائل المعارضة من السيطرة على معظم أحياء مدينة دير الزور، بالإضافة إلى ريف المحافظة. «الثلاثاء الأسود.. تاريخ مؤلم في ذاكرة أهالي دير الزور»، جريدة عنب بلدي، 2019\9\25، شوهد في <https://cutt.us/x8zmP> 2020\12\24

XII- تم تشكيل لواء الله أكبر بتاريخ 2012\4\28 في منطقة البوكمال بقيادة «صدام الجمل»، حيث كان للواء مشاركة فاعلة في معارك تحرير منطقة البوكمال، وأصبح لاحقاً التشكيل الأبرز فيها، حيث انضم أواخر العام 2012 إلى صفوف تجمع أحفاد الرسول، الذي بات فيه «صدام الجمل» قائده العام في المنطقة الشرقية. <https://cutt.us/cv6iE>

XIII- تم تشكيل لواء القعقاع بتاريخ 2012\3\20 في بلدة القورية التابعة لمنطقة الميادين، حيث ضم اللواء أبرز تشكيلات منطقتي الميادين والبوكمال، إلا أن اللواء اقتصر لاحقاً على أبناء بلدة القورية بقيادة «علي المطر» متحولاً إلى فرقة القعقاع، ثم وبعد استشهاد علي المطر في أبريل \ نيسان عام 2013، تسلم القيادة أخوه «محمود المطر» وانقسم اللواء إلى قسمين ضم كل منهما فرعاً من أبناء عشيرة

القرعان عرفاً محلياً بالقعقاع الثوري والقعقاع الإسلامي، حيث بقي القعقاع الثوري بقيادة محمود المطر، ضمن صفوف تجمع أحفاد الرسول التي كان قد انضم إليها مطلع العام 2013.

<https://cutt.us/Mnp4k> <https://cutt.us/KOpYF>

XIV- تم تشكيل جيش العسرة بحملة شعبية محلية في ريف دير الزور المحرر نصره لبلدة القصير التابعة لمحافظة حمص على الحدود السورية اللبنانية، وذلك بعد أن دخلت مجموعات حزب الله اللبناني في المواجهة ضد تشكيلات الجيش الحر فيها إلى جانب قوات النظام في مايو\ أيار عام 2013، وتكون الجيش من متطوعين من كتائب متعددة لكن قوامه الأساسي بقي مجموعات من منطقة انتشار عشيرة الشيعيات في المحافظة وهي قرى وبلدات الكشكية وغرانيج وأبو حمام ضمن منطقة الجزيرة، وخاصة من لواء الأمة بقيادة أبو سيف الشيعطي، حيث تمكنت مجموعات الجيش من الوصول إلى بلدة القصير ودخلوها برفقة مجموعات لواء التوحيد الحلبي، لكن البلدة سقطت على أي حال. بعد عودة جيش العسرة من القصير انفرط عقد مجموعاته من خارج منطقة الشيعيات، بينما حافظ عدد من مجموعات الشيعيات على التزامها ضمن صفوفه، وبات «محمد حسين خضر الغدير» المعروف بـ «أبو سيف الشيعطي» قائداً للجيش الذي انضم إلى صفوف تجمع أحفاد الرسول.

<https://cutt.us/WAtob>

XV- تشكل تجمع أحفاد الرسول في مدينة دير الزور في أغسطس \ آب عام 2013، من اندماج عدد من مجموعات المدينة أبرزها (لواء القصاص - لواء درع الفرات - لواء أبو ذر الغفاري - كتيبة شهداء العرفي - كتيبة القائد الشهيد صدام حسين)، وذلك بقيادة فراس خرابة من أبناء مدينة دير الزور، وقائد لواء القصاص ضمنها.

<https://cutt.us/5VWbg>

XVI- ضمت جبهة الأصالة والتنمية عند تشكيلها خمس جهات هي: (الجبهة الشمالية بقيادة الرائد إبراهيم مجبور، والجبهة الشرقية بقيادة الملازم عبد الرحمن تركي، والجبهة الوسطى بقيادة الرائد عبد الحليم غنوم، والجبهة الجنوبية بقيادة الملازم عبد الرزاق طلاس، والجبهة الغربية بقيادة العقيد عمر الخطيب)

<https://cutt.us/In8HU>

XVII- تم تشكيل (لواء أسود السنة) من اندماج عدد من كتائب مدينة الميادين شرقي دير الزور مطلع يوليو \ تموز عام 2012، ثم وفي 14 سبتمبر \ أيلول تم الإعلان عن دمج معظم كتائب المدينة ضمن اللواء، وهذه الكتائب هي: (كتيبة أسود التوحيد - كتيبة أسامة بن زيد - كتيبة ابو الحسنين - كتيبة المهام الخاصة - كتيبة جنود الحق - كتيبة رجال العقيدة)، وتلا بيان الاندماج «الملازم أول مظلي عبد الرحمن تركي» ليصبح اللواء تشكيل مدينة الميادين الرئيسي. ثم وفي 11 نوفمبر \ تشرين الثاني عام 2012 بعد تشكيل (جبهة الأصالة والتنمية) في سوريا، شغل فيها الملازم أول عبد الرحمن تركي منصب قائد الجبهة الشرقية، والتي لم تنضم لها كل فصائل لواء أسود السنة بسبب خلاف داخلي ضمنها، لينهار تشكيل اللواء لاحقاً ويقتصر على عدد من الكتائب المشكلة له أبرزها (كتيبة أسامة بن زيد)، بينما انضمت له كتائب جديدة منها (كتيبة عباد الرحمن)، حيث انضم اللواء منذ بدايات ديسمبر \ كانون الأول عام 2012 إلى صفوف (جبهة الأصالة والتنمية) في 3 أكتوبر \ تشرين الأول عام 2013 اندمج اللواء مع عدد من ألوية المحافظة مشكلين (جيش أهل السنة والجماعة).

<https://cutt.us/8xvkl>

XVIII- تم تشكيل كتيبة بشائر النصر أواسط مارس \ آذار عام 2012 في بلدة العشارة، حيث تطورت الكتيبة لاحقاً لتصبح لواء بشائر النصر الذي قاده طلاس السلامة من أبناء بلدة العشارة، وعند تشكيل جبهة الأصالة والتنمية في نوفمبر \ تشرين الثاني عام 2012 انضم اللواء إلى صفوفها ضمن مراتب الجبهة الشرقية، ليصبح اللواء من أعمدة جبهة الأصالة والتنمية، لكنه غادر صفوفها برفقة تشكيلات أخرى من مكونات الجبهة في أكتوبر \ تشرين الأول عام 2013، ليقوموا بتشكيل جيش أهل السنة والجماعة والذي يعتبر حالة انشقاق عن صفوف جبهة الأصالة والتنمية في دير الزور.

<https://cutt.us/8KGnM>

-XIX تم تشكيل لواء أهل الأثر مطلع أغسطس \ آب عام 2012 من اندماج عدد من كتائب ريف البوكمال، وعند تشكيل جبهة الأصالة والتنمية في نوفمبر \ تشرين الثاني عام 2012 انضم اللواء صفوفها ضمن مرتبات الجبهة الشرقية، ليصبح اللواء من أعمدة جبهة الأصالة والتنمية، لكنه غادر صفوفها برفقة تشكيلات أخرى من مكونات الجبهة في أكتوبر \ تشرين الأول عام 2013، ليقوموا بتشكيل جيش أهل السنة والجماعة.

<https://cutt.us/tKhxT>

-XX ضم اللواء لاحقاً في مايو \ أيار عام 2012 عدداً من كتائب منطقة الشيعيات التي غادرت صفوفه في سبتمبر \ أيلول من العام نفسه بقيادة أبو سيف الشيعي، الذي قام بتشكيل لواء الأمة، حيث انتهى الأخير ضمن صفوف جيش العسرة الذي انضم إلى تجمع أحفاد الرسول في المنطقة الشرقية. "من هو أبو سيف الشيعي الذي اعتقلته المخابرات العراقية"، تحقيق لمحمد حسان، موقع درج، 2018\5\23، شوهده في 2020\12\26

<https://cutt.us/Q3oOt>

-XXI تم نشر التسجيل بعنوان «وبشر المؤمنين» وذلك في 9 أبريل \ نيسان عام 2014، على شكل كلمة صوتية لزعيم تنظيم دولة الإسلام في العراق أبو بكر البغدادي، حيث جاء فيه «إن جبهة النصرة امتداد للدولة الإسلامية في العراق وجزء منها» وأوضح التسجيل أنه اعتباراً من تاريخه يتم إلغاء مسميات كل من «الدولة الإسلامية في العراق» و«جبهة النصرة»، حيث يشكّلان معاً «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

كلمة «وبشر المؤمنين» <https://cutt.us/pa0dh>

-XXII تعتبر عشيرة البكيرية عشيرة متميزة ضمن فرع البو جامل في قبيلة العكيدات، وهذا الفرع هو فرع مشيخة العكيدات التقليدية، حيث تنتشر عشيرة البكير في بلدات خشام والبصرة ورويشد، إضافة إلى قرى بريهة وطيب الفال وكسار وحلوة وماشخ وديد عكيدات وجاسمي ومعيجل، كما يتواجد بعض أبنائها مع أبناء عشائر أخرى في قرى الحريجية والحريجي وسعلو ودبلان والصور، حيث تقع معظم هذه المناطق في منطقتي الميادين ودير الزور على الضفة اليسرى لنهر الفرات (منطقة الجزيرة).

فيصل دهموش، ص 16 (مصدر سابق) <https://cutt.us/VFKVA>

-XXIII يعتبر فرع البوكمال (الظاهر) هو الفرع الذي يضم بيت المشيخة التقليدي لقبيلة العكيدات، وهذا الفرع ينتمي لفرع البو جامل الأكبر منه ضمن القبيلة، وينتشر أبناء الظاهر في قرى وبلدات ذيبان والشحيل ومويلح، وجميعها ضمن منطقتي الميادين والبوكمال على الضفة اليسرى لنهر الفرات (منطقة الجزيرة).

فيصل دهموش، ص 16 (مصدر سابق) <https://cutt.us/VFKVA>

-XXIV صدام الجمل من أبناء مدينة البوكمال أسس وقاد لواء الله أكبر في المنطقة الشرقية، ثم أصبح نائب قائد أركان الجيش الحر للمنطقة الشرقية (دير الزور - الرقة - الحسكة)، كما شغل منصب القائد العام لجيش الأحفاد في المنطقة الشرقية، ويعتبر من أبرز قادة الجيش الحر في المنطقة الشرقية وربما يكون أقوى قائد في محافظة تشكيلات لواء الله أكبر مع قيادة جبهة النصرة في المنطقة الشرقية أقسموا فيه جميعاً أنهم ليسوا وراء تلك التفجيرات وأشاروا بالاتهام إلى عناصر تنظيم الدولة الذي كان آنذاك ينتشر في الشداوي جنوبي محافظة الحسكة وشمال دير الزور، وهو ما دفع «صدام» للتواصل مع التنظيم والاتفاق على أن يجتمع معهم للاستفسار عن حوادث استهدافه، فما كان منهم إلا أن اعتقلوه وأخرجوه بإصدار مرئي يتحدث فيه عن تأمر المعارضة والجيش الحر وفسادهم، ثم تم الإفراج عنه بعد الإصدار ليعتزل العمل المسلح ويغادر محافظة دير الزور للاستقرار خارجها، وليقوم بالتنظيم باستدعائه بعد سيطرته على المحافظة ليكون صلة وصل بينهم وبين أهالي منطقة البوكمال بعد عدد من حوادث الاستهداف لمقاتلي التنظيم. "المصنع: سيرة صدام الجمل من تهريب التبغ إلى قيادي في داعش"، دير الزور في الفترة بين 2012 - 2013،

حيث بايع صدام تنظيم الدولة أواخر العام 2013 وقاد هجومها على منطقة البوكمال التي ينتمي إليها بحسب بعض الناشطين. لكن رواية أخرى يتداولها ناشطون آخرون تبرئه من المشاركة في الهجوم وهي الرواية التي يتحدث عنها صدام نفسه في المقابلة التي أجراها موقع درج معه في معتقله في العراق إبان اعتقاله على خلفية سقوط التنظيم، والتي يسرد فيها أحداث انضمامه إلى صفوف تنظيم الدولة، حيث تم اغتيال إخوته وتفجير منزله ومحاولة اغتياله، وبدأت الإشاعات تشير بأصابع الاتهام إلى «القاعدة» (جبهة النصرة) تم عقد اجتماع بعد استنفار موقع درج، 2019\5\12، شوهد في 2021\2\27

<https://cutt.us/Oo0Hq>

-XXV كان أبو سيف الشيعطي قائداً لكتيبة ثوار الشيعيات ثم لواء الأمة المشكل من أبناء عشيرة الشيعيات، حيث بات اللواء أحد تشكيلات تجمع أحفاد الرسول في المنطقة الشرقية، ولاحقاً عند تشكيل جيش العسرة لنصرة القصير في يوليو 2013 بات لواء الأمة من أبرز تشكيلات الجيش الذي انفرد عقده بعد عودته من القصير، حيث استأثر أبو سيف باسم جيش العسرة الذي اقتصر على عدد من مجموعات منطقة الشيعيات. في الربع الأخير من العام 2013 بدأ تنظيم الدولة حملة ضد تجمع أحفاد الرسول وقادته، وبدأ يهددهم بالاغتيال، ورغم عدم وجود قوة حقيقية للتنظيم في محافظة دير الزور إلا أن قدرة التنظيم العالية على العمل الأمني والاغتيالات دفعت أبو سيف لتسليم سلاحه للتنظيم بل وتسليم نفسه أيضاً، حيث خضع لدورة استتابة شرعية مع مجموعة من عناصره في معسكر تابع للتنظيم في بادية البوكمال، وبعد انتهاء الدورة عاد إلى منطقة الشيعيات (قرية الكشكية) كمبايع سري للتنظيم، ثم وبعد اندلاع الاشتباكات بين فصائل المحافظة من جهة وبين تنظيم الدولة من جهة أخرى التحق أبو سيف رسمياً بالتنظيم برفقة قائد جيش العسرة -الإعلامي السابق آنذاك أبو علي الشيعطي- وشارك التنظيم في المعركة حتى تمكن الأخير من سيطرته على المحافظة، وبقي ضمن صفوف التنظيم حتى بعد انتفاضة عشيرة الشيعيات في وجه التنظيم والمجزرة التي ألحقها التنظيم بالعشيرة، ليصبح من أبرز قادة التنظيم المحليين. "من هو أبو سيف الشيعطي الذي اعتقلته المخابرات العراقية"، موقع درج، 2018\5\23، شوهد في 2021\2\27

<https://cutt.us/CRHjm>

-XXVI حسام الشلوف من مواليد بلدة حوائج ذيبيان التابعة لمدينة الميادين ومن قاطني المدينة، أسس وقائد كتيبة صدام حسين في المدينة بعد التحول إلى الحراك المسلح والتي باتت لاحقاً تعرف باسم لواء صدام حسين، حيث كان للكتيبة مشاركة فاعلة في معارك المنطقة وخاصة تحرير مدفعية الميادين، مع بداية ظهور الخلافات بين تنظيم داعش وجبهة النصرة في ديرالزور تم حل لواء صدام حسين بقيادة الشلوف ومصادرة سلاحه، بتهمة ميوله لتنظيم الدولة وتسهيل عمله في مختلف بلدات ريف ديرالزور الشرقي ووقوفه وراء بعض العمليات هناك. ليعتزل حسام العمل المسلح ويلزم منزله في مدينة الميادين، ثم انتقل إلى مسقط رأسه في قرية حوائج ذيبيان التي أعلن فيها أنه غير منتم أو مؤيد لتنظيم الدولة. أواسط العام 2014 قام شخص بتفجير نفسه داخل منزل الشلوف في بلدة حوائج ذيبيان، فقتل والد حسام الشلوف وصهره وابن عمته وأحد أقاربه، وتم تناقل مسؤولية جبهة النصرة عن التفجير بعيد التفجير سيطر تنظيم داعش على أجزاء كبيرة من محافظة ديرالزور وأريافها، فظهر الشلوف بشكل علني مع عناصر التنظيم كواحد منهم، وتدرج بعد ذلك في المناصب ضمن التنظيم، وانتقل من "أمير" لمنطقة ريف دير الزور الشرقي الشمالي، ثم أميراً للعلاقات العامة للتنظيم في المنطقة. "قصد تلقي القبض على القيادي المحلي في داعش - حسام الشلوف"، صحيفة جسر الإلكترونية، 2019\3\12، شوهد في 2021\2\27

<https://cutt.us/9IcLE>

-XXVII قام التنظيم في مدينة الميادين على سبيل المثال بهدم منزل ذوي «ناصر الصلاح أبو يزن» قائد مجموعة المهام الخاصة من مرتبات الجيش الحر، والتي كانت من أبرز مجموعات المدينة التي قاتلته خلال معركته للسيطرة على المحافظة، كما قام بالأمر نفسه في قرية الدحلة التابعة لناحية خشام بهدمه منزل «ياسر الفياض» الملقب بياسر الدحلة ومنازل ذويه، وكذلك في قرية بريهة التابعة لناحية البصرة بهدمه منزل الملازم أول المنشق «اسماعيل عايش العبدالله» الملقب أبو اسحق الأحواز، وكذلك فعل بمنزل قادة المجموعات في جل القرى والبلدات والمدن التي سيطر عليها في المحافظة.



IMPACT

**Civil Society Research
and Development**

Published by: IMPACT Civil Society Research and Development e.V

Keithstraße 10, 10787 Berlin

Not for sale

© IMPACT

2022